د. أنمار أحمد محمد



اللاهوت المسيحي

نشأته - طبيعته

DAR AZ-ZAMAN Publishing

اللاهـوت المسيحي

نـــشأته - طبيعتـــه

اللاهوت المسيحي، نشأته - طبيعته

تأليف: د. انمار احمد محمد

الطبعة الأولى : 2010



الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق – سوريا : ص.ب 5292

تلفاكس: 00963 11 5626009

موبايل: 00963 932 806808

E.mail: zeman005@yahoo.com

E.mail: zeman005@hotmial.com

Web sit: www.darzaman.net

الإخراج الداخلي: دار الزمان

تصميم الغلاف: م . جمال الأبطح

د. أنمار أحمد محمد

اللاهوت المسيحي

نشأته - طبيعته



بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً

صدق الله العظيم

(النساء:171)

المحتويات

الإهداء

إلى روح الله وكلمته

إلى عبدالله ورسوله

إلى سيدي المسيح عليه السلام

اهدي هذا الجهد العلمي المتواضع


http://kotob.has.it

شكر وثناء

بعد شكر الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله

أتقدم بشكري وامتناني الخالصين إلى جميع الأخوة الذين أعانوني على إتمام أطروحتي هذه وأخص منهم بالذكر:

الأستاذ الدكتور عماد إسماعيل النعيمي الذي اشرف على الأطروحة فكان خير معين وأبٍ ناصح وإلى أساتذتي في كلية أصول الدين وإلى الأخوة الأساتذة الزملاء في كلية اللغة العربية وعلوم القرآن.

وإلى الشيخ عباس فاضل الحسني السامرائي. وإلى أخي الكبير عمار وأعمامي وأهلي الذين ما بخلوا علي في الدعاء والإعانة. وإلى الأخوة يوسف حسن ورواء محمود وأحمد جاسم ومحمد صالح والحاج قاسم محمد والحاج خالد حسن.

وإلى جميع الأصدقاء في سامراء وبغداد، كل حب وعرفان بالجميل.

وإلى القائمين على المكتبات التي راجعتها، مكتبة جامعة بغداد المركزية الثانية، مكتبة الجامعة المستنصرية، مكتبة كلية الشريعة، مكتبة جامع القزازة، مكتبة الرباط النقشبندي، مكتبة الحضرة القادرية، مكتبة د. حسن العبيدي.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأصدقاء المسيحيين وأخص منهم بالذكر الصديق العزيز غزوان (أبو نور)، والقس باسل يلدو، والأخت ألبرتين، وإلى عميد كلية بابل للفلسفة واللاهوت، وإلى الآنسة إيفا، وإلى القائمين على مكتبة كلية بابل للفلسفة واللاهوت.

إليهم جميعاً أتقدم بخالص امتناني الكبير وشكري الجزيل



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ الأمين وعلى آله الطيبين وأصحابه الغر الميامين وسلم ياربّ تسليماً كثيراً أما بعد:

فأن وجهة نظر المسلمين حول طبيعة رسالة السيد المسيح عليه السلام والعقيدة التي جاء بها تتباين مع وجهة نظر المسيحيين، فيرى المسلمون ومن خلال العديد من الآيات التي وردت في القرآن الكريم: والتي ذكرت السيد المسيح عليه السلام في القرآن الكريم، انه نبي ورسول أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وأيده الله تعالى بالعديد من المعجزات الدالة على صدقه والتي أعجزت الناس عن أن يأتوا بمثلها. واتسمت رسالته عليه السلام بالدعوة إلى منهج التوحيد الذي دعا إليه إخوانه الرسل من قبل، إلى أن انتهت دعوته بتآمر اليهود عليه محاولين قتله. فأنجاه الله تعالى من مكرهم وكيدهم بأن رفعه إليه وخلصه من أيديهم.

بالمقابل يرى النصارى، أن الله غضب على الجنس البشري بعد أن أكل أبوهم آدم عليه السلام وأمهم حواء من شجرة المعرفة في الجنة فأصبحوا يعلمون كما يعلم الله، مما استوجب غضبه عليهما وطردهما من الجنة، خوفاً من أن يأكلا من شجرة الخلد فيكونا من الخالدين، ثم انتقلت هذه الخطيئة عن طريق الولادة إلى جميع البشر فأصبحوا من الخطاة، وان هذه الخطيئة لا يمكن إزالتها بسهولة، وبما أن الله من أسمائه (الله محبة) فقد وجد سبيلاً لمحو هذه الخطيئة بأن ينزل ابنه الوحيد (المسيح) من السماء إلى الأرض، ويستقر في رحم امرأة (مريم العذراء) ثم يولد كما يولد الأطفال، ويعيش على الأرض كما يعيش الناس، ويأكل كما يأكلون إلى أن يأتي أعداء الله ويتآمروا عليه، ويضربوه، ويصلبوه ثم يموت، وبعد ثلاثة أيام يقوم من قبره، ويصعد إلى السماء، كل ذلك ليفدي الجنس البشري، ويخلصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام.

تحت هذين المفهومين المختلفين ووجهات النظر المتباينة جاء هذا الكتاب في محاولة لتوضيح كيفية انتقال النصارى من عقيدة التوحيد التي نادى بها السيد

المسيح عليه السلام والتي شهد له بها القرآن الكريم، إلى عقيدة التثليث، والقول بألوهية السيد المسيح.

والتزم الكتاب بحقبة زمنية محددة هي القرون الأربعة الأولى من تاريخ المسيحية وبالتحديد إلى نهاية مقررات مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م، وذلك لأهمية هذا المجمع، كونه قد اكتمل فيه الثالوث المسيحي بعد إقرار ألوهية الروح القدس كأحد الأقانيم الثلاثة من الذات الإلهية، والذي كان قد أُقرَّ قبله الوهية الآب و الابن في مجمع نيقية سنة 325م.

إن موضوع نشأة اللاهوت المسيحي قد تناوله بالبحث العديد من علماء الغرب وتحديداً المفكرون العلمانيون الذين يكتبون في نقد الأديان فضلاً عن ذلك تناوله علماء المسيحية الذين يؤكدون على التمسك بالأيمان المسيحي، وكتب فيه القلة من علماء الإسلام إذا ما قورنت مؤلفاتهم بالمؤلفات التي تناقش العقائد المسيحية وكتبها المقدسة.

وأبرز من كتب فيه من علماء المسيحية: المفكر المسيحي ول ديورانت في موسوعته قصة الحضارة، والدكتور شارل جنيبر رئيس أساقفة فرنسا في كتابه المسيحية نشأتها وتطورها، إلا أن هذين الكاتبين لم يكونا ليخرجا عن نطاق الفهم المسيحي لطبيعة السيد المسيح، ولاسيما القول بألوهيته وموته على الصليب، وإغفال مسألة بشريته ونبوته عليه السلام.

وأبرز المصادر الإسلامية التي كتبت حول مفهوم (نشأة اللاهوت المسيحي): كتاب الشيخ محمد أبي زهرة محاضرات في النصرانية وكتاب الأستاذ عبد الأحد داود الإنجيل والصليب، وما كتبه الدكتور أحمد شلبي في كتابه المسيحية، فقد حاول هؤلاء الكتاب أن يستشفوا بدايات هذا اللاهوت، وتشكيل العقيدة المسيحية، إلا أن كتاباتهم جاءت ناقصة في بعض جوانبها أهمها: عدم إبرازهم دور اليهود الهيلينيين في تشكيل العقائد المسيحية مع الدور الكبير الذي قام به سيمون الساحر، والذي يعود إليهم الفضل في وضع اللبنة الأولى لهذا الفكر اللاهوتي، الذي أكمله من بعدهم بولس الرسول.

وبقيت المؤلفات الإسلامية حول نشأة اللاهوت المسيحي ترجع السبب الرئيس لهذه النشأة إلى الرسول بولس، مع تأكيدهم على أن دخوله إلى المسيحية كان لتحطيمها من الداخل، وتغيير معالمها نتيجة لعدائه السافر لها.

إن فقدان المصادر المسيحية القديمة التي تتحدث عن التوحيد في الديانة، يعزى إلى أن السلطة الكنسية أمرت بإحراق كل الكتب التي تخالف عقيدتي إلوهية السيد المسيح والتثليث، وذلك في مجمع نيقية سنة (325م) وانتخبت هناك الكتب التي توافق هذه العقيدة، وحتى إذا نجا بعض الكتب من الحرق والإتلاف فمن المستبعد أن ينقل عنه المسيحيون إلا ما يوافق عقائدهم، وبذلك أصبح من الصعوبة فهم طبيعة كتابات الموحدين الأوائل ومنهجهم في الرد على هذا الفكر اللاهوتي الذي خالف التوحيد.



التمهيد

يعرف اللاهوت بأنه ((المصطلح المقابل لمصطلح (ثيولوجي) ((Theology)) الإنجليزي وهو مركب من (ثيوس) ومعناها إله و (لوجوس) ومعناها علم، فهو إذاً علم الإلهيات))[1].

ويعرف على انه التأمل المنهجي في العقائد الدينية، والكلمة تستخدم عادة للإشارة إلى دراسة العقيدة المسيحية[2].

ويذهب المسيحيون إلى ربط هذا المصطلح بالسيد المسيح فيرون ان اللاهوت هو: البحث في الذات الإلهية، واللاهوت المسيحي بالتخصيص، هو البحث في طبيعة السيد المسيح[3].

وقريب من هذا تعريف المطران كوركيس كرمو[4] حيث يقول: اللاهوت هو التعبير، أو الشرح، أو صياغة معرفتنا لله بواسطة يسوع.

وسبب ربطهم هذا المصطلح بالسيد المسيح عليه السلام لاعتقادهم انه هو ابن الله حقيقة وأنه الله نفسه، فاللاهوت يشمل طبيعة الله والتي يمثلها اقنوم الابن الاقنوم الثاني في الذات الإلهية فيدخل فيها تفاصيل لاهوته، وناسوته، وطبيعته عليه السلام.

واللاهوت في المسيحية علم كامل مستقل، لأنه يدرك غايته، وهو الوصول إلى فهم ذات الله تعالى عن طريق الاستدلال منطلقاً من أصول، ومبادئ، ومنتهياً إلى نتائج[5].

---

[1] الأب منصور المخلصي، اللاهوت المعاصر، الله في اللاهوت المسيحي المعاصر، الطيف للطباعة، بغداد، 2002م، ص9.

[2] ينظر د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (م1-2)، (ج2)، دار الشروق، (ط1)، القاهرة، مصر، 2004م، ص21.

[3] د. فائز عزيز أسعد، مجلة الفكر المسيحي، العدد 385-386، السنة التاسعة والثلاثون، أيار-حزيران، 2003م، ص42.

[4] اللاهوت العقائدي، الإنسان والله، (ج1)، مؤسسة أورينت للطباعة والنشر، مشكن، الولايات المتحدة الأمريكية، 1987م، ص20.

[5] ينظر لويس غارديه وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية الشيخ الدكتور صبحي الصالح والأب فريد جبر، (ج3)، دار العلم للملايين، (ط1)، بيروت، لبنان، فبراير 1969م، ص18.

ويرى القديس أوريجونس إن غرض هذا العلم كي: ((يطلعنا على ما ينبغي لنا أن نتصوره في جو من الورع في السبب الوحيد للأشياء كلها اعني الله أو ان غرض علم اللاهوت هو البحث في الذات الإلهية، وهو الذي كان جديراً حقاً بأن يسمى حكمه))[1].

أما أدوات هذا العلم التي يعتمد عليها في معرفة الأشياء فهي (العقل ومبادئه)، ويرى المسيحيون ان هذا العقل يجب أن يشع فيه نور الإيمان حتى لا يتجاوز حدوده، ولا ينتابه نفحة الكبرياء التي ظهر الفكر الحديث غالب الأحيان منطبعاً بها[2].

وان العالم في اللاهوت لا يسمى عالماً ما لم يتحلَّ بالإيمان أما إذا فقد هذه الصفة فلا يصح تسميته بعالم في اللاهوت بل مؤرخ للاهوت، أو مفكر يبحث في مسائل يعالجها اللاهوت[3].

ومن الجدير بالذكر إن مصطلح اللاهوت لم يرد سابقاً على لسان المسيح عليه السلام ولا على لسان حواريه وتلاميذه، وكان الآباء الأوائل يستخدمون بدلاً عنه مصطلح (العقيدة المقدسة) ويرون أنها تحوي كل ما يتعلق بالبحث عن الوحي المسلم والنظر فيه، وكان مصطلح (علم اللاهوت) في نظر الآباء اللاتينيين أشد جدارة بالدلالة على المعلومات الكاذبة والأمر نفسه عند قدماء الوثنيين، وكانت النهضة الأولى في القرن التاسع قد فضلت استخدام اصطلاح (الأدب الإلهي) أو (المعارف الإلهية) بمعنى الاطلاع الواسع على الجزئيات والتفاصيل، أما في القرنين الحادي عشر والثاني عشر فالاصطلاح الغالب هو (الصحيفة المقدسة) الذي كان يتناسب مع أساليب الزمان التعليمية والتربوية[4].

ولعلم اللاهوت في المسيحية وظائف يقوم بها وهي عادة لا تخرج عن النظر في المسلمات، والوحي، والدفاع عن صيغ الإيمان المسيحي عن طريق المناظرة والمجادلة. ومن هذه الوظائف:

1- الوظيفة الانعكاسية والدفاعية (علم اللاهوت الركني).

---

[1] لويس غارديه، جورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، (ج3)، ص226.

[2] م.ن ص20.

[3] م.ن ص66.

[4] ينظر لويس غارديه وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية د. صبحي الصالح، الأب الدكتور فريد جبر، (ج2)، دار العلم للملايين، (ط1)، تموز 1967، ص175-176.

2- النظر النقدي في مسلمات الوحي (علم اللاهوت الوضعي).

3- التخريج النظري وتنظيم مسلمات الوحي الذي يوضح تأريخ نجاة الإنسان، ويسمى علم اللاهوت النظري الذي ينقسم إلى: (علم العقائد و علم الأخلاق) ويندرج فيه علم اللاهوت الروحي[1].

ويقسم المسيحيون اللاهوت إلى أقسام عديدة منها:

1- اللاهوت الكتابي: هو استعادة المعنى التأريخي للنص الكتابي، وأحياناً يشار إلى كون النص حرفياً أو هو فهم تأريخي للنص.

2- اللاهوت التأريخي: يبحث في تطور إيمان الكنيسة، والتقليد اللاهوتي في مختلف مراحل التأريخ.

3- اللاهوت النظامي: وهو علم يفهم منه العقائد الأساسية للأيمان، ويكشف عن مدى تعلقها الواحدة بالأخرى.

4- اللاهوت الأدبي: ان عمل الإنسان المطابق لإرادة الله هو موضوع بحث هذا اللاهوت فانه يرتبط بالوحي الإلهي في الكتاب المقدس، ويهتم بسلوك الإنسان على الأرض.

5- اللاهوت الراعوي: متعلق بالخدمة وبناء الجماعة المسيحية من خلال إعلان البشارة بالمسيح.

6- اللاهوت الليتورجي: متعلق بالعبادة الرسمية للكنيسة من خلال الطقوس المسيحية.

7- اللاهوت الأساسي: ويسمى باللاهوت الدفاعي حيث نشأ بسبب المجابهات التي كانت تتم بين المسيحيين الأوائل، والوثنيين.

8- اللاهوت الطبيعي: وهو لاهوت البحث عن براهين وجود الله من خلال معطيات الطبيعة.

9- لاهوت الخلق: يهتم عموماً بالعلاقة بين الخالق والمخلوقات.

10- اللاهوت العقائدي: ويهتم بالشرح العقائدي للإيمان المسيحي، وما فسرته الكنيسة في الكشف الذاتي لله في المسيح، والروح القدس.

---

[1] ينظر، الأب منصور المخلصي، اللاهوت المعاصر، ص20.

11- لاهوت الله: عادة يكون اللاهوت العقائدي أول مجال واسع له، ويعد الكتاب المقدس خلفية إضافية له، فظلاً عن تعاليم الكنيسة.

12- لاهوت التحرير: مشروع لاهوتي يشمل كل أوجه الإيمان المسيحي مصدره الأخبار الروحي الذي يدفع المؤمن إلى العمل السياسي.

13- لاهوت النعمة: لاهوت دراسة النعمة كعطية من الثالوث المقدس.

14- لاهوت الثالوث: شرح الثالوث المقدس من خلال دراسة الوسائل النظرية.

15- اللاهوت المعاصر: التميز بين المواضيع الكبرى في اللاهوت (الله، المسيح، الكنيسة، الإنسان، الخلاص، نقد الماضي، نقد اللاهوت المدرسي، نقد اللاهوت الليبرالي).

16- لاهوت الأسرار: محاولة التفكير في سر تصميم الله منذ الأزل، وسر الخلق، أو سر الغذاء، سر الكنيسة، القداس، الأسرار السبعة، المعمودية..الخ).

17- اللاهوت الدميترونوجي: لاهوت تطور التوراة العبرية كما توجد في سفر تثنية الاشتراع.

18-لاهوت المساواة (النسوي، الانثوي): لاهوت نشأ بسبب الطابع الآبائي في التقليد لأجل إعادة فهم تلك المرحلة من خلال المساواة بين الجنسين.

19- لاهوت القارات: لاهوت أفريقيا، أمريكيا، أسيا، . .الخ.

20- اللاهوت الانطولوجي: فرع من اللاهوت يتعلق بدراسة موضوع الكيان الإلهي، وتحديد التساؤلات بخصوص الله.

22- اللاهوت السلبي: معرفة الله من خلال الأفكار لأجل الوصول إلى تسامي كل فكرة وتعبير.

23- اللاهوت الأنثوي (النسائي): لاهوت برز بعد حركة المرأة السوداء في نطاق الدين والخبرة الدينية[1].

وتبرز أهمية علم اللاهوت في المسيحية في النظر إلى الأقسام العديدة التي يقسم إليها، وفي المحاور التي يعالجها، حيث أدخل هذا المصطلح في نواحي كثيرة من حياة المسيحيين.

---

[1] ينظر، الأب منصور المخلصي، اللاهوت المعاصر، ص22

الفصل الأول

الفكر اللاهوتي في عهد السيد المسيح عليه السلام

المبحث الأول: سيرة السيد المسيح عليه السلام وفق روايات الأناجيل.

المبحث الثاني: العقائد المسيحية في السيد المسيح.


http://kotob.has.it

المبحث الأول

سيرة السيد المسيح عليه السلام وفق روايات الأناجيل

أولاً: ولادته عليه السلام

1- مريم العذراء: مريم العذراء أم عيسى (عليه السلام)، اسمها اسم آرامي مزّجي مُرَخَّم أصله (ماري + أما) والمقطع الأول يعني بالآرامية (الرّبُّ)، والمقطع الثاني (أما) ويعني بالآرامية ما تعنيه (الأمة) بالعربية فيكون الاسم: أمّة الرب، قدم فيه المضاف إليه على المضاف، تعظيماً لاسم الرب تبارك وتعالى، وكان حقه أن ينطق: (ماريأما) كاملاً، ولكن المزجية سهلت الهمزة، فأصبح ماريما، ثم رُخِّم بحذف ألف المد الخاتمة، فأصبح مريم طبق الأصل من نطقه اليوناني (Mariam) في الأناجيل اليونانية، وفي القرآن الكريم[1].

وكانت حياتها على وجه العموم – كما تروي الأناجيل – خشنه، ومعسرة، وهي تتنقل بين بيت لحم، ومصر، والناصرة، وكفر ناحوم، وأورشليم، وليس أدل على هذا العسر، من أن المسيح تركها وديعة عند تلميذه يوم الصلب[2]. وكانت مريم مخطوبة ليوسف النجار في تلك المدة التي جاء فيها الملاك إليها، وحملت بالمسيح.

ويكرم المسيحيون السيدة العذراء إكراماً شديداً يقول الأب يوسف توما[3] ((لكن ذلك الإكرام ارتبط دائماً مع أعياد الرب يسوع للإشادة بمكانتها إزاء تاريخ الخلاص: فأعياد البشارة، والزيارة، والميلاد، والتقدمه، ترتبط بحياة المسيح وأضيفت إليها خلال العصور اللاحقة أعياد أخرى، مثل: الرقاد، والانتقال، والحبل بلا دنس، والبشارة، والزيارة، وميلاد العذراء، وتهنئه العذراء، وأم الأحزان، والسيدة الوردية، وحافظة الزروع، وسيدة الزهور، وسيدة الساعة)) إلا أن هذا التكريم الذي كان في بداية المسيحية بدأ يأخذ خط التقديس كلما تقدم الزمن

---

[1] ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياه المسيح، يناير كانون الثاني 2003م، (بدون دار طبع) ص 64.

[2] عن حياة مريم العذراء ينظر، الياس مقار، نساء الكتاب المقدس، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ب ت، ص192.

[3] القديسون عبر تأريخ المسيحية، مجلة الفكر المسيحي، العدد 389 – 390، تشرين الثاني، كانون الأول 2003 ص233.

وظهرت بوادر تأليه المسيح لتقدس مريم العذراء إلى جنب المسيح عليه السلام، وهذا شيء طبيعي وذلك لاعتقادهم أنها أم الإله، وأم لابن الله يقول فالتركاسبر[1] عن هذه العقيدة: ((يعلن لنا الكتاب المقدس أن مريم العذراء هي أم يسوع فقد اختارها الله لتكون أماً لابنه لذلك تعترف بها الكنيسة على أنها والدة الإله وأمنا)) وهنا يرد إلى الذهن السؤال التالي: هل ولدت السيدة مريم الله كإله، يقول فالتر كاسبر[2]: ((هي لم تلد الإله كإله، وإنما ولدت يسوع المسيح في بشريته المرتبطة ارتباطاً جوهرياً بألوهيته هكذا فالاعتراف بان مريم هي والدة الإله هو في النهاية اعتراف بان يسوع المسيح إله حقيقي وإنسان حقيقي، وعندما تكرم الكنيسة مريم على أنها والدة الإله فهي تقصد في ذلك تمجيد يسوع المسيح الذي هو في شخصه الوسيط الوحيد بين الله والناس)) أن فالتر كاسبر واللاهوتيين ناقضوا أنفسهم بقولهم أنها ولدت المسيح في بشريته المرتبطة بألوهيته، وبين الاعتراف بان يسوع المسيح هو إله حقيقي فظاهر الأمر أن مريم العذراء ولدت الإله، وان مسألة إقحام العذراء مريم في مسألة وساطة المسيح بين الله والناس قاد المسيحيين إلى مناقشات مستفيضه حول شفاعة مريم ووساطتها بينها وبين ابنها الإله ((إن هذا الاعتقاد في شفاعة مريم ومؤازرتها وعونها لايمكن إزالته من تراث صلاة الكنيسة ويظهر هذا بنوع خاص في الجزء الأخير من صلاة (السلام عليك يا مريم) التي هي أشهر الصلوات المريمية ((يا قديسة يا مريم يا والدة الإله صلي لاجلنا نحن الخُطاة الآن وفي ساعة موتنا))[3]، ويؤكد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني سنة 1965م[4] على هذا الدور – الوساطة – فيقول: ((والعذراء لم تتخلَّ عن دورها الخلاصي كوسيط بعد انتقالها إلى السماء فهي لا تزال شفيعة للمؤمنين وإليها يرفعون الأيدي ضارعين إليها في شدائدهم وضيقاتهم)).

ومفهوم العذراء مريم في اللاهوت المسيحي بشكل عام هو:

---

[1] المسيحية في عقائدها، نقله من الألمانية إلى العربية المطران كيرلس سليم بسترس، منشورات المكتبة البولسية، (ط 1)، لبنان، 1988م، ص189.

[2] م. ن، ص195.

[3] ينظر، م. ن، ص196.

[4] الوثائق المجمعية، نقلها إلى العربية يوسف بشارة، عبده خليفه، فرنسيس البيسري، دار الكتاب المفضل، مطابع يوسف وفيليب الجميِّل، (ط3)، 1989م، ص41.

أ – عذريتها المستمرة: ويعنون بذلك أنها ظلت عذراء بعد ولادة المسيح ويقولون أن اخوته المذكورين في الكتاب المقدس ما هم إلا أبناء خالته أو أخوه من امرأة سابقة ليوسف[1]. مع ان البعض منهم من لا يجد غضاضة في قبول فكرة أن اخوة المسيح هم اخوته من مريم ويوسف، ثم إن فكرة عذريتها هذه شجعت الكثير من المسيحيين على تفضيل العزوبة على الزواج.

ب- الحبل بلا دنس: وهي أن العذراء ذاتها حُبل بها وولدت بدون خطيئة، ثم كان هذا مشجعاً لفكرة أنها كالمسيح ولدت بدون خطيئة.

جـ- صعودها وعبادتها: إن العذراء وبعد وفاتها بثلاثة أيام عادت روحها للجسد وحملتها ملائكة الله حيةً إلى السماء، وقد قاد هذا الاعتقاد الكنيسة إلى عبادتها، لذلك عبدها الناس في القرون الوسطى عبادةً صريحة. . لقد كانوا يناجونها ويقولون ((تعبدك كل الأرض يا خطيبة الآب الأبدي. . تعطفي علينا يا مريم الحلوة واحفظينا من الآن وإلى الأبد دون خطيئة))[2].

إن اعتراف الكنيسة لمريم على أنها والدة الإله لم يكن في القرون المسيحية الأولى، بل انه جاء في مراحل متأخرة وتحديداً في مجمع أفسس سنة (431م) في الحقبة التي بدأ اللاهوت يتشكل فيها ويأخذ صورته القانونية إلا آن خلافاته الجانبية مازالت عميقة ومنها مسألة ألوهية السيدة مريم ووساطتها، إن هذا الأمر لم يرد في الأناجيل ولم يعرض بتلك الصورة بل إن الأناجيل تروي صورة مختلفة عن الصورة التي رسمها التقليد المسيحي حول عبادة السيدة العذراء والذي ينبع من الأساطير الوثنية القديمة لذلك يقول فالتر كاسبر[3]: ((إن قولاً كهذا – والدة الإله – ليس في الإنجيل في شيء بل هو من باب الأساطير حيث يدور الحديث كثيراً عن امرأة من أصل الألوهية وغالباً عن إلوهية رباعية)).

إن الصورة المختلفة التي رسمتها الأناجيل تتمثل في العلاقة السيئة التي كانت بين المسيح وأمه، فالعبارات التي كان يطلقها المسيح عليها لا تتصف ومكانتها

---

[1] ينظر: د. بروس بارتون واخرون، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة، وليم وهبة وآخرين، شركة ماستر ميديا، القاهرة، (ط 2)، 1998م، ص1990؛ اغناطيوس زكا الأول عيواص بطريرك انطاكيا وسائر المشرق للسريان الارثوذوكس، بحوث لاهوتية عقيدة تاريخية روحية، (ج2)، منشورات ديرمار يعقوب البرادعي للراهبات، (ط1)، العطشانه، بيروت، 1998م، ص84.

[2] ينظر، إلياس مقار، نساء الكتاب المقدس، ص199.

[3] المسيحية في عقائدها، ص195.

عنده، منها «لماذا كنتما تطلباني»[1] «مالي ولك يا امرأة»[2] «ها أمي واخوتي»[3] «يا امرأة هو ذا ابنك»[4] بل إن الأناجيل لا تذكر أن المسيح خاطب أمه بكلمة يا أماه أو أنه ألان لها القول وهذا موقف غريب منه[5].

وتبين تقاليد الكنيسة أن مريم العذراء بعد وفاتها قامت بعد ثلاثة أيام وصعدت إلى السماء، إلا أن التقليد المسيحي يقول أنها صعدت بجسمها إلى السماء ويوضح فالتر كاسبر[6] هذا الأمر فيقول: «إن هذه العقيدة لا ترتكز على شهادات كتابية مباشرة إلا أن التقليد يشهد لهذه الحقيقة الإيمانية فمنذ القرن السادس برز هذا الأمر في روايات إسطورية ليس لها أي قيمة تاريخية ولكنها تعبر عن اعتقاد إيماني، وقد وافقت الكنيسة على هذا الاعتقاد الإيماني على مر الأجيال كما يظهر من خلال عيد انتقال مريم العذراء إلى السماء في (15 آب) الذي أنتشر منذ القرن الخامس الميلادي». وتصر الكنيسة على هذا التقليد مع علمها انه لا يرتكز على شهادات كتابية بل انه من عمل الأساطير ومع ذلك فإنها تتبنى هذه المسألة على أنها اعتقاد إيماني وهذا الأمر ينسحب على الكثير من العقائد المسيحية، أما مسوغات هذا الصعود كما يراها فالتر كاسبر فأنه يستند إلى ارتباط مريم الوثيق بابنها يسوع المسيح وبالطريق الذي سلكه فالشركة مع المسيح هي مشاركته في صليبه وفي قيامته[7]. ووفق هذا الفهم فإنها صعدت إلى السماء كما صعد ابنها على أساس الشراكة القائمة بينه وبينها إلا انه من حسن حظها انهم لم ينهوا حياتها كما انهوا حياة ابنها على الصليب وحمّلوها الضرب، والألم، والاستهزاء، وذلك على أساس الشراكة القائمة بينها وبين ابنها.

2- الولادة المعجزة: يورد إنجيل متّى[8] وإنجيل لوقا[9] جدولاً طويلاً لنسب

---

[1] لوقا 2: 49.

[2] يوحنا 2: 4.

[3] مرقس 3: 31.

[4] يوحنا 19: 25.

[5] يوضح القرآن الكريم العلاقة الحميمة بين السيد المسيح وأمه العذراء منذ المهد فيقول ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ سورة مريم آية 32.

[6] المسيحية في عقائدها، ص206.

[7] م. ن، ص207.

[8] متّى 1: 1-17.

[9] لوقا 3: 23-38.

السيد المسيح (ﷺ) ويبدأ النسب في متّى بذكر أن المسيح ابن داود وينتهي بإرجاع نسب السيد المسيح (ﷺ) إلى يوسف رجل مريم، ويعزى سبب ذكر متّى هذا النسب للبرهان على «أن يسوع من نسل الملك داود ومن نسل إبراهيم أيضاً. . محققاً بذلك نبوءات العهد القديم»[1] أما كاتب إنجيل لوقا فيذكر أن المسيح هو ابن المذكورين إلى آدم وقد عدد من المسيح إلى آدم (76) رجلاً، ومن ضمنهم آدم ثم قال: (ابن الله) فعلى ذلك يكون جميع المذكورين في قائمة النسب من ذرية الله، وبهذا لم يعد الاعتقاد ببنوة الله مخصوصاً بالسيد المسيح وحده [2]، إلا إذا اقروا أن عبارة (ابن الله) هي فعلاً تستخدم للمجاز كما استخدمت في العهد القديم، وكما استخدمها السيد المسيح مجازاً وليست حقيقة كونه ابن الله.

ولا تحدثنا الأناجيل كثيراً عن يوسف النجار إلا انه كان خطيباً لمريم وانه أراد أن يفارقها بعد أن وجدها حبلى إلى أن ظهر له ملاك في الحلم وطلب منه أن يبقي مريم لان الذي حبل فيها هو من الروح القدس، وأنها ستلد ابناً وتسميه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم[3].

ويذكر الطبري[4] أن مريم (عليها السلام) حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة، وان عيسى عاش إلى أن رفع اثنتين وثلاثين سنة وأياماً، وان مريم بقيت بعد رفعه ست سنين وكان جميع عمرها نيفا وخمسين سنة.

ولم يُتَّفق على المكان الذي ولدَ فيه المسيح كما لم يُتَّفق على الزمان الذي ولد فيه فمن قائل انه ولدَ في الناصرة[5]، ومن قائل انه ولدَ في بيت لحم[6]، والذين يقولون انه ولدَ في بيت لحم يذهبون إلى هذا القول لتأييد النبوءات التي تتنبأ بظهور المسيح من نسل داود: وهو في بيت لحم وليس في الناصرة[7].

---

[1] هذا التعليل يعود إلى التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص1864.

[2] أبو محمد المقدسي، التحفة المقدسية، ربيع الثاني 1418هـ (موقع هداية الحيارى)، ص5 (بتصرف).

[3] ينظر، متّى 1: 20-24.

[4] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310)، تاريخ الأمم والملوك، (م 1-2)، (ج2) مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ب.ت، ص13.

[5] مرقس: 1-9.

[6] لوقا 2: 1-7.

[7] عباس محمود العقاد، الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف، (ط2)، مصر، 1949م، ص154.

وينفرد لوقا بالحديث عن عائلة يوسف ومريم وانها قد رحلت من الناصرة إلى بيت لحم لكي يسجلوا في الإحصاء العام الذي كان في ذلك الوقت: ((فرجع يوسف النجار وأخذ مريم معه إلى بيت لحم مدينته وهناك في إسطبل للحيوانات وضعت مريم العذراء السيد المسيح ولفّته في مذود بعد ان هيأت بعض التبن لتدفئة المكان)) [1]، وفي هذا الموضع بنى المسيحيون كنيسة المهد، أما عن تحديد وقت ميلاده عليه السلام فقد ذكربعض تلامذته من أمثال متّى ولوقا انها كانت في الأيام التي كان فيها هيرودس ملكاً على فلسطين، أي قبل العام الثالث للميلاد، إلا أن لوقا يضيف: إن السيد المسيح كان في الثلاثين من العمر حين عمّده يوحنا وذلك في السنة الخامسة عشر، أي في زمن حكم تبيريوس في عام 28 و29 ميلادية، وعلى كل حال ليس مؤكداً في أي يوم ولِدَ فيه المسيح، فبعض المؤرخين يحدده في اليوم التاسع عشر من نيسان، وبعضهم في العاشر من أيار، ويذهب كلمنت السكندري إلى انه في اليوم العاشر من تشرين الثاني، في العام الثالث قبل الميلاد، وسابقاً تمسكت الكنائس الشرقية باليوم السادس من كانون الثاني، ولكن لم يكد ينتهي القرن الرابع حتى أتخذ اليوم التاسع والعشرون من كانون الأول عيداً للميلاد في الشرق كله[2].

أما عن كيفية الحبل بالسيد المسيح فان لوقا يذكر بان الملاك حين جاء إلى مريم قال لها «لا تخافي يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسميه يسوع، هذا يكون عظيماً، وابن العلي يدعى، ويعطيه الرب الإله كرسي داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية، فقالت مريم للملاك كيف يكون هذا وأنا لست اعرف رجلاً، فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تضللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود

---

[1] عن ولادة المسيح، ينظر ؛ يوسف متّى وآخرون، الإنجيل كما أوحى إلى القدس لوقا قراءة شرقية، تقديم د. هاشم العلوي القاسمي، دار الجيل، (ط2)، بيروت، 1420هـ – 1999م ص 171؛ نصري سلهب، في خطى المسيح، دار الكتاب اللبناني، (ط2)، بيروت، 1970م، ص35–36 ؛ د. جورج فورد، حياة المسيح، (ج1)، (هذا الكتاب حمل من موقع كلمة الحياة) ص8 ؛ يحيى البولاقي، المعلم سيرة المسيح، دار الجيل، (ط2)، بيروت، 1999، ص15 ؛ يحيى السائح، غريب على الطريق، دار الجيل، (ط1)، بيروت، لبنان، 2001م، ص229.

[2] د. محمد جلال شرف، د. محمد عبد الرحمن عيسوي، سيكلوجية الحياة الروحية في المسيحية والإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1972م، ص320–321.

منك يدعى ابن الله»[1] ويفهم من النص أن الملاك لم يقل للسيدة مريم انك ستحملين بالسيد المسيح بقوة الله ولا بإرادته ولا بكلمة كن ولكن ستحملين بطريقة واحدة هي «الروح القدس يحل عليك»[2] ؟!، ويورد الملاك نبوءة ملك المسيح على كرسي أبيه داود ومن المعلوم أن داود عليه السلام كان ملكاً[3] وملك على بيت يعقوب، والحقيقة التي لا ينكرها أحد أن المسيح لم يملك على اليهود، ولا حكم كأبيه داود بل إن المعروف عندهم انه قبض عليه وأحضروه أمام كرسي بيلاطس فضربه، وأهانه، وسلمه إليهم فصلبوه، على أن إنجيل يوحنا يورد أن المسيح كان رافضاً أن يكون ملكاً «أما يسوع فإذا علم انهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده»[4] ولا يتصور الهرب من أمر بعثه الله لأجله على ما بشر جبريل أمه قبل ولادته[5]. وعلينا أن نتساءل كيف تكون المسيح داخل رحم مريم «عليها السلام» هل تكون إنساناً ثم تحول إلى إله أو بالعكس أو ماذا ؟ وعن هذا التساؤل يجيب علماء النصارى بالقول: «إن اللاهوت لم يحل في أحشاء مريم قبل وجود الناسوت فيها، ولا الناسوت وجد قبل حلول اللاهوت لكن وجد كلاهما معاً في لحظة واحدة، واتحدا اتحاداً وثيقاً بلا تبلبل، ولا اختلاط، ولا امتزاج، ولا استحالة كله آله تام، وكله إنسان تام، هو ابن الإله، وابن مريم. . أي ليس أن الأب ولد واحداً ومريم ولدت آخر، ولكنها ولدت من قد ولده الآب بعينه.. غير أن الآب ولده روحياً أما العذراء فولدته متجسداً»[6]. ويفهم من هذا الكلام أن اللاهوت والناسوت وجدا معاً[7] ولكن الذي لايفهم انه كيف اتحدا اتحاداً وثيقاً بلا اختلاط، ولا امتزاج، ولا استحالة، فما معنى اتحدا إذن[8] ؟.

---

[1] لوقا 1: 31–36.

[2] نلاحظ ان القرآن الكريم يسرد هذه القصة بكثير من الأدب مع السيدة العذراء حين يقول ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ (التحريم: من الآية12).

[3] قصص سيدنا داود وردت في الكتاب المقدس في صموئيل الأول 16: 1– 1؛ أخبار الأيام الأول 11– 29؛ الملوك الأول الإصحاح 2.

[4] يوحنا 6: 15.

[5] رحمة الله الهندي، إظهار الحق، تحقيق عمر الدسوقي، مطبعة الرسالة، ب. ت، ص167.

[6] مارسوير بولس ويعقوب توما، نزهة الرائد في الكتاب الخالد، بدون دار طبع، 1952م ص67.

[7] لا يتفق النصارى جميعهم على هذا الرأي حول طبيعة السيد المسيح، فالمسألة فيها خلاف عميق.

[8] سنفصل القول والردود عند مناقشة مسألة الأقانيم والتثليث.

ويختلف علماء النصارى في السيدة مريم أكانت حرة من الخطيئة أم لا فيرى بعضهم «إن مريم كانت منذ اللحظة الأولى لتكوينها حرة من الخطيئة الأصلية فلم يحبل بها كسائر الناس في حالة من البعد عن الله، بل أحاطت بها منذ البدء محبة الله ونعمته، لذلك عاشت أيضاً في حياتها الشخصية اللاحقة من دون أي خطيئة شخصية، إنها على ما تدعوها الكنيسة الشرقية الكلية القداسة والفائقة القداسة، إنها كلية القداسة أي منذ البدء، وفائقة القداسة أي على كل صعيد»[1]

ويرى البعض الأخر «إن العذراء مريم كسائر البشر قد ورثت الخطيئة الأصلية الجدية (لوقا 1: 35) فقد حبل بها حسب الناموس الطبيعي وكسائر الناس قد ورثت عن أبويها خطيئة أبوينا الأولين آدم وحواء»[2] وان الروح القدس عندما حل عليها – كما في عقيدتهم – لكي يطهرها وينقيها حتى تصير أهلاً ليحل فيها اللاهوت الذي أخذ من لحمها ودمها جسداً كاملاً[3]. فعلى هذا يكون المسيح أيضاً من الخاطئين الّذين ولدَوا في الخطيئة لأنه ولدَ كما ولدَت أمه وانه أخذ منها هذه الخطيئة فكيف له أن يكفر الخطايا وهو حامل لها ؟.

ويرى النصارى أن السيدة العذراء بقيت عذراء حتى بعد الولادة وأنها سميت العذراء، وبكر الأبكار، وعذراء العذارى، لأنها كانت بتولاً قبل ولادتها الإله المتجسد وبقيت بتولاً في الولادة وبعد الولادة[4].

إن من الجدير بالذكر أن كثيراً من المسيحيين يلاقون صعوبات بالغة في فهم قانون الإيمان وخصوصاً في عبارة وتجسد من مريم العذراء[5].

ويزاحم الأفكار هذا التساؤل المهم الذي مفاده: هل كانت السيدة مريم تعلم ان ابنها إله وابن الآب الأزلي ؟ عن هذا التساؤل يجيب الدكتور بترسن سمث[6]

---

[1] فالتر كاسبر، المسيحية في عقائدها، ص205.

[2] البطريرك اغناطيوس زكا، بحوث لاهوتية عقيدية تاريخية روحية، (ج 2)، منشورات دير مار يعقوب البرادعي للراهبات، (ط 1)، العطشانة، بيروت، 1998م، ص82؛ مارسوير بولس ويعقوب توما، نزهة الرائد في الكتاب الخالد، ص66.

[3] مارسوير بولس ويعقوب توما، نزهة الرائد في الكتاب الخالد، ص82.

[4] اغناطيوس زكا، بحوث لاهوتية، ص82.

[5] عن صعوبات فهم قانون الإيمان ينظر: فالتر كاسبر، المسيحية في عقائدها، ص 89.

[6] سيرة المسيح الشعبية، نقله إلى العربية السيد حبيب سعيد، دار الشرق والغرب، (ط2)، ب.ت، ص31.

بالقول: «إن رواية الأناجيل تجعل هذه الفكرة محالة كما ان العقل لا يسلم بها، وإلا كيف أمكن تربيته كصبي بشري عادي خاضع لوالديه يتقدم في الحكمة والقامة عند الله والناس، و كيف استطاعت ان تؤنبه على توانيه في الهيكل مع أحبار اليهود وعلمائهم ؟ وكيف عالجت شؤونه كلها كطفلها الخاضع لها، ان فكرة (إلوهيته) لو كانت عرضت في بادئ الأمر لهالت كل إنسان وتعذرت معاملته كصبي بشري ولكانت الحياة العائلية غير محتملة وغير ممكنة.. كلا ان العذراء لم تفكر في ولدها كإله» هذا مع ان الملاك الذي بشرها بولادته لم يقل لها: ان الذي تلدين هو الإله خالق السماوات والأرض، بل أزال الشك في ذلك بان قال: ان الله الرب يعطيه كرسي أبيه داود، ويصطفيه، ويكرمه وان داود أبوه، وانه يسمى ابن الله، ولم يقل لها الملاك انه هو ابن الله حقيقة[1].

إن ميلاد السيد المسيح من غير أب أعجوبة كبرى ومعجزة خاطب الله بها اليهود المنكرين للروح والبعث فكانت من أعظم معجزاته عليه السلام[2]، لكن هذه المعجزة لا تقتضي إلوهية المسيح فلو اقتضتها لاقتضى ألوهية آدم وحواء فقد وُلِدَ آدم من غير أب ولا أم ووِلدَت حواء من آدم ولا أم لها.

وقد تعلق بها القائلون بألوهيته وزادوا فيها الروايات وأدخلوا في الأناجيل ما ليس منها لكي توازي ما يطرح حول هذه العقيدة.

ثانياً: الطفولة ومرحلة الشباب

توضح الأناجيل ان السيد المسيح قد وُلِدَ ولادة طبيعية كما يُولَدَ أي طفل، لذا فقد كانت حياته طبيعية لا مظاهر فيها لشيء مميز قام به[3] فعند ولادته ظهر ملاك الرب لرعاة في الليل فخافوا ولكن الملاك طمأنهم وبشرهم بولادة المسيح المخلّص وأعطاهم علامة عليه فقال «وهذه لكم العلامة تجدون طفلاً

---

[1] نصر بن يحيى بن عيسى بن سعد المتطبب، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع بالقاهرة، 1406هـ – 1986م، ص89 (بتصرف).

[2] د. منقذ بن محمود السقار، الله جل جلاله واحد أم ثلاثة، مكة المكرمة 1423هـ (موقع هداية الحيارى)، ص60 (بتصرف).

[3] لا تذكر الأناجيل معجزة التكلم في المهد التي وضحها القرآن الكريم قال تعالى ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. آل عمران (آيه 46)

مقمطاً مضجعاً في مذود، وظهر مع الملاك جمهور من الجند السماوي مسبحين الله قائلين المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة»[1] فذهب الرعاة ونظروه وهم يسبحون الله، ويذهب لوقا إلى ان الرعاة كانوا يتحدثون للناس عن هذا الأمر وكل من سمع تعجب مما قالوه، لكن بالمقابل لا نرى هذا الاهتمام بالسيد المسيح من قبل اليهود، أو على الأقل من أهل الناصرة فلا الأناجيل تروي لنا شيئاً عن تميّز السيد المسيح عن أقرانه ومنذ صغره، ولا اهتمام الناس به، فلو كانت هذه القصة حقيقية وصحت بشرى هذا الملاك وتسبيح الملائكة لكان لهذا الطفل شأن عظيم عند اليهود لأنهم لو علموا فعلاً انه هو مسيح الرب الموعود – كما أخبرهم الملاك – لكانت دعوته ونبوته لا تأخذ هذا المنحى في تكذيبه، وعدم تصديقه، ومحاربته، ومطاردته، انتهاءً بصلبه !.

وبعد أن أتم الطفل ثمانية أيام ختن كما يختن الأطفال[2] حسب ما تقتضيه الشريعة الموسوية وسمي حسب ما بشر به الملاك أمه.

واسم سيدنا عيسى المسيح (يهوشع) في اللغة العبرية فنقل إلى اليونانية (بيسوس) ثم إلى العربية، والفارسية، والتركية (عيسى)[3].

ووفق الشريعة اليهودية فبعد ولادة كل ابن كان على الأم ان تنتظر أربعين يوماً قبل ان تذهب إلى بيت الله في القدس، الذي كان يبعد حوالي ثمانية كيلو مترات عن بيت لحم لتقدم قرباناً عن تطهيرها حسب ما تقتضيه الشريعة، وكان الأغنياء يقدمون خروفاً وحمامه أما تقديم حمامتين فكان يدعى (قربان الفقراء)[4].

ويربط علماء النصارى بين روايات الأناجيل الأربعة لاستخلاص قصة حياة السيد المسيح وهذا الربط يرد أيضاً في قصة طفولته وشبابه عليه السلام فزيارة الرعاة والذهاب إلى الهيكل لا يرويها إلا إنجيل لوقا، بينما يورد متّى زيارة المجوس للطفل الإلهي والهروب به إلى مصر ثم العودة منها إلى الناصرة.

---

[1] لوقا 2: 12-14.

[2] عن ختانه عليه السلام، ينظر، نصري سلهب، في خطى المسيح، ص38؛ يوسف متّى، الإنجيل قراءة شرقية، ص 172؛ الأب ميشيل يتيم، حياة يسوع المسيح، مطبعة الإحسان لميتم الروم الكاثوليك، حلب، سوريه، 1955، ص10.

[3] يوسف متّى، الإنجيل دراسة شرقية، ص25.

[4] ينظر، نصري سلهب، في خطى المسيح، ص 39؛ ميشيل يتيم، حياة يسوع المسيح، ص10.

وينفرد لوقا بذكر قصة ذهاب السيد المسيح مع عائلته إلى الهيكل عندما بلغ الثانية عشرة من عمره، ولا يعرف كيف قضى المسيح هذه الفترة الماضية من حياته وكيف كانت طفولته ؟ كل هذا يسكت عنه كتبة الأناجيل، لذلك شعر النصارى بهذا الخلل فعللوا هذا السكوت عن هذه الحقبة والتي تليها بالقول: «سكت الوحي تماماً عن أخبارها ولم نقل سكت البشيرون لان سكوتهم لم يكن طبيعياً ولا يفسره إلا أنهم كانوا منقادين بروح الوحي إلى هذا السكوت، وأما الكتبة غير الموحى إليهم الذين كتبوا بعدهم فأتبعوا النسق الطبيعي ولفقوا أخباراً عديدة تتعلق حسب قولهم بتلك السنين»[1]. فعللوا ذلك بسكوت الوحي وليس سكوت البشيرين فهل كان في سكوت الوحي حكمه ؟.

والحق أن كتبة الأناجيل لم يتحدثوا عن تلك الحقبة وسكتوا عن ذكرها بسبب إنها حقبه عاش فيها المسيح حياة الطفولة كأي طفل آخر يأكل، ويلعب، وينام، فأين كان اللاهوت طوال تلك السنين !.

ويروي متّى أن المسيح بقي في الهيكل لمدة ثلاثة أيام وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم ثم عاد مع أمه وأبيه إلى الناصرة، لتسكت الأناجيل مرة ثانية طوال مدة ثماني عشرة سنة[2] ولكنها اختزلت هذه المدة بقول متّى «وأما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس»[3] .

ويعلق المطران كوركيس كرمو[4] على هذا النص الذي أوقعهم فيه متّى بالإحراج بالقول «إن الله لا يتغير، ولا ينمو، ولا يتقدم، لأنه الكمال بالذات أما الإنسان فبوسعه أن ينمو ويتقدم، ويتطور لذا يسوع الإنسان حبل به، وولدَ، وترعرع، واصبح طفلاً، وشاباً، ورجلاً» فإذا كان هذا الكلام صحيحاً فكيف يقال

---

(1) جورج فورد، حياة المسيح، (ج1)، ص9.

(2) سكتت الأناجيل إلا من إشارة انه كان (نجاراً) ينظر مرقس 6: 3، وعن عمله كنجار، ينظر، د. أحمد شلبي، مقارنة الأديان، المسيحية، مكتبة النهظة المصرية، (ط6)، 1987م، ص82 ؛ نصري سلهب، في خطى المسيح، ص51.

(3) متّى 2: 52 (ان هذا النص لا يفي بالغرض في معرفة هذه الحقبة المهمة في حياة المسيح فمن المعلوم ان فترة الشباب هي من أهم فترات الإنسان وبها يعرف دوافع الشخص وتكتمل شخصيته فأين كان المسيح في تلك الحقبة ؟ لا أحد يعرف !!).

(4) اللاهوت العقائدي، الخلاص، (ج2)، طبع في مؤسسة أورينت للطباعة والنشر، مشكن، الولايات المتحدة الأمريكية، 1986م، ص145.

أن فيه اتحد الناسوت باللاهوت ووجدا معاً ولا يتقدم أحدهم على الآخر فيفترض ان ينمو ويكبر اللاهوت مع السيد المسيح، بينما يرى آخرون: ((إن الطفل لا يصل إلى مرحلة الإدراك إلا متأخراً في حين ان ابن الله له إدراك أزلي وكذلك له الإرادة ان يصبح بشراً))[1]. فإذا صح هذا لكانت حياته مع عائلته في أشد صعوبة فلو كان أبواه يفطنان في كثير من الأوقات إلى حقيقة طبيعته لأصبحا في ارتباك دائم في معاملته، ولكانا يحسبان انه يجب عليهما الخضوع له في الرأي، وان يقدّما له الطاعة وليس العكس، وكان إذ ذاك قد تربى تربية أبعدته عن سائر البشر، وأفقدته الاشتراك التام في الشعور مع الأولاد والشبان والرجال[2].

ثالثاً: تعميد ونبوة السيد المسيح عليه السلام

يفهم من الأناجيل أن السيد المسيح قد أمضى شبابه كله في الناصرة يعمل نجاراً مع أبيه يوسف، وحين سمع بدعوة يوحنا المعمدان* ذهب إلى نهر الأردن حيث كان المعمدان ينذر هناك باقتراب ملكوت الله ليعتمد منه، فتقدم إليه المسيح وطلب منه العماد فأعتمد على يد يحيى عليه السلام[3] ويفهم من ذلك أن النبوة قد أنزلت على السيد المسيح عليه السلام في تلك المناسبة وإلا لماذا قبل المسيح أن يعمده يحيى عليه السلام إن كان فعلاً إلهاً وخالقاً ! ومن ذلك الوقت ابتدأ المسيح عليه السلام يعلن باقتراب ملكوت السماوات[4].

ومصداقاً لهذه النبوة فان الله تعالى أعطاه العديد من المعجزات ليبرهن على صدق رسالته وأنها من الله تعالى لذا فانا نراه يقول: «أنا لا اقدر أن أعمل شيئاً من عندي.. لي أعمالي التي أعطاني الآب أن اعملها، وهذه الأعمال التي أعملها هي

---

[1] ينظر، هانس اورس، فون بلتسار، نؤمن، تأملات في قانون الرسل، نقله إلى العربية الأب كميل حشيمة اليسوعي، دار المشرق، (ط1)، بيروت، لبنان، 1994م، ص27.

[2] عن حياة السيد المسيح، ينظر، د. جورج فورد، حياة المسيح، (ج1)، ص9؛

Mircea Eliade: the Encyclopedia of Religions, (new york:macmillan publishing company , london: collier macmillan publishers , 1987) , volume 8, p 546

* يوحنا المعمدان: هو نبي الله يحيى عليه السلام من أقرباء السيد المسيح وأكبر منه ببضعة أشهر فقط، بشر في فلسطين باقتراب ملكوت الله، وانتهت حياته بقطع رأسه من قبل هيرودس، ينظر موسوعة الكتاب المقدس، دار منهل الحياة، لبنان، 1993م، ص355.

[3] متّى 3: 1-6، مرقس 1: 1-11 لوقا 3: 1-18.

[4] متّى 4: 17.

نفسها تشهد بأن الآب أرسلني»[1] وشهد تلاميذ المسيح عليه السلام على هذه الحقيقة فيقول بطرس: «يا بني إسرائيل اسمعوا هذا الكلام: كان يسوع الناصري رجلاً أيده الله بينكم بما أجرى على يديه من العجائب والمعجزات والآيات كما كنتم تعرفون»[2] لكن هذه المعجزات أخذت منحى ثانياً في فكر الذين توهموا لاهوت المسيح، واستدلوا بها على ان للسيد المسيح عليه السلام القوة الإلهية والفعل الإلهي في إحياء الموتى وعمل المعجزات، وهذا يخالف ما ورد على لسان السيد المسيح عليه السلام وشهادة تلميذه بطرس على ذلك، مع وجود العديد من الشواهد الكتابية التي توضح أن الكثير من الأنبياء والرسل وحتى تلاميذ المسيح كانت لهم معجزات كثيرة وردت في الكتاب المقدس ولم تختص بالسيد المسيح عليه السلام وحده ومنها إحياء الموتى حيث أحيا بطرس وبولس أناساً قد ماتوا[3] وهذا الأمر موجود أيضاً في العهد القديم وبكثرة[4]، فما من نبي بعث إلى وأظهر الله على يديه ما يدل على صدقه من المعجزات وغيرها، وكان لهذه المسألة تأثيرها المهم عند النصارى، فأول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق العادات، تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه، ثم ان كتبة الأناجيل وعلى لسان السيد المسيح عليه السلام جعلوا ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده[5].

رابعاً: مقدمات لنهاية دعوة السيد المسيح عليه السلام

1. مجادلة المسيح لقادة اليهود

إن رسالة السيد المسيح كانت لبني إسرائيل[6] لتصحيح انحرافهم عن المنهج الذي وضعه الله تعالى لهم على لسان موسى وهارون (عليهما السلام) لعدم التزامهم بأحكام التوراة وتطبيقها، لذا فان محاورات السيد المسيح مع اليهود

---

[1] يوحنا 5: 30-37.

[2] أعمال الرسل 2: 22.

[3] م. ن، 9: 40-41، 20: 9 - 12.

[4] ينظر، الملوك الأول 17: 21-23، الملوك الثاني 4: 8-36.

[5] ينظر، الشيخ محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة، دار المنار، مصر 1373هـ، ص22؛ المستشار محمد عزت الطهطاوي، في مقارنة الأديان، النصرانية والإسلام، مكتبة النافذة، (ط1)، الجيزة، مصر، 2004م، ص150

[6] متّى 15: 25.

كانت في غالبها - كما في الأناجيل - تأخذ اتجاه المجادلات، والمناقشات، وضرب الأمثلة، ودعوة الناس إلى الالتزام بالشريعة إلا أنه ﷺ منذ البداية حين تحرك ينشد الصلاح والخلاص محاولاً أن يستأنس الخراف الضالة من بني إسرائيل، تحرك في مجتمع متعفن التقاليد جامد العواطف تسيطر عليه الطبقة المستغلة من تجار الحكم، وتجار المال، وتجار الدين، و وسط صراع وتناقضات مجتمع العشارين «جباة الضرائب»، والمرابين، والفريسيين*، والصدوقيين*، وكان هذا وحده كفيلاً بان يعرضه للمشقة وللمخاطر وبأن يقضي عليه وعلى دعوته منذ البداية الأولى[1]. فكان من البديهي ان يصطدم ﷺ بالكهنة والمعلمين منذ بداية دعوته لأنهم حملة الشريعة ومعلميها للعامة من الناس.

لقد أوردت الأناجيل مجادلات حدثت بين السيد المسيح ﷺ وبين الفريسيين منها

«يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار فانه من فضله القلب يتكلم الفم ... الويل لكم أيها الكتبة والفريسييون المراؤون، الويل لكم أيها القادة العميان، أيها الجهال والعميان، أيها الفريسي الأعمى، أيها الحيات أولاد الأفاعي» ثم اختتم كلامه بالكلام على أورشليم فقال «يأورشليم، يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت ان أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا هوذا بينكم يترك لكم خراباً»[2]. وبعدها أجتمع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب في دار رئيس الكهنة المدعو قيافا*

---

* الفريسيون: جماعة يهودية متزمتة، كانوا يؤيدون الطاعة الحرفية للشريعة والتقاليد اليهودية، وكان لهم نفوذ كبير في المجامع، رفضوا دعوى المسيح لأنه لم يتبع كل تقاليدهم، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص 232.

* الصدوقيون: وهم الطبقة العليا الثرية، وحزب الكهنة اليهودي، كانوا لا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمس دون سائر الأسفار، وكانوا يربحون من التجارة في الهيكل، يشكلون مع الفريسيين اكبر حزبين في المحكمة اليهودية العليا، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص 194.

[1] صابر عبد الرحمن طعيمه، اليهود في موكب التأريخ، دراسة تحليلية منذ عصر أبي الأنبياء إبراهيم، مكتبة القاهرة الحديثة، (ط1)، 1969م، ص325.

[2] متّى 23: 38.37، مرقس 7: 7.5، متّى 16: 12.5، 21: 14.

* قيافا : رئيس الكهنة في أورشليم بين 36.18م. شارك في محاكمة السيد المسيح مع حموه حنّان بإرساله المسيح إلى بيلاطس ليحكم عليه، كان يضطهد المسيحيين الأولين في أورشليم. ينظر موسوعة الكتاب المقدس ص246.

وتآمروا لكي يقبضوا على المسيح ﷺ ويقتلوه ولكنهم أجلوا هذا العمل بعد العيد كي لا يحدث اضطراب بين الشعب [1]، والعيد الذي كانوا يحضرون له هو عيد الفصح ومن الملاحظ انهم قبضوا عليه في العيد نفسه ! فلماذا أصرَّ كتبة الأناجيل على هذه العبارة هنا ؟.

ولا يفهم السبب الذي حدا بكتبة الأناجيل إلى جعل دعوة السيد المسيح ﷺ تتسم بالعنف والكلام الجارح، بل إن الأناجيل تروي أن السيد المسيح ﷺ كان يصف الأمميين بوصف الكلاب[2] وهذه التسمية يطلقها اليهود على غيرهم من الأمم، وذكر محررو الأناجيل كلاماً مشابهاً له في مواضع عديدة[3].

إن كتبة الأناجيل قد جعلوا السيد المسيح هو السبب الأول في إفشال دعوته عند الساسة اليهود، ورجال الدين، وذلك باستخدامه الأسلوب الهجومي الجارح وعدم استخدامه أسلوباً ليناً يجعل من دعوته موضع قبول عند اليهود، وهذا ما يوضح سبب قصر دعوته ﷺ التي لا تتجاوز ثلاث سنوات. حسب ما يفهم من الأناجيل..

2- تنبؤات المسيح حول نهايته.

أ- تنبؤات المسيح بموته (حسب الأناجيل).

تذكر الأناجيل أن المسيح تنبأ بموته ثلاث مرات: الأولى في نواحي قيصرية فيلبس قال متّى: «ومنذ ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم فأخذه بطرس إليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يارب لا يكون لك هذا فالتفت وقال لبطرس اذهب عني ياشيطان أنت معثرة لي لأنك لا تهتم بالله لكن بما للناس حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه وليحمل صليبه وليتبعني فانه من أراد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من اجلي يجدها لأنه ماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي

---

[1] متّى 26: 53.

[2] متّى 15: 21 ـ28.

[3] ينظر متّى 10: 34 ـ 36 «لا تظنوا أني جئت القي سلاماً فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنه ضد حماتها وأعداء الإنسان أهل بيته» ولوقا: 12: 51.49 «جئت لألقي ناراً على الأرض» ولوقا 14: 26 «إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وامه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسه ايضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً».

الإنسان فداء عن نفسه فان ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله. الحق أقول لكم إن من القيام هاهنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته))[1].

ويستشف من هذا التنبؤ أموراً ثلاثة:

الأمر الأول: حوار بطرس مع المسيح يكشف تناقضاً إنجيلياً في داخل إنجيل متّى، حيث أورد كاتب الإنجيل وقبل هذه الفقرات السابقة كلاما وعلى لسان السيد المسيح عليه السلام تتحدث عن بطرس بشكل مغاير فتقول: أن المسيح سأل تلاميذه عن نفسه فقال له بطرس: «أنت هو المسيح ابن الله الحي فأجاب يسوع وقال له طوبى لك ياسمعان بن يونا إن لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبي الذي في السماوات وأنا أقول لك أيضاً أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً في السماوات وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً في السماوات»[2]. هذا إذا أضفنا إليها أن المسيح عين بطرس خليفة له حين قال: «يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء قال: نعم يارب تعلم أني أحبك قال له: ارع خرافي»[3]. فكان بطرس رئيساً للحواريين من بعد المسيح، فكيف بعد ذلك ينتهر ربه ولا يصدق كلامه، وكيف يعينه المسيح عليه السلام رئيساً للحواريين وكل ما يربطه يكون مربوطاً في السماوات وكل ما يحله يكون محلولاً في السماوات ثم يسميه معثرة وشيطاناً ؟ !!.

الأمر الثاني: هو قول المسيح إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، ومن هنا جرت العادة عند النصارى في حمل الصليب، وارتدائه فهو عندهم رمز للتضحية الكبيرة التي قام بها السيد المسيح عليه السلام من اجل خلاص البشر، وينسب النصارى هذا القول إلى السيد المسيح وهو قول يدعو إلى العجب وذلك لأن الصلب كانت عاده رومانية وليست عادة يهودية ولم يكن اليهود يستخدمون هذه الطريقة لقتل المجرمين فهي بعيدة عن التقاليد اليهودية كي

---

[1] متّى 16: 21-28

[2] م. ن 16: 16-20

[3] يوحنا 21: 15

يستشهد بها السيد المسيح عليه السلام في كلامه[1]. مع إن الرومان كانوا يقصدون من حمل الصليب دليلاً على صدور الحكم بالإعدام صلباً ومعنى ذلك الموت في ابشع صورة، وهناك من يرى ان السيد المسيح عليه السلام كان يستخدم الصورة المجازية في قوله هذا، وكان قصده الإتّباع الكامل والمخاطرة بالموت والاستهانة بالحياة[2]. ولكن ذلك لا يفسر لماذا صورت الأناجيل المسيح جزوعاً من الموت ويتصبب عرقاً ويدعو الله لكي ينجيه من هذه التجربة، ويصرخ على الصليب صرخة اليأس، ألم يكن الأجدر به في هذه الحالة أن يصبر حتى يوافق عملُه كلامه ويكون مثلاً أعلى لأتباعه وتلاميذه.

الأمر الثالث: هو قول السيد المسيح عليه السلام في هذا التنبؤ «الحق أقول لكم أن من القيام هاهنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته» وفي هذه الفقرة إخبار من المسيح على أن عودته إلى الأرض ستكون قبل أن يموت القوم الذين معه، وهذه الفقرة يوجد لها نظير أيضاً في كلام السيد المسيح في إنجيل متّى حين دعا تلاميذه كي يرسلهم للتبشير فقال لهم «ومتى طردوكم من هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فأني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان»[3]. أي انه سوف يعود ثانيه إلى الأرض قبل ان يكمل تلاميذه التبشير في مدن إسرائيل وقال أيضاً «الحق أقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله»[4]. وهذا التنبؤ يوجد أيضا في إنجيل مرقس[5]، ولوقا[6] إلا أن هذه التنبؤات لم تحدث فلا القيامة قامت ولا المسيح عاد بل إن كل ماراه التلاميذ هو إنسان معلق إلى خشبه[7].

---

[1] راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، (ط1)، 1405هـ –1985م ص60(بتصرف)

[2] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص1927.

[3] متّى 10: 23

[4] م. ن 24: 34

[5] مرقس 8: 31، 9: 1

[6] لوقا 9: 21-27

[7] المرة الثانية في تنبؤ المسيح بالموت كانت عند خروجه من الجليل إلى كفر ناحوم، ينظر، مرقس 9: 30-32 ويلاحظ ان التلاميذ لم يفهموا قوله عندما قال لهم انه ينبغي أن يسلم إلى أيدي الناس ليقتلوه مع أنها المرة الثانية التي يخبرهم بها، والمرة الثالثة كانت عند ذهابهم إلى أورشليم، ينظر، لوقا18: 31 – 34 ؛ مرقس 10: 32-34 ؛ متّى20: 17-19.

ب- تنبؤات المسيح بنجاته من القتل

أورد كتبة الأناجيل أقوالاً واضحة وجليه للسيد المسيح ﷺ يبين فيها نجاته من القتل وهذه الأقوال من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى تأويل لكي يستقيم معناها، منها ما رواه يوحنا في إنجيله قال: «سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خداماً ليمسكوه فقال لهم يسوع أنا معكم زماناً يسيراً بعد ثم امضي إلى الذي أرسلني ستطلبوني ولاتجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون انتم أن تأتوا فقال اليهود فيما بينهم إلى أين هذا مزمع أن يذهب حتى لانجده نحن ألعله مزمع أن يذهب إلى شتات اليونانيين ويعلم اليونانيين. ما هذا القول الذي قال ستطلبوني ولاتجدونني وحيث أكون أنا لا تقدرون انتم أن تأتوا»[1]. إن هذا النص يوضح أن المسيح لم يتنبأ بنجاته من القتل فحسب بل انه وضح أن يد العناية الإلهية سوف تتدخل لإنقاذه قبل أن يحاولوا أن يصلوا إليه أي انه سوف يرفع قبل أن يصلوا إليه كما بين القرآن الكريم[2]. فعبارة ستطلبوني ولا تجدونني تبين بوضوح انهم سيحاولون طلبه كي يقتلوه إلا انهم لن يجدوه في هذا المكان لأنه سوف يرفع ثم إذا رفع فمن البديهي انهم لا يقدرون أن يأتوا إليه لأنه سوف يكون في السماء، وهو أولى من القول بأنه يذهب إلى منطقة أخرى كاليونان مثل ما افترض الفريسييون ورؤساء الكهنة لأنه في أي مكان يوجد على الأرض فأنهم يستطيعون الوصول إليه إلا إذا كان في السماء وهذا ما قصده السيد المسيح ﷺ بذلك الكلام[3].

جـ- تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل

تنبأت المزامير بنجاة المسيح من القتل ومن المؤامرة التي كان يحيكها ضده الكهنة ورؤساء اليهود بل إنها بينت أن الله رفعه وأهلك الشرير الذي كان يريد أن يسلمه للصلب، ومن هذه المزامير المزمور العشرون الذي يقول: «ليستجيب لك الرب في يوم الضيق ليرفعك اسم إله يعقوب ليرسل لك عوناً من قدسه ومن صهيون

---

[1] يوحنا 7: 32–34، 8: 21–29.

[2] سورة النساء الآية 158.157 قال تعالى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ۝ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾

[3] عن تنبؤات المسيح بنجاته من القتل ـ حسب الأناجيل ـ ينظر، أحمد عبد الوهاب، المسيح من مصادر العقائد المسيحية، دار غريب للطباعة، (ط1)، مصر، 1987م، ص207

ليعضدك ليذكر كل تقدماتك... ليعطيك حسب قلبك ويتمم كل رأيك ... الآن عرفت ان الرب مخلص مسيحه يستجيبه من سماء قدسه: بجبروت خلاص يمينه هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل أما نحن فأسم الرب ألهنا نذكر، هم جثوا وسقطوا أما نحن فقمنا وانتصبنا يارب خلص ليستجيب لنا الملك في يوم دعائنا»[1] يتكلم كاتب المزمور[2] عن عبد بار طاهر القلب وهو المسيح «الرب مخلص مسيحه» ويصور الضيق المنتظر الذي يأتي من أعدائه الذين يدبرون المكايد له الذين لديهم القوة المادية من مركبات وخيل، بالمقابل فان قوة المسيح ذلك العبد المتضرع تتمثل في صلاته، وتسبيحه، وحين يريدون أن يصلوا إلى مبتغاهم في القبض عليه تتدخل ذراع الرب القوية فتفعل الأعاجيب وتخلص المسيح ، وآنذاك يسقطون على الأرض من هول الصدمة أما هو فقام، وانتصب، وارتفع إلى السماء، إن فقرات هذا المزمور تبين بوضوح نجاة السيد المسيح عليه السلام من القبض عليه وبالتالي صلبه [3].

3- سكب العطر والعشاء الأخير

أ- سكب العطر على المسيح

روت الأناجيل الأربعة[4] هذه الحادثة إلا أنها اختلفت في روايتها في مواضع عدة.

اختلفت في توقيع العمل: يبين متّى ومرقس ان سكب العطر على المسيح كان قبل عيد الفصح بيومين، أما لوقا فانه يروي هذه القصة قبل مقتل يوحنا المعمدان، وقبل أن يدخل المسيح إلى أورشليم، ويروي يوحنا هذه القصة قبل عيد الفصح بستة أيام.

وفي مكان الحادث: روى متّى ومرقس ان الحادث وقع في بيت سمعان الأبرص أما لوقا فقال أنها كانت في بيت فريسي ويوحنا جعلها في بيت الأخوة لعازر ومريم ومرثا.

وفي شخصية المرأة: لم يذكر «متّى ومرقس» شخصية المرأة التي سكبت العطر، أما لوقا فقال أنها امرأة خاطئة ويوحنا جعلها امرأة صدّيقه هي مريم أخت لعازر. وهناك فرق كبير بين الصدّيقة والخاطئة، فأيهما فعلت ذلك ! ؟.

---

[1] المزمور 20: 1-9 وينظر أيضاً المزامير (9،16،21،22،31).

[2] يعتقد النصارى أن كاتب المزمور هو داود عليه السلام.

[3] عن نجاة السيد المسيح من الصلب، ينظر، رسالتنا للماجستير، الصلب والقيام في المسيحية دراسة تحليلية، مقدمة إلى مجلس كلية أصول الدين، سنة 2001م ص 12 وما بعدها ؛ أحمد عبد الوهاب، المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص211.

[4] متّى 26: 6-7، مرقس 14: 1-4، لوقا 7: 36-39، يوحنا 12: 1-4.

ثم إنها ماذا فعلت: قال «مرقس ومتّى» أنها دهنت رأس يسوع بالطيب أما «لوقا ويوحنا» فقالوا دهنت رجليه بالطيب. فيلاحظ مدى الاختلاف في رواية هذه القصة المهمة التي تعد من مقدمات أحداث الصلب، ويعلل ذلك تفسير الكتاب المقدس[1] بالقول: «أن الهدف الرئيسي لكتبة الإنجيل لم يكن تقديم قصه مرتبه زمنياً عن حياة يسوع بل إعطاء سجل دقيق عن رسالته، وربما أختار متّى ومرقس وضع هذه الحادثة هنا للمقارنة بين ولاء مريم الكامل وخيانة يهوذا التي ورد ذكرها عقب ذلك في الإنجيلين» وهذا كلام فيه مغالطات واضحة، وذلك لأن كتبة الأناجيل يتحدثون عن حياة المسيح ﷺ منذ ولادته إلى صلبه، وقيامته مستخدمين التسلسل الزمني للأحداث، وعلى فرضية صحة هذا الكلام فهو يعطينا فكرة عن مدى حرية كتبة الأناجيل في استخدام النصوص الإنجيلية لصالح الأفكار التي يؤمنون بها، فيحذفون، ويغيرون في الأحداث حسب ما يحملون من أفكار ومعتقدات، ولو كان على حساب الأحداث الحقيقية.

ب- العشاء الأخير

ويقصد به آخر عشاء تناوله المسيح مع تلاميذه في يوم الفصح*. ويختلف كتبة الأناجيل في إعداد هذا العشاء حيث يختلف متّى مع مرقس ولوقا في الذين يجهزونه حيث يقرر متّى[2] ان التلاميذ جميعاً قاموا بإعداده، ويذكر مرقس[3] ولوقا[4] ان تلميذين فقط هما من أعداه ويذكرهما لوقا بالاسم[5] ، ويستغني مرقس عن ذكرهما. ثم أنهم اختلفوا في شيء آخر مهم جداً وهو توقيت العشاء الأخير فيلاحظ الأب روجي (R.P.Roguet) ان عيد الفصح معين بشكل مختلف زمنياً في الأناجيل الثلاثة المتوافقة وفي الإنجيل الرابع بالنسبة إلى عشاء المسيح الأخير مع الحواريين فيوحنا يقول بوقوع هذا العشاء قبل عيد الفصح[6]. أما

---

(1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2043.

* عيد الفصح: هو الاحتفال بذكرى الليلة التي تحرر فيها بنو إسرائيل من يد فرعون، وكان يعقب يوم الفصح عيد من سبعة أيام يسمى عيد الفطير، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص32.

(2) متّى 26: 18-19.

(3) مرقس 14: 12-23.

(4) لوقا 22: 7-10.

(5) وهما بطرس ويوحنا.

(6) يوحنا 14: 1-5.

الأناجيل الأخرى فتقول أنه حدث في أثناء عيد الفصح نفسه، ويؤدي هذا التضارب فضلاً عن ذلك إلى أمور غير معقولة، وتغيير كثير في تسلسل الأحداث فكيف يمكن تصور أن التراث الذي نقله المبشرون فيما بعد قد نسي زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح[1] .

إن اختلاف الأناجيل في توقيت العشاء الأخير ترتب عليه اختلافهم في نقطة جوهرية تعد واحدة من أهم عناصر قضية الصلب ألا وهي تحديد يوم الصلب، فإذا أخذنا برواية مرقس ومتّى ولوقا فان المسيح عليه السلام قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس، ثم كان القبض عليه بعد ذلك بقليل، وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة، أما الأخذ برواية يوحنا فهذا يعني أن القبض كان مساء الأربعاء وأن الصلب حدث يوم الخميس، فهل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة[2] ؟!!.

خامساً: القبض على السيد المسيح عليه السلام ومحاكمته.

1- القبض على السيد المسيح: بعد أن أنهى السيد المسيح عليه السلام العشاء الأخير خرج مع تلاميذه إلى جبل الزيتون ثم إلى بستان يدعى جشيماني* ، ويروي مرقس هذا الحدث فيقول: «وجاؤا إلى ضيعة اسمها جشيماني فقال لتلاميذه أجلسوا هنا حتى أصلي ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب وقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت امكثوا هنا واسهروا هنا ثم تقدم قليلاً وخر على الأرض وكان يصلي لكي تعبر عنه الساعة ان أمكن وقال يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فأجز عني هذه الكأس ولكن ليكن لا ما أريد أنا بل ما تريد أنت ثم جاء ووجدهم نياما فقال لبطرس يا سمعان[3]. أنت نائم أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة أما الروح فنشيط وأما الجسد

---

[1] نقلاً عن كتاب، موريس بوكاي، القران الكريم والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف، (ط 4)، القاهرة، 1977م، ص117 (بتصرف).

[2] أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص135.

* جشيماني: وهو بستان يقع شرقي أورشليم عبر وادي قدرون على مقربة من سفح جبل الزيتون ومعنى الأسم معصره الزيت، كان يتردد إليه المسيح وتلاميذه، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس ص99.

[3] اسمه الحقيقي سمعان وحين دعاه المسيح ليكون تلميذاً له سماه (بطرس) أي صخراً.، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص63.

فضعيف ومضى أيضاً وصلى قائلاً ذلك الكلام بعينه ثم رجع ووجدهم أيضاً نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه ثم جاء ثالثه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا يكفي قد أتت الساعة هوذا ابن الإنسان يسلم إلى الخطاة قوموا لنذهب هوذا الذي يسلمني قد اقترب»[1] ويروي متّى كلاماً مشابهاً لرواية مرقس، أما لوقا فانه يضيف: «وسخر له ملاك من السماء يقويه وإذا كان في جهاد كان يصلي بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازله على الأرض»[2] أما رواية يوحنا فإنها تذكر أن يسوع استنفذ الفترة ما بين خروج يهوذا لتنفيذ مؤامرته وعودته مع القوة التي جاءت للقبض على معلمه في جعل السيد المسيح عليه السلام يلقي محاضرة طويلة على تلاميذه استغرقت أربعة إصحاحات هي بقية الإصحاح (13) ثم الإصحاحات (14،15،16،17) فكانت تمثل نحو 20٪ في حجم إنجيل يوحنا، وقد تخلل تلك المحاضرة حوار بين المسيح عليه السلام وتلاميذه وفي كل هذا نجد يوحنا يركز على ما عده العلماء ـ فيما بعد ـ تأكيداً على لاهوت المسيح. ثم أن يوحنا صمت عن آلام المسيح ومعاناته في الحديقة ولم يذكر لنا سوى كلمة يسيرة عن حاله الفزع، والاضطراب التي لحقت به حين شعر بخطر المؤامرة يقترب منه، وكان ذلك في أثناء العشاء الأخير إذ قال يوحنا: «ولما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وقال الحق أقول لكم إن واحداً منكم يسلمني».

لقد انقسمت الآراء حول القيمة التاريخية لهذا الجزء وجرى تساؤل عما إذا كان يعد في الحقيقة جزءاً من المصدر الذي روى عنه مرقس، ويؤكد علماء النصارى على عدم احتمال قيام الكنيسة باختراع مشهد كان بالتأكيد مدمراً للرسل، كما أنه أكد حالة الفزع والحزن التي حلت بالمسيح، وذلك خلافاً لحالة الثبات، ورباطة الجأش التي واجه بها الموت كثير من المسيحيين الأوائل، ويؤكد آخرون أنه لم يكن في مقدور أحد ان يكون شاهداً لأغلب الحوادث المذكورة هنا كما لم يكن في مقدوره أن يعلم ما هي الصلاة التي صلاها المسيح عليه السلام وحيداً لذلك فانهم يعدون أن الصلاة النموذجية في الفقرة (36: يا أبا الأب كل شيء مستطاع لك فاجز عني) وتكرارها ثلاث مرات إنما هي شيء مصطنع مثل القول

---

[1] مرقس 14: 32-42.

[2] لوقا 22: 43-44.

بإنكار بطرس ثلاث مرات، إن القرار الموثوق منه حول ما جرى في الحديقة مستحيل [1].

لقد أوردت الأناجيل الأربعة حادثة القبض على السيد المسيح عليه السلام إلا أنها تباينت في أحداثها[2]، ففي هذه الروايات الأربع اختلافات وأمور غريبة فقد روى كل من مرقس ومتّى أن يهوذا تلميذ المسيح الذي تآمر لكي يسلم سيده قد قبَّل المسيح كعلامة لكي يعرفوه ومن ثم يقبضون عليه، وروى لوقا أن يهوذا كان على وشك ان يُقَبِّله، ولا يعرف يوحنا شيئاً عن هذه القُبله، ويذكر كل من مرقس ومتّى ان تحية وكلاماً جرى بين يهوذا والمسيح عليه السلام ، ويصمت لوقا عن تلك التحية بينما لا يذكر يوحنا شيئاً عن يهوذا سوى الصمت التام بعد ان قاد القوة التي جاءت للقبض عليه من البستان، ومن الأمور غير المعقولة في هذه الروايات هي قُبلة يهوذا للمسيح، فكيف يدعي كتبة الأناجيل أن الجماعة التي جاءت تقبض على المسيح لم تكن تعرفه إلا إذا قبَّله يهوذا مع ان المسيح عليه السلام في نفس الوقت قال لهم إني كنت أمامكم ومعكم في الهيكل فكيف يعقل بعد ذلك انهم لا يعرفونه، ثم أن هناك مسألة لم توضحها الأناجيل وسكتت عنها، وهي قطع بطرس لأذن العبد فكيف يعقل انهم لم يفعلوا له شيئاً بعد ان ضرب العبد ولم يعاقبوه !.

وروى يوحنا أن الجمع الذين جاؤوا للقبض على السيد المسيح عليه السلام حين قال لهم أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض وهي رواية فيها الكثير من المبالغة في الكلام، إلا إذا افترضنا أن أمراً غريباً قد حصل للسيد المسيح عليه السلام وهم واقفون ينظرون، وهذا الأمر لا يعدو أن يكون رفعه إلى السماء وتخليصه من أيديهم، فأهالهم الأمر فرجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض.

2- محاكمة المسيح: يتحدث النصارى ـ في أناجيلهم ـ عن ثلاث محاكمات أجريت للسيد المسيح عليه السلام إلا أنها تفاوتت في رواياتها حيث يقول مرقس عن

---

[1] D.E nineham: **SAINT MARK**, penguin Books dsworth middlesex ،england ، 1963. p.p 389,390

نقلاً عن كتاب، أحمد عبد الوهاب، المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص141. (بتصرف)

[2] ينظر، مرقس 14: 43-52، لوقا 22: 47-48، يوحنا 18: 3-11، متّى 26: 47-57

[2] ينظر، مرقس 14: 43-52، لوقا 22: 47-48، يوحنا 18: 3-11، متّى 26: 47-57

المحاكمة الأولى: «مضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فأجتمع معه رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالساً بين الخدام يستدفئ عند النار وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهاداتهم ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين: نحن سمعناه يقول إني انقض هذا الهيكل المصنوع بالأيدي وفي ثلاثة أيام ابني آخر غير مصنوع بأياد ولا بهذا كانت شهاداتهم تتفق فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع أما تجيب بشيء ماذا يشهد به هؤلاء عليك أما هو فكان ساكتاً ولم يجب بشيءٍ فسأله رئيس الكهنة أيضاً فقال له أأنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة وآتياً في سحاب السماء فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود قد سمعتم التجاديف ما رأيكم فالجميع حكموا عليه انه مستوجب الموت فأبتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ وكان الخدام يلطمونه»[1] .

وأما رواية متّى فقد اختصر الكثير منها وأضاف أليها بعض الإضافات منها قسم رئيس الكهنة «استحلفك بالله الحي ان تقول هل أنت المسيح ابن الله»[2] أما لوقا فان روايته تختلف عن متّى ومرقس في عنصر مهم وهو ان الأخيرين جعلا محاكمة المسيح أمام مجمع اليهود تحدث في الليل عقب القبض عليه مباشرة بينما يجعلها لوقا في صباح اليوم التالي[3] أما رواية يوحنا فإنها مختلفة عنهم إذ إنها تجعل القوة تذهب بالمقبوض عليه إلى حنان أولاً - حما قيافا رئيس الكهنة - بدلاً من الذهاب إلى رئيس الكهنة مباشرة ثم ان حنان أرسله موثوقاً إلى قيافا دون ذكر أي شيء عن مجمع اليهود[4] وعند تحليل النص الذي أورده مرقس - بعد هذا التباين في روايات الأناجيل - نلاحظ أن جميع أعضاء مجمع السنهدرين* قد حضروا هذه الجلسة فهل كان من الممكن ان يجتمع أعضاء المجمع ولو حتى لعمل

---

[1] مرقس 14: 53-65.

[2] متّى 26: 63.

[3] لوقا 22: 66-71.

[4] يوحنا 18: 24.

* السنهدرين: مجمع رؤساء اليهود أو المجلس الأعلى لهم، يتكون من سبعين عضواً برئاسة رئيس الكهنة وهو يدير شؤون اليهود، ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2278

مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التي تسبق المحكمة في منتصف ليلة عيد الفصح ،، ان محاكمة رسمية في مثل ذلك الوقت تبدو شيئاً لايمكن تصديقه وخصوصاً في حالة جلب شهود لهذه المحكمة وتحريض شهود الزور وتلقينهم شهاداتهم مسبقاً كأجراء وقائي لابد منه لكي تتفق شهاداتهم. وحسب الشريعة اليهودية فلا الأقوال التي نسبت للمسيح عن نقض الهيكل حتى لو أمكن إثباتها، ولا إجابته لرئيس الكهنة تعد تجديفاً على الاسم الإلهي مما يقتضي محاسبته بطريقة ثانية ليست الصلب كما يذكر ذلك سفر اللاويين: «وكلم (الرب) بني إسرائيل قائلاً كل من سب آلهة يحمل خطيته ومن جدف على اسم الرب فانه يقتل يرجمه كل الجماعة رجماً»[1] فإذا كان المسيح قد أدين بسبب التجديف (كما تقرر الأناجيل) فلماذا لم تقم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب وذلك برجمه حتى الموت على وفق ما يقوله سفر اللاويين.

وتذكر الأناجيل محاكمة ثانية للمسيح حدثت في صباح اليوم الثاني حيث اقتيد السيد المسيح إلى بيلاطس البنطي* الذي لم يجده مذنباً فأراد إطلاق سراحه إلا أن قادة اليهود رفضوا ذلك، وتذكر الأناجيل انه كان يطلق لهم في كل عيد أسيراً واحداً يختارونه هم فأرادوا إطلاق سراح باراباس* وصلب المسيح فلبي طلبهم ذلك، ولا يعلم السبب الذي حدا بالكهنة والرؤساء والشيوخ ان يذهبوا بالمسيح إلى بيلاطس بعد ان أدين بالتجديف ولم يعاقبوه بالرجم بل انهم اختاروا محاكمة الرومان له لكي يعاقب بالصلب إذا أضفنا إليها إطلاق سراح باراباس ثم «انه لم يقم دليل على ما إنه كان ثمة عادة في هذا القبيل، وليس في تاريخ الرومان كله إشارة إلى شيء كهذا، وليس من المعقول ان يهب الرومان اليهود منحة كهذه في تلك الأوقات الجياشة بالاضطراب والفتن، وليس من طبائع الأمور ان يتخيل ضابط معروف بالحزم، والصرامة مثل بيلاطس فيأمر بتخلية قاتل أثيم مثل باراباس»[2].

---

[1] سفر اللاويين 24: 15-16.

* بيلاطس البنطي: الوالي الروماني على اليهودية (26-37) كان قاسياً وغير محبوب لدى اليهود، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص73.

* باراباس: لص وقاتل سجن بتهمة العصيان قبل إلقاء القبض على المسيح، أطلق سراحه وصلب المسيح مكانه بناء على طلب اليهود ،. ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص59.

[2] عصام الدين حنفي ناصيف، المسيح من مفهوم معاصر، دار الطليعة، (ط1)، بيروت،، آب- أغسطس 1979م، ص98.

وأضاف متّى إلى رواية مرقس قصة نهاية يهوذا حيث يذكر انه بعد سلم المسيح وعلم انه أدين وسوف يحاكم ذهب إلى الهيكل وألقى الفضة على رؤساء الكهنة والشيوخ ثم مضى وشنق نفسه فاشتروا بهذه الأموال حقل الفخاري ليكون مقبرة للغرباء وسمي حقل الدم[1] ولا نجد هذه القصة في إنجيل آخر إلا في سفر أعمال الرسل[2] الذي خالف إنجيل متّى حول نهاية يهوذا حيث يقول انه سقط على وجهه وانشق من الوسط فانسكبت أحشاؤه كلها. ومن الغريب أن الأناجيل الثلاثة لا تذكر نهاية يهوذا، وحين ذُكرتْ في سفر الأعمال خالفت رواية الإنجيل الوحيد الذي ذكرها لتزيد الغموض أكثر في قصة تسليم يهوذا للمسيح ونهايته على ما ذكر العهد الجديد.

أما المحاكمة الثالثة فلم يذكرها إلا لوقا[3] وغفل عنها بقية كتبة الأناجيل وهذه المحاكمة كانت أمام هيرودس*. ولا يعلم ما الذي حدا بلوقا إلى جعل بيلاطس يرسل المسيح إلى هيدروس ثم هل ان الوقت يسمح لكل هذه المحاكمات والذهاب والإياب مع العلم ان القبض على السيد المسيح كان في منتصف الليل والصلب كان في الساعة التاسعة صباحاً فهل تكفي هذه المدة القصيرة لعقد ثلاث محاكم مع شهودها، يتخللها الذهاب والإياب بين هذه المحاكم ؟.

وتبين الأناجيل أن بيلاطس بعد ان رأى إصرار اليهود على صلب المسيح أخذه فجلده وأسلمه للصلب[4]. ويروي متّى ومرقس ان الجنود أخذوا المسيح إلى داخل دار الولاية وجمعوا كل الكتبة وألبسوه ارجوانا وصنعوا إكليلا من الشوك ووضعوه عليه وابتدؤا يسلمون عليه قائلين السلام ياملك اليهود، وكانوا يضربونه على رأسه بقصبه ويبصقون عليه، ثم يسجدون له جاثمين على ركبهم استهزاءً به، وبعدها نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه[5].

---

(1) متّى 27: 3-10.

(2) سفر أعمال الرسل 1: 18-19.

(3) لوقا: 23: 6-12.

* هيردوس انتيباس: رئيس الربع حكم الجليل من 4 ق.م حتى 39م حبس يوحنا المعمدان ونتيجة لوعد متسرع منه استجاب لطلب زوجته وأمر بقطع رأس يوحنا.. ينظر، موسوعة الكتاب المقدس ص331.

(4) مرقس 15: 14، متّى 27: 24-26، لوقا 15: 14-15 يوحنا 18: 39 19: 16.

(5) متّى 27: 27-31، مرقس 15: 16-20.

ويصر كتبة الأناجيل الذين يحملون أفكار الخلاص الإلهي على تدوين هذه الأحداث متناسين أحداث بستان جشيماني، وكيف أن المسيح ألح في الدعاء والطلب من الله لكلي يخلصه من هذه المحنه، وكان مما قال مخاطباً الله تعالى «كل شيء مستطاع لك فاجز عني هذه الكأس» وذلك لكي لا تحدث عملية الصلب التي يصر كتبة الأناجيل على تدوينها ويزخر بها الفكر المسيحي.

سادساً: صلب السيد المسيح ودفنه

1- صلب السيد المسيح

تروي الأناجيل ان المسيح بعد ان ضرب واستُهزِئ به أخذوه لكي يصلب فسار حاملاً صليبه إلى مكان الصلب الذي يدعى الجلجثَة*، وكان المتهم المحكوم عليه بالصلب يجبر على حمل صليبه عبر طريق طويل حتى موضع الصلب، ويجبر على حمله أمام الناس كتحذير لهم، وتروي الأناجيل الثلاثة الأولى ان الذي حمل الصليب هو (سمعان القيرواني) بينما يروي إنجيل يوحنا أن الذي حمل الصليب هو المسيح نفسه.

وتباينت روايات الأناجيل حول تعليق المسيح على الصليب، فقد أورد مرقس أن الجند هم الذين أعطوا المسيح خمراً ممزوجة بمر* فرفض أن يشربها بينما يقول متّى إن الذي أراد أن يسقي المسيح الخمر هو واحد من الذين كانوا عند موضع الصلب[1]، أما لوقا ويوحنا فلا يسجلان شيئاً عن هذا الشراب.

وبين مرقس أن عنوان اللوحة التي علقت في عنق المسيح فيها عبارة (ملك اليهود) أما متّى فيقول كان مكتوباً (هذا هو يسوع ملك اليهود) ويقول لوقا (وكان عنواناً مكتوباً فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية (هذا هو ملك اليهود) ويقول يوحنا وكتب بيلاطس عنواناً ووضعه على الصليب وكان مكتوباً (يسوع الناصري ملك اليهود) فيلاحظ اختلاف الروايات في هذه المسألة التي يفترض أنها شوهدت

---

* الجلجثه: أو الجمجمة وهو تلُ خارج أورشليم على الطريقة الرئيسي، وقد جرت في هذه الموضع الكثير من أحكام الإعدام وكان الرومان يستغلون ذلك كنموذج وعبره أمام الشعب، ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2237.

* المر: هو صمغ أصفر باهت من شجره تنمو في الصومال، والحبشة، وبلاد العرب، وكان يستعمل كدواء ويعطى كمسكن قبيل الصلب، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص290.

[1] متّى 27: 49.

من الكثيرين، إلا أن كتبة الأناجيل لم يستطيعوا أن يصلوا إلى صيغه متفق عليها، وسبب هذا أن الأناجيل كتبت بعد رفع السيد المسيح بمده طويلة فأن أول الأناجيل تأليفاً هو إنجيل مرقس ويرجح انه ألف سنة(65م) أي بعد رفع السيد المسيح عليه السلام بـ (35 سنة) فمن المؤكد أن ذاكرة كتبة الأناجيل سوف يمحى الكثير منها بعد هذه الحقبة ثم يزيد الناس الكثير من الأحداث حول قصة السيد المسيح لذلك فأن عبارة صغيرة كانت توضع فوق المصلوب وهو يسير عبر أربع عشرة مرحلة . طريق الآلام . ثم يصلب والعبارة معلقة فوق رأسه ولا يتفق الإنجيليون عليها !.

وبين مرقس ان الجنود لما صلبوا المسيح اقتسموا ثيابه مقترعين عليها ويذكر متّى ولوقا نفس هذا الكلام تقريباً إلا أن يوحنا بين هذا الاقتسام فقال: «ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع أخذوا ثيابه وجعلوها أربعة أقسام لكل عسكري قسم، وأخذوا القميص أيضاً وكان القميص بغير خياطة كله من فوق بعضهم لا نشقه بل نقترع عليه لمن يكون ليتم الكلام القائل اقتسموا ثيابي وعلى لباسي ألقوا قرعه»[1]. إن هذا المزمور الذي اقتبس منه مرقس يعد من أكثر المزامير التي نقل عنها كتبة الأناجيل، فقد اقتبسوا منه ما لونوا به قصة الصلب والآلام و استشهد به بقية كتبه أسفار العهد الجديد[2]. وهو في حقيقته لا يعدو أن يكون تقريراً عن محنة قاسية تعرض لها داود عليه السلام وكادت تقضي عليه قتلاً بيد أعدائه لولا أن تداركه الله بالخلاص من شرهم[3].

إن فهم العلماء لهذا المزمور يتمثل فيما يقوله نينهام: «بأننا لو أخذناه ككل فانه لا يعدو ان يكون صلاة لعبد بار يعاني آلاماً إلا أنه يثق تماماً في حب الله له وحفظه من الشر وهو مطمئن تماماً لحمايته لذلك يقول في المزمور (لأنه لم يحتقر ولم يزول مسكنه المسكين ولم يحجب وجهه عنه بل صراخه إليه استمع) على العكس الذي كان على الصليب فلم ينقذه الله ولم يستمع إليه، وتوجد بعض الشواهد على افتتاحية المزمور التي كان يفسرها قدامى اليهود على ضوء بقية أجزائه وانه كان

---

[1] يوحنا 19: 23-24.

[2] ينظر، مرقس 15: 24، 29، 34، متّى 6: 13، 27: 43، 46، لوقا 23: 35، يوحنا 14: 24 وكاتب الرسالة إلى العبرانيين 2: 12، 5: 7.

[3] شواهد قصة داود موجودة في سفر صموئيل الأول 27: 1-9، 30: 1-6، 18 —19 وأخبار الأيام الأول 12: 1-22.

يعرف كصيغه لصلاة مؤكدة الاستجابة من أجل العون في وقت الضيق»[1]، مع إن متّى يذكر عبارة «لكي يتم ما قيل بالنبي اقتسموا ثيابي بينهم وعلى لباسي القوا قرعة» فالمقصود بالنبي هنا داود عليه السلام وان الكلام كان على محنته التي أنجاه الله منها وليس القصد أنه كان يتنبأ للمسيح، فإقرار متّى هنا صريح ولا يحتاج إلى توضيح، فالقصة كلها تتحدث عن داود عليه السلام وليس عن المسيح عليه السلام، مع أن هناك فريقاً من العلماء يرى أن عبارة «ليتم الكلام القائل اقتسموا ثيابي وعلى لباسي ألقوا قرعه» قد أضيفت فيما بعد لانجيل متّى وأنها واجبة الحذف[2].

واختلفت الأناجيل في وقت الصلب حيث يبين مرقس انه حدث في الساعة الثالثة[3] ولكن يوحنا يقول أن ذلك حدث بعد الساعة السادسة[4]. فيكون الصلب على حسب الأناجيل قد حدث عند الساعة الثالثة (9 صباحاً)[5] إلى الساعة التاسعة (3 بعد الظهر) وعلى رواية يوحنا أنها وقعت الساعة السادسة (الثانية عشرة ظهراً) ولم يحدد وقت موت المسيح فإذا كان مات في الساعة التاسعة (3 بعد الظهر) هذا يعني ان المسيح بقي على الصليب لمدة ثلاث ساعات فقط، وهذا يدعم الرأي القائل بان المسيح لم يمت على الصليب لأنه لم تكسر ساقاه كما كسرت ساقا اللصين الّذين كانا معه[6].

وتصور الأناجيل حال المسيح قبل تسليم الروح فيقول مرقس: «ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة وفي الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً الوي الوي لما شبقتني الذي تفسيره الهي الهي لماذا تركتني»[7] ولكن لوقا يقول: «وكان نحو الساعة السادسة فكانت ظلمة على

---

[1] D.E.Nineuham: **SAINT MARK**.p428 نقلاً عن كتاب، أحمد عبد الوهاب، المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص228.

[2] ينظر، رحمه الله الهندي، إظهار الحق، ص256.

[3] مرقس 15: 26.

[4] يوحنا 19: 14-16.

[5] اليوم أي فترة الأربع والعشرين ساعة اليهودية تبدأ عند الساعة السادسة مساءً وتنتهي الساعة السادسة مساءً في اليوم الثاني، ينظر، نصري سلهب، في خطى المسيح، ص393؛ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2157.

[6] ينظر، أحمد عبد الوهاب، المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص230.

[7] مرقس 15: 32-34.

الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. . ونادى يسوع بصوت عظيم وقال يا أبتاه في يدك استودع روحي»[1]. بينما يقول يوحنا: «بعد هذا رأى يسوع أن كل شيء كمل فلكي يتم الكتاب قال أنا عطشان وكان أناء موضوعاً مملوءاً خلاً فملؤوا إسفنجه من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه فلما أخذ يسوع الخل قال قد أكمل»[2]. إن جزع المسيح على الصليب وصرخة اليأس هذه تدعونا إلى القول أن المسيح - حسب الأناجيل - كان رافضاً لهذا الصلب ولهذا التدبير الإلهي في خلاص البشرية، ثم إن هذه الصرخة تثير عدداً من المشاكل التي كانت ولا تزال موضع جدل بين العلماء لذلك يقول احمد عبد الوهاب[3]: «يبدو أن القديسَيْن لوقا ويوحنا قد رأيا في كلماتها غموضاً واحتمالاً لسوء الفهم ولذلك حذفاها ثم استبدلها أحدهما بقوله: يا أبتاه في يدك استودع روحي بينما قال الآخر: قد أكمل وعلى العكس من ذلك فأن مثل هذا الرأي يفترض في الراوية الذي كان شاغله الأول ان يذكر الحقيقة التأريخية، ويسجل بأمانة للأجيال القادمة كلاماً مزعجاً يتعذر تفسيره».

إن الأناجيل الثلاثة الأولى روت حادثة انشقاق حجاب الهيكل بعد موت المسيح على الصليب، مع قيامة الأموات من قبورهم، ولكن يوحنا لا يعلم عن ذلك شيئاً على ان متّى جعل انشقاق حجاب الهيكل بعد موت المسيح، أما لوقا فجعله قبل موت المسيح. إن رواية متّى حول قيام الموتى من قبورهم ردها الكثير من العلماء، ومنهم «نورتن الذي قال إن هذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة عند اليهود بعدما صارت أورشليم خراباً، فلعل أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانية لإنجيل متّى وأدخلها الكُتاب في المتن، و وقعت في يد مترجم فترجمها على حسبه»[4] ويدل على عدم صحتها وجوه منها: أن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس في اليوم الثاني من الصلب قائلين ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال في حياته: أني أقوم بعد ثلاثة أيام فمر الحارسين أن يضبطوا القبر إلى اليوم الثالث، وقد صرح متّى في هذا الباب ان بيلاطس وامراته كانا غير راضيين بقتله، فلو ظهرت هذه الأمور ما كان يمكن لهم ان يذهبوا إليه، ولبقي حجاب الهيكل منشقاً، والصخور متشققة، والقبور مفتوحة، والأموات حيه إلى هذا الحين، ثم إن

---

[1] لوقا 23: 44-46.

[2] يوحنا 19: 28-30.

[3] المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص171.

[4] رحمه الله الهندي، إظهار الحق، ص152.

هذه الأمور آيات عظيمة فلو ظهرت لآمن كثير من الروم واليهود على ما جرت به العادة، حيث روى الكتاب المقدس انه لما نزل الروح القدس على الحواريين تكلموا بألسنة مختلفة تعجب الناس وآمن ثلاثة آلاف رجل كما هو مصرح في الإصحاح الثاني من سفر أعمال الرسل وهذه الأمور أعظم من القدرة على التكلم بألسنة مختلفة، ثم إن هذه الأمور العظيمة لما كانت ظاهرة ومشهورة يستبعد ان لا يكتبها أحد من مؤرخي ذلك الوقت غير متّى[1] ثم إن هذه الظلمة التي حدثت عند موت المسيح كان لها نظير عند الأمم الوثنية من قبل حيث «يقول الهنود انه لما مات كرشنة مخلصهم على الصليب حدثت في الكون مصائب جمة، وعلامات متنوعة، وأحاطت بالقمر دائرة سوداء، وأظلمت الشمس عند منتصف النهار، وأمطرت السماء ناراً، ورماداً، واندلعت ألسنة اللهب، وصارت الشياطين تفسد في الأرض، وشوهد عند شروق الشمس وغروبها آلاف الأشباح تتحارب في الهواء في كل جانب ومكان»[2] فتأثرُ كتبة الأناجيل بالأفكار الوثنية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت أسهم بصبغ قصة حياة السيد المسيح بالخرافات والأمور غير المعقولة.

2- دفن السيد المسيح.

يقول مرقس: «ولما كان المساء إذ كان الاستعداد أي ما قبل السبت، جاء يوسف* الذي من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظر ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع فتعجب بيلاطس انه مات هكذا سريعاً فدعا قائد المئة وسأله هل له زمان قد مات ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف فأشترى كتاناً فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه في قبر كان منحوتاً في صخرة ودحرج حجراً على باب القبر وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسي تنتظران أين يوضع»[3] أما متّى فأورد بعض التفاصيل المغايرة على ما أورده مرقس فحذف مشير شريف ووضع بدلها رجل غني، وحذف كذلك استفهام بيلاطس من قائد المئة عن موت يسوع كما بين أن القبر الجديد الذي وضع فيه المسيح كان ليوسف، أما

---

[1] رحمه الله الهندي، إظهار الحق، ص152.

[2] محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تعليق محمد بن إبراهيم الشيباني بدون دار طبع، (ط1)، 1408ـ1987م، ص57.

* يوسف الرامي: أحد أعضاء المجلس اليهودي الأعلى (السنهدرين) وتلميذ المسيح في السر دفن المسيح في قبر فارغ يعود له، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص356.

[3] مرقس 15: 42-47.

مرقس فانه لم يبين لمن هذا القبر ويقول لوقا ان يوسف وضعه في قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط[1]. بينما يشرك يوحنا نيقوديموس* مع يوسف في عملية الدفن ويوضح أنه دفن في بستان حيث يوجد قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط[2]. ان إسهاب الأناجيل في هذه الروايات كانت للتأكيد على مسألتين مهمتين هما: أن المسيح قد مات فعلاً، ودفن ومن ثمَّ فانه قد قام، والتأكيد على ان النساء اللاتي اكتشفن القبر الخالي فيما بعد لم يذهبن إلى قبر قد أخطأن معرفته بل لذات القبر اللاتي شاهدن بأنفسهن الجسد يوضع فيه[3]. وهذا ما يوضح تأكيد كتبة الأناجيل على ان النساء انتظرن إلى أن وضع الجسد في القبر ويبدو أن هذه الروايات كانت للرد على ما كان يطرح من آراء انتشرت في زمن كتابة الأناجيل فأدخلت إليها لتثبيت روايات دفن المسيح ونهاية حياته على الأرض ومن ثم قيامته.

وتذكر الأناجيل أن المسيح دفن في القبر الجديد الذي وضعه فيه يوسف الرامي وكان القبر عبارة عن مغارة منحوتة في تل صخري وكان من الأتساع بما يسمح لسير إنسان داخله وكان منحوتاً أفقياً وليس إلى الأسفل[4].

إن مسألة إسراع يوسف الرامي بإنزال جسد المسيح عن الصليب لها وجهان عند النصارى، الأول: أن المسيح كان قد مات في يوم الجمعة قبل غروب الشمس، وكان مما يتعارض مع الشريعة اليهودية القيام بأي عمل جسماني أو السفر يوم السبت فكان عليه إنزال الجسد قبل الغروب، لان يوم السبت يبدأ من الغروب كما أوضحنا سابقاً والوجه الثاني: ان مما يتعارض أيضاً مع الشريعة اليهودية أن يترك جسد ميت معلقاً الليل كله جاء في سفر التثنية «فلا تبت جثة على الخشبة بل تدفنه في ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التي يعطيك الرب الآهك نصيبا»[5] ويعلق بولس على هذا فيقول في رسالته إلى غلاطية «المسيح

---

[1] لوقا 23: 52.

* نيقود يموس: فريسي وعضو في المجلس اليهودي الأعلى (السنهدرين) جاء إلى المسيح بعد صلبه كي يلفه بالطيب.، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص327.

[2] يوحنا 19: 38-42.

[3] أحمد عبد الوهاب، المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص177 (بتصرف).

[4] عن صفة القبر، ينظر، أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والأوهام، ترجمة جمال نادر، دار الإسراء، (ط1)، عمان، الأردن، 1995م، ص61.

[5] التثنية 21: 23.

افتدانا من لعنة الناموس إذ صار لعنه لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة»[1]. ولا يكتفي النصارى بجعل ربهم ـ كما يعتقدون ـ ملعوناً، بل إنهم يجعلونه لعنة لأجل خطاياهم وعلى لسان قديسهم الأعظم بولس، ثم إن يوحنا انفرد في إنجيله بذكر كسر سيقان المصلوبين فقد طلب اليهود من بيلاطس ان تكسر سيقانهم لكي يموتوا بسرعة ولا تبقى جثثهم معلقة على الصليب يوم السبت «فعندما يعلق إنسان على الصليب تحدث وفاته نتيجة الخنق ولكنه إذا ضغط برجليه على خشبة الصليب ليحمل عليهما جسده فانه يمكنه ان يتنفس أما إذا قطعت رجلاه فلابد ان يختنق في الحال»[2] ثم إن العسكر كسروا ساقي الرجلين المصلوبين أما المسيح فلم يكسروا ساقيه.

إن مسألة موت المسيح بهذه السرعة على الصليب شك فيها حتى بيلاطس الذي استغرب أن يموت المسيح بهذه السرعة وخصوصاً إذا أخذنا برواية يوحنا التي يفهم منها أن عملية الصلب، وموت المسيح استغرقت ثلاث ساعات[3].

سابعاً - قيامة المسيح

1- القيام بعد الموت

كعادتها اختلفت الأناجيل في قيامه المسيح الحدث المهم ـ عند النصارى ـ فيذكر إنجيل مرقس أن الزائرات كن ثلاثاً من النسوة، لكن متّى يذكر اثنتين فقط، بينما يقول لوقا أنهن كن جميعاً من النساء أتين مع المسيح من الجليل ... ومعهن أناس، أما يوحنا فيجعل بطلة الزيارة مريم المجدلية بمفردها التي تذهب فورا لتحضر معها بطرس ويوحنا، ويجعل مرقس سبب الزيارة لدهن جسد المسيح ويتفق معه لوقا، في ذلك أما متّى فيجعل سببها كي تنظرا القبر ؟ ولا يعلم يوحنا شيئاً عن سبب الزيارة، وانفرد متّى في أن ملاك الرب هو الذي دحرج الحجر عن الباب، بينما لا يعرف الباقون من الذي دحرجه، ويروي مرقس ومتّى ان ملاكاً واحداً كان في القبر، بينما يقول لوقا ويوحنا بوجود ملاكين فيه. ويذكر مرقس أن النساء هربن من القبر ولم يخبرن التلاميذ بقيامة المسيح لأنهن كن خائفات، أما

---

[1] الرسالة إلى أهل غلاطية 3: 13.

[2] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2239.

[3] ينظر، ول ديورانت، قصة الحضارة الحضارة الرومانية، عصر الايمان، ترجمة محمد بدران، ج (11-12)، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1408 ـ 1988م، ص239.

متّى فيقول أنهن خرجن مسرعات ليخبرا التلاميذ الأحد عشر بقيامة المسيح، إما يوحنا فيجعل مريم المجدلية تخبر بطرس ويوحنا فقط وليس كل التلاميذ، ثم هل يعقل أن لا يعرف بطرس – رئيس الحواريين – مسألة مهمة بحجم مسألة قيام المسيح حتى يورد يوحنا أن بطرس ويوحنا لم يكونوا يعرفون الكتاب في انه ينبغي أن يقوم من الأموات ؟ إذا استثنينا يوحنا الذي لم يكن موجوداً مع التلاميذ فان الأناجيل تذكر في أكثر من موضع أن المسيح أخبر تلاميذه بأنه سوف يصلب، ويموت ثم في اليوم الثالث يقوم، فكيف يعقل أن لا يعرف بطرس ذلك وهو الذي وبخه المسيح ووصفه بأنه شيطان[1] لأنه أنكر على المسيح ذلك الأمر[2].

وتورد الأناجيل أن السيد المسيح ظهر بعد قيامته مرتين: - الأولى لمريم المجدلية، يقول إنجيل مرقس: «وبعدما قام باكراً في أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التي كان أخرج منها سبعة شياطين فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون فلما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا»[3]. أن نهاية إنجيل مرقس وتحديداً في الإصحاح السادس عشر من الفقرة (9-20) قد طعن فيها علماء النصارى في كونها ليست من عمل القديس مرقس وأنها أضيفت إليه فيما بعد «لذلك يقول نينهام أنه على الرغم من أن هذه الأعداد (9-20) تظهر في أغلب النسخ الموجودة لدينا من إنجيل مرقس إلا أن النسخة القياسية المراجعة مصيبة تماماً في عدها غير شرعية منزلة إياها من النص إلى الهامش ... إن كبار العلماء في القرن الرابع الميلادي مثل ايزيبيوس وجيروم يشهدون بان هذه الأعداء كانت ساقطة من أفضل النسخ الإغريقية المعلومة لديهم وقد أُقتُبِس منها مرة واحدة أو مرتين في كل المؤلفات التي كتبت حتى عام 325م، ويمكن القول بأنها أصبحت تقبل كجزء من إنجيل مرقس حوالي عام 180م»[4] أي إن هذه الفقرة قبلت عند المسيحيين بعد أن سطر مرقس إنجيله بنحو (120 سنة) ولم تأخذ الصورة القانونية إلا بعد مجمع نيقية سنة (325م).

---

[1] ينظر، متّى 16: 21-23، مرقس 8: 31-33، لوقا 9: 22.

[2] عن دحرجة الحجر وقيامه المسيح، ينظر، أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقية والأوهام، ص63-65.

[3] مرقس 16: 9-11.

[4] nineham: **Saint mark p 450** نقلاً عن كتاب، أحمد عبد الوهاب، المسيح من مصادر العقائد المسيحية، ص295.

والثانية: كان ظهوره للتلاميذ حيث روت الأناجيل الأربعة هذا الظهور إلا أنها تباينت في أحداثه حيث يتفق مرقس ومتّى على أن الظهور للأحد عشر تلميذاً حدث في الجليل بينما يقول لوقا ويوحنا انه في أورشليم ثم أن مرقس ولوقا اتفقا على أن أول ظهور للمسيح مع التلاميذ كان لتلميذين، وانفرد لوقا بذكر تفاصيل هذا اللقاء أما مرقس ويوحنا فيقولان أن أول ظهور كان لجميع التلاميذ.

واتفقت الأناجيل على شيء واحد هو عدم تصديقهم لقيامة المسيح حتى حين رأوه واقفاً في وسطهم وهذا شيء يدعو إلى العجب فكيف يصر كتبة الأناجيل على هذا ذلك مع انهم يوردون أقوالاً للمسيح عليه السلام عن قيامته من الموت ثم ان يوحنا ينفرد هو الآخر في نهاية إنجيله بذكر شك توما الذي لم يكن موجوداً مع التلاميذ حين ظهر لهم المسيح الذي أصر على عدم تصديقه قيام المسيح وأخبرهم بأنه إن لم يشاهد في يديه أثر المسامير ويضع إصبعه في مكان المسامير وجنبه الذي طعن بالحربة فانه لا يؤمن[1] وهذا موقف غريب من هذا التلميذ الذي يفترض انه سمع من المسيح أكثر من مرة بأنه سوف يبقى في القبر ثلاثة أيام ثم يقوم فلماذا اظهر عدم تصديقه ؟ ولماذا ظهر المسيح عليه السلام لتلاميذه ولم يظهر لأعدائه ألم يكن هذا اظهر لحجته وادعى للإيمان به من ان يظهر لتلاميذه فقط[2] ؟.

وينفرد مرقس[3] ولوقا[4] بذكر صعود المسيح إلى السماء ولكن كلاً من: متّى ويوحنا لا يذكران هذه المسألة المهمة من حياة المسيح والعقائد المسيحية وخصوصاً انهما يعدان أنفسهما من شهود العيان لحياة المسيح لكون أحدهما ـ متّى ـ كان تلميذاً للمسيح عليه السلام ومن الإثني عشر أما يوحنا فهو الذي يذكر دائماً في إنجيله انه شاهد عيان على الأحداث[5] وان المسيح كان يحبه ويقربه جداً[6]. وبالرجوع إلى رواية الإنجيلين اللذين ذكرا قيامة المسيح فان نهاية إنجيل مرقس لا تعد قانونية في نظر الكثير من علماء المسيحية، ويعدونها إضافات قد أُضيفت إلى الإنجيل بعد أن شعر

---

[1] يوحنا 20: 25.

[2] د. منقذ بن محمود السقار، هل افتدانا المسيح على الصليب، مكة المكرمة، صفر 1424، (هذا المصدر حمل من موقع هداية الحيارى) www.islam.ms ص24.

[3] مرقس 16: 19-20.

[4] لوقا 24: 50-53.

[5] يوحنا 21: 24.

[6] م. ن، 21: 20.

ناقلو الإنجيل بوجود نقص فضيع في هذه الرواية، أما رواية لوقا حول صعود المسيح فيفهم منها أن صعود المسيح إلى السماء كان في يوم القيامة نفسه [1] ولكن لوقا يصف في سفر أعمال الرسل[2] مرات ظهور المسيح للحواريين بين الآلام والصعود بالألفاظ الاتية: «الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله»[3]. أن هذه الفقرة من أعمال الرسل هي الأصل في تحديد العيد المسيحي للصعود بأربعين يوماً بعد الفصح حيث يحتفل بالقيامة فالتأريخ إذن محدد على عكس إنجيل لوقا ويضاف إلى ذلك ان ليس هناك أي نص إنجيلي آخر يبرر هذا التحديد التأريخي[4]، لذلك حاول علماء النصارى إيجاد ثغرة في إنجيل لوقا يعللون بها هذا الخطأ فقالوا: ((لعلنا يمكن أن نفترض مرور عدة أيام بين أحداث الفقرتين (44،43) لأن الرب يسوع وتلاميذه سافروا إلى الجليل ثم عادوا قبيل ان يصعد يسوع إلى السماء (متّى 28: 16، يوحنا 21))[5] فيحاول علماء النصارى افتراض وجود ثغرة في رواية لوقا في قوله: «فناولوه جزءاً من سمك مشوي وشيئاً من شهد عسل فأخذ وأكل قدامهم وقال لهم هذا هو الكلام الذي كلمتكم به» فهل يعقل كلام علماء النصارى في وجود فترة أيام عده بين عبارة «آكل قدامهم وعبارة وقال لهم» فالحق إنها جمله استئنافية فهو بعد ان أكل معهم قال لهم ثم انهم يحاولون ان يربطوا ما في إنجيل متّى ويوحنا من رواية مع رواية إنجيل لوقا حتى يستخلصوا من ذلك ان المسيح سار مع تلاميذه إلى الجليل ثم عادوا إلى أورشليم فمتّى يذكر ان المسيح عليه السلام التقى بتلاميذه في الجليل ولمرة واحدة[6] ولم يروه بعد هذا اللقاء أما يوحنا فانه يقول أنه التقى بهم في أورشليم ثلاث مرات[7] ولم يسافروا إلى أي مكان أما لوقا فانه يبين انه التقى بهم في أورشليم وتحدث معهم وصعد في اليوم نفسه إلى السماء.

---

[1] لوقا 24: 36 ـ 53.

[2] يعتقد النصارى أن كاتب سفر أعمال الرسل هو لوقا صاحب الإنجيل، ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2263.

[3] سفر أعمال الرسل 1: 2–3.

[4] موريس بوكاي، دراسة في الكتب المقدسة، ص123.

[5] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2162.

[6] متّى 28: 16–18.

[7] يوحنا 20: 19، 26 21: 1، لوقا 24: 33.

المبحث الثاني

العقائد المسيحية في السيد المسيح

أولاً: عقيدة الفداء والخلاص

1- الخطيئة الأولى

تعد عقيدة الفداء والخلاص مفتاح جميع العقائد النصرانية فهي أهم ما يبشر به النصارى[1]. وتقوم فكرة هذه العقيدة على أن الله تعالى خلق الخلق في ستة أيام[2]، ثم خلق الله آدم من تراب الأرض، ثم خلق حواء من أحد أضلاعه، بعد ذلك سقط آدم وحواء في الخطيئة بعد أن أغرتهم الحية[3] بالأكل من شجرة معرفة الخير والشر، بعد أن نهاهما الرب من الأكل منها فاستوجبا الخطيئة التي أغضبت الرب[4].

على هذه الخطيئة بنى المسيحيون عقيدتهم في خلاص الجنس البشري وجعلوا خطيئة آدم خطيئة مستحقة للموت ولغضب الله مادامت هذه الخطيئة. لذلك يقول بولس ((بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم وبالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا اخطأ الجميع))[5]. ويقول لويس ايفلي[6]: ((وأنت لن تكون مسيحياً حقيقياً إلا حين تحسب نفسك خاطئاً حقيقياً))، وتحت نطاق هذا المفهوم العام للخطيئة يدخل كلُ الأنبياء، والرسل، والصالحين فما فائدة إرسال الرسل وإنزال الشرائع والكتب للناس إذا كانوا جميعاً يحملون هذه الخطيئة، ولا تستطيع الشرائع رفعها ومن ضمنها الشريعة الموسوية التي يعترف النصارى بأنها شريعة أنزلت من الله تعالى ويعترفون بالعهد القديم – كتاب اليهود – ويمضمونه ويتعبدون بتلاوته و تلاوة مزاميره في صلاتهم، والاستشهاد بما فيه

---

[1] عن أهمية هذه العقيدة، ينظر، د . منقذ بن محمود السقار، هل افتدانا المسيح على الصليب، ص82

[2] تكوين 1: 1-3.

[3] يذكر سفر التكوين ان الإغراء جاء عن طريق الحية ويذكر المفسرون المسيحيون أن إبليس قد دخل إلى الحية وأغوى آدم وحواء، ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص12.

[4] تكوين 3: 1-24.

[5] رسالة بولس إلى أهل روميه 5: 12.

[6] طريق الفرح، تعريب الأب الدكتور يوسف حبي، مطبعة الجمهور، الموصل، 1972، ص45.

من الآيات، ومن الملاحظ أن تكفير الخطايا في الشريعة الموسوية - حسب العهد القديم - هو إراقة الدم حيث يقدم الخطاة ذبائح وتقام بعض الطقوس فيتقبلها الله ويغفر للمذنبين ولا تبقى آثار هذه الخطيئة [1]. مع العلم بأن السيد المسيح عليه السلام كان من بني إسرائيل ويتعبد على هذه الشريعة هو وتلاميذه.

ويصر علماء النصارى على أن دم الذبيحة لا يكفي وحده لتكفير الخطايا بل يجب أن يسفك دم ابن الله ليكون التكفير أفضل، يقول مارسوير بولس ويعقوب توما[2]: ((كان ذلك الدم في حد ذاته عاجزاً عن أن يخلص آدم، ويحطم قيود حواء، ويقوض أسوار الهاوية، ويميت الموت، ويقيم الأموات، ويرد المسبيّن إلى حضيرة الله، ويفي العدل الإلهي حقه، وأنّى لموسى تقديم ذبيحة تحاكي ذبيحة المسيح العظمى، ورش دم كريم مثل دمه ليطهر الأرض كلها من الخطيئة دفعة واحدة، لذلك مهد طريق الفداء بالصليب بذلك الدم إجلالاً للذبيحة العظمى مبرهناً على أن لا خلاص، ولا غفران، بدون سفك دم ابن الله)). ويرى النصارى أن تقديم الذبائح الحيوانية قد زالت عنهم إذ أن المسيح صار هو الضحية العظمى المقبولة لدى الله والقادرة وحدها على أن تكفر خطاياهم برمتها[3]. والمتتبع لكتاب العهد الجديد يلاحظ أن ورود مسألة الخطيئة وتكفيرها لم تكن موجودة في كلام السيد المسيح، ولا في تعاليمه[4] بل إنها من تراكمات الفلسفات والعقائد التي كانت منتشرة بكثرة في زمن السيد المسيح عليه السلام لذلك يلاحظ وجود من أنكر هذا الأمر وجعل هذه الخطيئة إنما هي عمل فردي فلقد كانت هناك فرق وفلسفات مسيحية تنكر هذا ومنهم البيلاجية التي كانت تؤكد أن كل خطيئة هي عمل فردي يرتكب بقرار حر وليس له أي تأثير على الآخرين سوى بالمثل السيِّء الذي يقتدى به فالإنسان هو في عمقه حر في أن يختار الخطيئة أو الله[5]. وهناك من يرى ((إن آدم بالخطيئة التي خالف فيها وصية الله فقد القداسة والبراءة اللتين خلق فيهما

---

[1] اللاويين 16: 11-28

[2] نزهة الرائد في الكتاب الخالد، ص31.

[3] ينظر، الأب جيد البندكتي، يسوع الكاهن الأوحد، تعريب الأب البير أبونا، المطبعة العصرية، الموصل، 1965م، ص 19.

[4] والدليل على ذلك اختلاف الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذوكس في فهمهم للخلاص، عن هذا الخلاف، ينظر، د. منقذ بن محمود السقار، هل افتدانا المسيح على الصلب، ص82-84.

[5] ينظر: فالتركاسبر، المسيحية في عقائدها، ص150.

وبذلك حرم الشركة مع الله وسقط تحت سلطة إبليس غير أن طبيعته لم تفسد فساداً تاماً، ولكنه صار إلى وضع سيئ في جسده ونفسه وهذه الخطيئة الأولى انتقلت إلى الجنس البشري بأجمعه وذلك (بالولادة وليس بالاقتداء) بحيث تقيم في الجميع وتصير خطيئة كل واحد وهذه الخطيئة الأصلية تمحى محواً حقيقياً باستحقاق يسوع المسيح))[1]. بهذا التفسير الجديد لمعنى الخطيئة يكون المسيح قد ادخل إليها لأنه ولِدَ ولادة طبيعية فهو مستحق للخطيئة فكيف يفسر على أنه ماح لها، على أن المسيحيين ربطوا بين فكرة الخلاص وبين المخلّص الذي كان ينتظره بنو إسرائيل حيث انهم كانوا ينتظرون مسيحاً مخلصاً جباراً ذا سلطان يكون قائداً لهم ويخلصهم من ذل الأمم الوثنية والاستعباد وليس شخصاً يموت على الصليب ليمنحهم الخلاص ويصر على انه المسيح، يقول نصري سلهب[2]: ((كان لابد إذاً من ان يرسل مخلصاً ليدل الناس إلى طريقة السماء وكان الله محباً إلى حد جعله يرضى بأن يتجسد بشراً بان يكون هو نفسه ذاك المخلّص)).

2- إرسال المسيح لتكفير الخطيئة

يرى النصارى أن من صفات الله تعالى المحبة (الله محبه)[3] ((ومحبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم لان العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا مبتعداً عن الله بسبب تلك الخطيئة))[4]. لذلك كان الاعتقاد ينصب في أن آدم عند أكله من الشجرة المحرمة قد عصى الله فصار خاطئاً وجميع ذريته خطاة مستحقين للعذاب، ولما كان من صفات الله العدل، والمحبة، فقد شاء أن يحل ابنه الذي هو نفسه في رحم امرأة من ذرية آدم ويتجسد جنيناً في رحمها ويولدَ ثم بعد أن يعيش كما يعيش الناس، ويأكل، ويشرب، مما يأكلون ويشربون، يأتي أعداء الله وأعداء شريعته ويقتلونه شر قتله وأفظعها بأن يصلبوه، ويسمروا يديه، ورجليه في الخشب بعد ان يعذبوه، ويستهزئون به، ويبصقون في وجهه، كل ذلك ليفدي البشر من آلامهم ويتحمل

---

[1] فالتركاسبر، المسيحية في عقائدها، ص151.

[2] في خطى المسيح، ص6.

[3] م. ن، ص6.

[4] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، دار الكتاب العربي، (ط3)، 1381، هـ، 1961م، ص106.

عنهم ذنوبهم وخطاياهم، وهذا ما حدث ـ كما يرى المسيحيون ـ عندما عذب المسيح وصلب وقتل ثم صعد إلى السماء[1] جاء في إنجيل يوحنا ـ الإنجيل الذي يؤكد على لاهوت المسيح ـ ((لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن بل تكون له الحياة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم))[2]. إن هذا الخلاص الذي يتحدث عنه إنجيل يوحنا لم يكن معلوماً لدى كل الأنبياء والصالحين السابقين لأنه لم يرد على لسانهم فكيف كان يخفيه الله تعالى عنهم وكشفه للكنيسة بواقعة صلب المسيح، وان هوية الأقانيم الثلاثة وأسرارها التي كان يجهلها أكابر الأنبياء كإبراهيم، وموسى، وداود، وعيسى (عليهم السلام) قد صارت من مبادئ ومعلومات كل غلام مسيحي فضلاً عن القسيسين والرهبان[3]. فهل كان عليه السلام يرى في موته خلاصاً للبشرية ؟.

ورد في كتاب المسيحية في عقائدها ((من الوجهة التأريخية تصعب الإجابة عن هذا السؤال فالتقاليد كلها تحتوي من بدايتها على معان أضفتها على الأحداث الجماعة المسيحية الأولى))[4] فيفهم من الكلام أن الجماعة المسيحية الأولى كانت تضفي على الأحداث ما تراه مناسباً لأيمان المسيحيين، ومن الراجح أن هذه الجماعات قد اخترعت عمليه الفداء والتكفير هذه كي تكون مقبولة عند الوثنيين الذين يبشرون لدخول النصرانية وذلك لتشابه هذه العقيدة وتغلغلها عندهم بالمقابل يلاحظ أن عملية الفداء ـ موت المسيح على الصليب ـ كانت في الشريعة اليهودية دينونه من قبل الله بل لعنة وعند الرومان عار ومدعاة للاحتقار والسخرية. وسواء أكان المسيح يرى في موته خلاص العالم أو لا يرى ذلك فهو عند التقليد المسيحي أمرٌ واجب الحصول وهو في نظر المسيحيين موجز البشارة المسيحية بأجمعها.

---

[1] ينظر، سليمان مظهر، قصة العقائد بين السماء والأرض، دار النهضة العربية 1381هـ، 1962م ص386 (بتصرف).

[2] يوحنا 3: 16-17.

[3] عبد الأحد داود، الإنجيل والصليب، طبع في القاهرة، 1351 هـ، ص7.

[4] فالتركاسبر، ص212 (وقد ألفه أكثر من خمسة عشر لاهوتياً).

3- موت الإله على الصليب لخلاص العالم

إن الفهم العام لهذه الفداء يطرح الكثير من الأسئلة أهمها يدور حول كيفية نزول الله واتحاده بالمسيح، ويرى النصارى أن هذا هو سر التجسد الذي يعرفه الأب مبارك أبو طريبة[1] فيقول: ((هو اتحاد الطبيعيتين الإلهية والبشرية باقنوم[2] ابن الله فحصل من هذا الاتحاد اقنوم واحد لا اقنومان، وهو الأقنوم الإلهي، اعني ان ابن الله أضاف الطبيعة البشرية إلى طبيعته الإلهية وأشركها في اقنومه الإلهي فصار إلها وإنساناً معاً، وبقي واحد لا اثنان وذلك دون حدوث أي تغير في لاهوته وهذا هو السر)). ويقول الأب جبرائيل كليجة[3]: ((سر التجسد هو صيرورة ابن الله إنساناً كاملاً مع بقائه إلهاً كاملاً)). ولكن عندما يدخل النصارى في تفاصيل هذا الكلام نراهم ينقسمون إلى آراء عدة حول طبيعة المسيح ولا يكادون يتفقون على رأي واحد[4] وهذا دليل على ان ما يقال حول طبيعة المسيح الإلهية والبشرية إنما هي من صنع الإنسان الذي تأثر بالأفكار الوثنية وبالفلسفات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، وخصوصاً ان هذا التجسد لم يذكره المسيح في تعاليمه.

ويرى النصارى أن للتجسد فوائد عديدة: فهو فضلاً عن تكفيره للخطايا – بموت الإله على الصليب – فان الله أخذ على نفسه طبيعتنا البشرية المنحطة الساقطة وضمها إلى لاهوته لتسري فيها الحياة الإلهية فتجددها وتشددها[5]، وبالتجسد اتحد الله ذاته بالإنسان لتسري في الإنسان حياة الله وهكذا يتأله الإنسان[6] !، فكيف يعقل أن يستوعب الجسد البشري الفاني الإله الذي لا تدركه العقول، والذي ليس بعرض، ولا جوهر، ولا يتحيز بمكان، ليتحد بهذا الجسد إلا إذا قالوا بالحلول وهو أن يحل الله في الجسم البشري لكي يتأله هذا الإنسان، أفلا توجد وسيلة ثانية عند الله ـ حاشا لله ـ لكي يرفع هذه الخطيئة إلا باتحاده

---

[1] دراسات دينية، بدون دار طبع، 1965م، ص47.

[2] سنفصل مسألة الاقانيم والردود عليها في الفصل الرابع عند مناقشة عقيدة التثليث.

[3] فيما بيننا، مطبعة مار افرام، درعون، حريصا، لبنان، 15 آب 1964، ص5.

[4] للنصارى فرق عدة اختلفت حول طبيعة السيد المسيح، ومن هذه الفرق النساطره أصحاب الطبيعتين، واليعاقبة أصحاب الطبيعة الواحدة، ينظر الأب جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ب. ت، ص28-31.

[5] ينظر، كوستي بندلي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، منشورات النور، بيروت، لبنان 1967، ص 59.

[6] م. ن، ص59.

وبذاته الأقدس مع الإنسان البسيط الذي يأكل، ويشرب، ويمرض، ثم إن الإله إذا كان خالقاً للناسوت ثم ظهر فيه متحداً به، فقد حدثت له صفه بعد خلقه وهي اتحاده به وظهوره فيه. . وهذه الصفة إن كانت واجبة الوجود استحال اتصافها بالحدوث، وان كانت ممكنة الوجود استحال اتصاف الباري بها لان صفات الباري كلها واجبة الوجود، لان كل ما لزم من عدم وجوده محال فهو واجب الوجود، وصفات الإله يلزم من عدم وجودها محال بين[1].

ويرى القس بولس سباط[2]: ((إن الله على ما له من وفره ماله من الذرائع في فداء النوع البشري، وإنقاذه من الهلاك الذي نتج عن الخطيئة الأولى، ومعصية أمره الإلهي فقد شاء سبحانه أن يكون الفداء بأعز ما لديه، لما فيه من القوة على تحقيق الغرض وبلوغه سريعاً بفضل الواسطة التي هي أشد تأثيراً في ذلك من كل ما سواها فان التجسد الإلهي لهو خير فداء للبشر)) فهل يحتاج الله إلى واسطة لكي يغفر للبشر ؟ مع انه الذي خلقهم، ورزقهم، ويميتهم، ويحييهم، ثم لماذا (ابن الله) تحديداً فيجيب التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[3]: ((لأنه لم يعص الله مطلقاً ولم يخطئ مطلقاً فهو الوحيد الذي يستطيع أن يكون جسراً لعبور الفجوة بين الله المنزه عن الخطأ وبين البشر الخطاة)) وهذا الكلام غير صحيح لان السيد المسيح عليه السلام لم يقل يوماً انه الأقنوم الثاني من الثالوث، ولم يقل عن نفسه انه ابن الله صراحة، وما ورد في الأناجيل حول هذا المصطلح إنما هو من المجاز الذي ورد مثله كثير في العهد القديم، والجديد، إما مقولة انه لم يعص الله مطلقاً، فكان الأجدر أن يكون الوسيط الإلهي في الخلاص يوحنا المعمدان لأنه لم يعص الله مطلقاً وامتدحه عيسى عليه السلام فقال: ((الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان))[4]، بل انه هو الذي عمد السيد المسيح في نهر الأردن فهو أولى من ابن الله لعبور هذه الفجوة بين الله المنزه عن الخطأ وبين البشر الخطاة – كما يدعون –.

---

[1] الإمام أبو حامد الغزالي (ت 505)، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تقديم وتعليق وتحقيق د. محمد عبد لله الشرقاوي، دار الهداية، (ط2)، مصر، 1406هـ – 1986م، ص 127.

[2] المشرع، مطبعة الشرق، مصر، 1941م، ص43.

[3] ص 2042

[4] متّى 11:11

ويرى القس لبيب ميخائيل[1]: ((أن المسيح لو كان مجرد إنسان خلقه الله من تراب ثم قال له كن فكان، ما استطاع بموته على الصليب أن يكفر عن خطيئة الإنسان ويفديه لكن المسيح واحد مع الله هو ابن الله وهو الله الابن، وهو خالق السماوات والأرض وخالق الإنسان، وهو بهذا أكثر قيمة من الإنسان سواء أكان فرداً أو كانت البشرية بأجمعها من آدم إلى يوم المنتهى، فموته على الصليب يكفر عن خطايا الناس أجمعين لأنه يزيد في القيمة عن الناس أجمعين)) فيفهم من كلامه ان المسيح بموته على الصليب قد كفر عن خطايا الناس أجمعين بما فيهم الوثنيون، والملحدون، والموحدون على سواء، أن هذا الكلام يرده الكثير من علماء النصارى ويحصرون الخلاص بالمسيحيين فقط ، إلا إذا آمن الإنسان بان المسيح هو ابن الله، وانه تجسد، وصلب، وقام من الموت.

ويشرح القس بولس سباط [2] الغرض من التجسد بالقول: ((لا شبهه في ان الغرض الأول في تجسد الكلمة إنما هو استئصال الخطيئة الأصلية وتطهير الإنسان من رجز ما لحقه منها بعصيان أبويه الأولين ثم محو الخطايا الفعلية ووضع حد لما كان يخشى وقوعه من الخطايا في مستأنف الزمان)). فلماذا إذاً انتظر الله كل هذه السنين من خطيئة آدم إلى مبعث المسيح ليكفر عن هذه الخطيئة الأصلية ؟. عن هذا التساؤل يجيب القس بولس سباط[3] بالقول: ((لا يتصور وقوع التجسد تواً بعد الخطيئة لوجوب الفصل بينهما بنفس من الوقت يتسنى فيه للخطاة التأمل، والاعتبار بالمصير من حال النعمة إلى الخطيئة والشعور بالافتقار إلى رحمه الله والفزع إليه)).

إن الخلاص يكون بالعمل الصالح بعيداً عن الصلب وفلسفاته، وهذا ما نلمسه في الأناجيل، ففي إنجيل متّى عن يوم الدينونة ((فهناك يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا . رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فأطعمتموني عطشت فسقيتموني كنت غريباً فآويتموني عرياناً فكسوتموني مريضاً فزرتموني محبوساً فأتيتم إلى فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يارب متّى رأيناك جائعاً فأطعمناك أو عطشان فسقيناك. . فيجيبهم الملك ويقول لهم الحق أقول

---

[1] لا اله إلا الله، دراسة تحليلية لأخطر قضية من قضايا الألوهية، بدون دار طبع، 4 يونيو 1991م، ص 6

[2] المشرع، ص44.

[3] م. ن، ص43.

لكم إنكم فعلتم بأحد اخوتي الأصاغر فبي فعلتم، ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار أذهبوا عني يا ملاعين إلى النار الأبدية المعده لإبليس وملائكته لأني جعت فلم تطعموني عطشت فلم تسقوني. . ... فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوه فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي والأبرار إلى الحياة الأبدية))[1]. هكذا يدان الناس: أهل البر والعمل الصالح إلى الحياة الأبدية، وأهل الشر والبخل إلى عذاب أبدي ـ ولا دخل لفلسفة الصلب والفداء في إنقاذ أهل الشر لأنهم ملاعين بنص الإنجيل، ويقول الكتاب المقدس أيضاً: ((الابن لا يحمل من أثم الأب والأب لا يحمل من أثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون ص))[2] ويقول أيضاً: ((إن الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هي هذه: افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم وحفظ الإنسان نفسه بلا دنس من العالم))[3] إن ذلك ما شرعه الله ((واحد هو رافع الناموس القادر أن يخلص ويهلك))[4] فالخلاص الحق لا علاقة له بالصلب، والكفارة، ونيل الحياة الأبدية.

ويستدرك الدكتور أحمد شلبي[5] على هذه العقيدة بعض الوقفات فيقول: ((أُدعيَ أن صلب المسيح لتحقيق العدل، والرحمة وأي عدل وأي رحمة في تعذيب غير مذنب وصلبه ؟ ثم ماهي صورة المسيحيين عن الله (جل في علاه) الذي لا يرضى إلا بأن ينزل العذاب المهين بالناس والعهد في الله الذي يسمونه الأب ويطلقون عليه (الله محبه) أن يكون واسع المغفرة كثير الرحمات ؟ ثم من هذا الذي قيد الله ﷻ وجعل عليه أن يلزم العدل، وان يلزم الرحمة، وان يبحث عن طريق للتوفيق بينهما ؟ ويبقى أن نسأل سؤالاً أخيراً هو: هل كان الأنبياء جميعاً مذنبين خطاة بسبب خطيئة أبيهم آدم ؟ وهل كان غاضباً عليهم أيضاً ؟ وكيف اختارهم مع ذلك لهداية البشر)).

ثانياً: عقيدة الصلب

يعظم النصارى الصليب ويرون أن فيه كان خلاصهم، وعليه مات مخلصهم، وفاديهم لذلك يُعد الصليب أساس قواعد الدين المسيحي، وأساس الكنيسة،

---

[1] متّى 25: 34-46.

[2] حزقيال 18: 20.

[3] رسالة يعقوب 1: 27.

[4] م. ن، 4: 12.

[5] المسيحية، ص101.

وعماد الإنجيل، كما أنه علامة يوم الحشر، فالذي يؤمن به لا يهلك أبداً بل تكون له الحياة الأبدية[1]. بل انه وسيلة للاتحاد بالمسيح (ابن الله) والتقرب إلى الله عن طريقه لذلك يقول شارل ده فوكو[2]: ((ما أحسن الصليب إننا بالصليب نتحد بذلك الذي سمر عليه بعروسنا الإلهي، لأنه يفصلنا عن الأرض ويجمعنا بالتالي إلى الله)) ويقول أيضاً: ((بقدر ما نعانق الصليب نضم إلى قلبنا عروسنا يسوع المعلق عليه))[3] ويتحدث آخرون إلى مقدرة الصليب على حفظ الناس من المكاره فيرون: ((أن الرب ابعد عنا الخطيئة المكروهة وجعل صليبه حافظاً لنا من كل المكاره بنعمته تعالى))[4].

ويختلف النصارى في كيفية التصليب ففي كتب الاقباط* والنساطرة* خصوصاً شروح ومجادلات عدة حول هذه الاختلافات، واغلبها منحسرٌ في بسط الإصبع الواحدة، أو الاثنتين، أو الثلاث، أو الخمس في رسم الصليب، وفي الاتجاه بها من اليمين إلى اليسار، أو من اليسار إلى اليمين[5]. وبلغ الخلاف وَحدّه الكلام حول وضع الأصابع وعددها إلى ان ادخلوها في مجادلاتهم الكلامية [6].

والظاهر من الآثار انه لم يشِع استعمال الصلبان في النصرانية إلا في القرن الثالث أما لأنهم كانوا يخافون ان يجاهروا بها لاعتراض الموحدين عليها أو لأنهم لم يكونوا اعتادوا تكريمها على ما هو جار في هذه الأيام، ولكن لما تراءت صورة الصليب في الجو للإمبراطور قسطنطين على ما جاء في أخبار الكنيسة زاد

---

[1] عبد الأحد داود، الإنجيل والصليب، ص6.

[2] كتابات روحية، نقلها إلى العربية الأب جرجس حوراني، المطبعة الكاثوليكية، ب.ت، ص140.

[3] م. ن، ص188.

[4] ينظر، مارسوير بولس، يعقوب توما، نزهة الرائد في الكتاب الخالد، ص39.

* الأقباط: طائفة مسيحية مركزها في مصر، ظهرت حين دخلت المسيحية مصر سنة (60م) واعتنقت مذهب الطبيعة الواحدة في المسيح، فاطلق عليهم أصحاب المذهب المونوفيسي، ينظر، الأب جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، ص32–36.

* النساطرة: وهم أصحاب الرأي القائل بان للمسيح طبيعتين واقنومين وسموا نساطره نسبة إلى نسطوريوس الذي كان أسقفا لكرسي القسطنطينة وكان يقول بالطبيعتين في المسيح، ينظر، م. ن، ص28–30.

[5] حبيب زيات، الصليب في الإسلام، مطبعة القديس بولس، حريصا، لبنان، 1935م، ص26.

[6] م. ن، ص31.

استعمال الصلبان شيوعاً فبعد أن كان النصارى يرسمونها، وينقشونها في النواويس والمعابد تحت الأرض أخذوا يتظاهرون بها في كل مكان، وأقاموها في كنائسهم، ونقشوها على أختامهم، ونقودهم، وأبنيتهم، ومدافنهم، بل وحتى في أجسادهم، وكانوا في القرون الأولى يأنفون من إظهار السيد المسيح مصلوباً عليها، ولا أثر قبل القرن الرابع والخامس الميلاديين يدل على انهم مثلوا الصليب معلقاً بيد المسيح أو مثلوا المسيح معلقاً عليه، وكثيراً ما يجعلون إزائها صوراً أخرى كثيرة كالشمس، والقمر، والموتى المنبعثين في القبور، والأرض، والبحر، والسماء، وصور بعض القديسين[1].

والصليب هو ذلك الشكل الهندسي البسيط الذي ينتج عن تقاطع خطين مع بعضهما البعض وعاده يكون هذا التقاطع بزوايا قائمة (0°9)[2] ويكون على شكل نقش، أو تصوير، أو خشب، أو غير ذلك. وعد علماء النصارى وجود مالا يقل عن 385 نوعاً مختلفاً من أشكال الصليب لكن هذا الرقم الكبير لم ينل أي اهتمام ملحوظ ماعدا الجزء الخاص بفن الزخرفة والرموز الدينية[3].

ومع تقديس الصليب يقدس النصارى طريق الآلام وهي الطريق التي سار عليها المسيح وهو حامل صليبه على ظهره[4] ليساق إلى الصلب في موضع الجلجثه، ويرى نصري سلهب[5]: ((إن هذه الطريق التي يسير عليها موكب المؤمنين بعد ظهر الجمعة من كل أسبوع مرتلين بخشوع ورهبه نشيد الأوجاع والآلام ليستعيدوا بالمخيلة واقعة مؤلمة جرت فيها منذ مئات السنين يوم سار المخلّص رازحاً تحت عبء الخشبة والدماء تنزف من جراحه. .. وقد لا يكون في العالم على رحبه واطلاقة مكان احب إلى قلوب المؤمنين من تلك الطريق التي وطئتها قدما يسوع وهو حامل أرجاسنا، وخطايانا بصبر وأناة، أن ترابها جبل بعرقه ودمه)).

---

(1) ينظر، بطرس البستاني، دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، (ج11)، مطبعة المعارف، بيروت، لبنان 1887م، ص12-13.

(2) James Hastings: **encyclopedia of religion and ethics** , volume .Iv, edinburgh ، fourth imprission, 1959 p.324 .

(3) ينظر، بطرس البستاني، دائرة المعارف، ج11، ص11 ؛

Encyclopedia of Religion and Ethics، vol Iv، p.p324,325.

(4) يقول مرقس: ان سمعان القيرواني هو الذي كان يحمل الصليب مرقس 15: 21.

(5) في خطى المسيح، ص377.

وهذه الطريق عبارة عن أربع عشرة مرحلة، تقع تسع مراحل منها خارج كنيسة القيامة، والخمس الباقية داخلها[1].

إن تناقض كتبة الإنجيل في رواية الصلب وعدم اتفاقهم على واقعة مهمة في أحداثها ولعدم قبول المسيح هذه الواقعة في إلحاحه في الصلاة، وطلبه من الله أن ينجيه من هذه المحنة، وتطرق الشك إلى شخصية المصلوب، وصرخة اليأس التي أطلقها على الصليب، وروايات ما بعد الصلب، كلها مجتمعة تدخل الشك، وعدم القبول لهذه العقيدة، مع إنكار الكثير من الفرق القديمة لهذه العقيدة حيث أنكر الفنسطيون قديماً موت المسيح، ويعتقد البعض منهم أن يهوذا الاسخريوطي هو الذي احتمل العقاب، وان الله أنقذ المسيح من هذا الموت الفظيع بأن شبه له، أما نظرية ستروس وغيره من جماعة العقليين بأن جسد المسيح قد أنزل من على الصليب قبل حدوث الموت ثم أنعشته الأطباب في القبر، فقد قبلها بعض الناس العصريين[2].

ويقول الدكتور منقذ بن محمود السقار[3]: ((إن قدماء النصارى أكثر منهم منكرو صلب المسيح، وقد ذكر المؤرخون النصارى أسماء فرق كثيرة أنكرت الصلب وهذه الفرق هي الباسيليديون، والكورنيثيون، والكوربوكراتيون، والساطرينوسية، والماركيونية، والبارديسيانية، والسيرنيثيون، والبارسكاليونية، والبولسية، والماينسية، والثايتاينسيون، والدوسيتية، والمارسيونية، والفللنسطانيائية، والهرمسيون، وبعض هذه الفرق قريبة العهد بالمسيح إذ يرجع بعضها للقرن الميلادي الأول)).

ويعتقد المسيحيون أن المسيح وبعد موته نزل إلى الجحيم إلى (مملكة الموت) ثم بعد ثلاثة أيام قام من الموت منتصراً عليه، وصعد إلى أبيه في السماوات ليدين الأحياء والأموات، ويرون أن موته كان طبيعياً به انفصلت نفسه عن جسده بينما لاهوته لم يفارق لحظة واحدة نفسه، ولا جسده، فكان مع النفس في الهاوية، ومع الجسد على الصليب وفي القبر[4].

---

(1) عن هذه الطريق، ينظر، محمد هاشم موسى غوشه، القدس الشامخة عبر التاريخ، مطبعة الخط الكويت 1988، ص62.

(2) ينظر، د. صموئيل زويمر، دروس في الصليب، السر العجيب في فخر الصليب، نقله إلى العربية رزق مرقس (موقع كلمة الحياة) (بتصرف).

(3) هل افتدانا المسيح على الصليب، ص26.

(4) مارسوير بولس ويعقوب توما، نزهة الرائد في الكتاب الخالد، ص42.

ويرى هانس اوس وفان بلتسر[1] أنه: ((نزل إلى الجحيم بطبيعة الحال لان الجحيم مثوى الأموات، وتصف المزامير هذا المستوى وما يسود فيه من جو كئيب وصفاً شديد الواقعية، ذلك بأن الابن نزل عند الأموات كما ينزل الميت البشري)).

وسبب إنزال المسيحيين ربهم إلى الجحيم يعلله لنا البرفسور فالتركاسبر[2] ومعه أكثر من خمسة عشر عالماً لاهوتياً فيقولون: ((إن المادة الإيمانية التي تتكلم عن انحدار يسوع المسيح إلى مملكه الموت هي من حقائق الإيمان المنسية منذ زمن بعيد. إنها بالنسبة إلى أكثر المسيحيين عسيرة الفهم، وغريبة، وقديماً كان يقال (انحدار إلى الجحيم) هذه التعابير هي صدى لتصور مرً عليه الزمن يرى في الكون ثلاثة طبقات ولربما أيضاً لذكريات من عالم ميثولوجي يتكلم عن انحدار الالهه إلى العالم السفلي))، فلماذا يقال إنها من حقائق الإيمان، ثم إنها منسية ! فهل تنسى حقائق الإيمان حتى ينسى المسيحيون هذه العقيدة، فالحق إنها نُسيت من أذهان المسيحيين لأنها (عسيرة وغريبة) كما أطلق عليها اللاهوتيين، وهذا شيء أكيد لأنها من تراكم الأفكار والفلسفات الوثنية التي كانت منتشرة في تلك الحقبة، والتي تأثرت بها المسيحية، فأدخلتها في عقائدها ليكتب لها القبول عند تبشير الوثنيين.

ويعلل جان دانيلو[3] سبب نزول المسيح إلى الجحيم بالقول: ((وذلك لأن أحد الأسئلة التي أثارها المسيحيون الأولون كان حول ماهية مفعول الفداء بالنسبة إلى الناس الذين سبقوا مجيء المسيح، وليس تعليم الانحدار إلى الجحيم إلا جواباً عن هذا السؤال، فقد نزل المسيح إلى الجحيم ليدعو الأبرار الّذين كانوا ينتظرون مجيئه))، ويستشف من هذا الكلام ان نزول المسيح إلى الجحيم هو تقليد مسيحي ليس له أصل من الدين، بل هو سد لنقص حصل في فهمهم للفداء، فلكي يقبل هذا الفداء عند الناس جميعاً كان يجب ان تحل مسألة الّذين ماتوا قبل مجيء المسيح، فأنزل المسيح إلى الجحيم لكي يشمل بالفداء الموتى السابقين، ولكن فالتركاسبر واللاهوتيين معه[4] يرون غير هذا الرأي حيث يقولون: ((لقد ركز

---

[1] تأملات في قانون الرسل، ص37.

[2] فالتر كاسبر، المسيحية في عقائدها، ص223.

[3] ماذا كان في البدء، تعريب الأب البير أبونا، منشورات الآباء الدومينكان، الموصل، العراق، 1970م، ص67.

[4] فالتر كاسبر، المسيحية في عقائدها، ص223.

التقليد الكنسي حول الإيمان بانحدار المسيح إلى مملكة الموت على قول بطرس في رسالته الأولى (وبهذا الروح عينه مضى وبشر الأرواح المضبوطة في السجن) وهناك جدل حول معنى هذا النص ففي الأصل لم يكن الموضوع الانحدار إلى الجحيم بل الصعود إلى السماء.. واستناداً إلى قول رسالة بطرس الأولى حاول المسيحيون باكراً جداً تصوير الانحدار إلى الجحيم، والغلبة على القوى والسلاطين الشريرة، وتكلموا عن تبشير يسوع العالم السفلي، وتحطيم أبواب الجحيم، وعراك في الجحيم لتحرير الأموات وإنقاذهم، وعلى مسيرة انتحار قام بها المسيح في الجحيم)) ويبدو جلياً تأثير الفكر الوثني في هذا التقليد المسيحي من تحطيم أبواب الجحيم، والعراك، ولا يعلم العراك في الجحيم مع من ؟ مع الملائكة الخزنة، أم مع الأشرار الذين ذهب ليخلصهم ! وينقل جان دانيلو[1] عن اقليمس السكندري ((إن من هؤلاء الأبرار – الّذين هم في الجحيم – قديسوا الوثنية وهناك آدم أيضاً بينهم في نهاية المطاف)). فالجحيم فيها جميع الأبرار اللذين كانوا ينتظرون مجيء المسيح لإنقاذهم ومن ضمنهم الأنبياء والقديسون !.

ثالثاً: عقيدة القيام بعد الموت.

ان لعقيدة القيام أهمية كبيرة في الدين المسيحي، فهي أساس الإيمان المسيحي وهي مع بشارة الصليب قلب هذا الإيمان[2] لذلك تقول آني جويبر[3]: ((فعلى تأكيد القيامة ترتكز المسيحية كلها))، لذا فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً مع عقيدة الصلب فبدون الصلب لا يوجد قيام، وبدون القيام فلا إيمان بالمسيح على انه ابن الله الذي ارتضى له أن يموت على الصليب تكفيراً لأخطاء البشر.

روت الأناجيل الأربعة حادثة قيام المسيح من القبر الذي وضع فيه إلا أن هذه الروايات لم تتفق فيما بينها إلا في شيء واحد وهو: عدم تصديق التلاميذ لخبر قيام المسيح من الموت[4]، في حين أن الأناجيل تورد العديد من الفقرات التي توضح أن السيد المسيح عليه السلام كان يوضح لتلاميذه انه ينبغي أن يموت وبعد ثلاثة أيام يقوم من الموت، قال متّى: ((من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظْهِرُ لتلاميذه انه ينبغي

---

[1] ماذا كان في البدء، ص67.

[2] ينظر، فالتركاسبر، المسيحية في عقائدها، ص225.

[3] المسيحيون الأولون في القرنين الأولين، تعريب الأب البير أبونا، 982م، ص12.

[4] ينظر، يوحنا 20: 1–13، مرقس 16: 9–11، متّى 28: 16–18، لوقا 24: 36–43.

أن يذهب إلى أورشليم، ويتألم كثيراً من الشيوخ، ورؤساء الكهنة، والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم))[1]، وفي حساب بسيط لمدة بقاء المسيح في القبر -على وفق روايات الأناجيل – يلاحظ أن هذه المدة لا تنسجم ومع تنبؤه سابقا في أن مدة بقائه في القبر ثلاثة أيام، فالمسيح دفن في عصر الجمعة، وقام يوم الأحد باكراً- كما في الأناجيل – فالمدة التي قضاها في القبر يوم وليلة فقط وليست ثلاثة أيام، ويدافع عوض سمعان[2] عن هذه النبوءة فيقول: ((إن المسيح لم يقصد بالثلاثة أيام والثلاث ليال المعنى الحرفي بل المعنى الشرعي والدليل على ذلك انه قال قبل صلبه انه سيقوم في اليوم الثالث أو بالحري في بحر هذا اليوم.. بينما لو قصد المعنى الحرفي لقال انه سيقوم في آخر اليوم الثالث، أو قبل ابتداء اليوم الرابع، وبناء على المعنى الشرعي لليوم، يحسب الجزء من اليوم يوم كاملاً كما هو معلوم لدينا وبما أن المسيح دفن في عصر الجمعة، وقام من الأموات في فجر الأحد، واليوم لدى اليهود كان يبدأ من غروب اليوم السابق له، يكون المسيح قد ظل في القبر ثلاثة أيام شرعية، لأن المدة من عصر الجمعة الذي دفن فيه إلى غروب الجمعة تحسب يوماً ثالثاً)) وهذا الكلام غير دقيق والتأويل غير منضبط لأن السيد المسيح – حسب الأناجيل – أورد في كلامه حقيقة بقائه ثلاثة أيام، والدليل انه ضرب لليهود مثلاً في بقائه في القبر كمثل يونان[3] عندما بقي في بطن الحوت ثلاثة أيام[4]. إن كلمة اليوم عندما تطلق يرد إلى البال فترة (الأربع والعشرين ساعة) فكيف يتم حساب المدة من وضعه في القبر عصراً إلى غروب الشمس يوماً، إن هذا الحساب غير منطقي بل إن المنطقي هو أن يحسب إلى عصر اليوم الثاني يوماً واحداً وهكذا.

ويتطرق الشك كذلك إلى عقيدة القيام لوجود الآراء العديدة حول نهاية السيد المسيح: أولها ما رواه إنجيل متّى حيث انه أورد ((إن قوماً من الحراس ذهبوا إلى رؤساء الكهنة وأخبروهم بكل ما كان فاجتمع أولئك مع الشيوخ وتشاوروا فأعطوا العسكر فضه كثيرة قائلين لهم قولوا أن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن

---

[1] متّى 16: 21.

[2] قيامه المسيح والأدلة على صدقها، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية في القاهرة، (ط2)، 1978م، ص103.

[3] يذكر اسم يونان في الكتاب المقدس ويراد به اسم النبي (يونس عليه السلام).

[4] متّى 12: 39-41.

نيام وإذا سمع الوالي فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم فشاع هذا القول عند اليهود إلى اليوم))[1]. ويرى آخرون: ان بيلاطس ندم على إذنه في صلب المسيح فاخرج الجثمان من هناك ودفنه في مكان آخر، وقال البعض: أن الكهنة سرقوا الجثة لكيلا يعبدها الجمهور، وقال آخرون: إن البستاني هو الذي صنع ذلك منعاً لما ينجم عن زيادة القادمين والذاهبين من إتلاف بستانه، وقال أناس: إن ذلك من عمل أوغاد يعتدون على القبور في الغالب لسرقتها، وقال فريق خامس: إن الإنسان لا يموت على الصليب في ثلاث ساعات فقد أخرجه تلاميذه من موته الظاهر وأخفوه في مكان أمين[2]. ولكن بالمقابل لو كانت القيامة صحيحة لآمن الكثير من اليهود، ورؤساء الكهنة، والجند، ولتبعوا المسيح، مع أن الأناجيل لا تروي ظهور السيد المسيح للناس بل انه ظهر لتلاميذه فقط بعد القيام، فلو كان قد ظهر للناس لكان هذا مدعاة إلى تصديقه والإيمان السريع به.

ويعتقد النصارى أن السيد المسيح صعد إلى السماء، وجلس إلى جنب الله لدينونه الخلق، ولا يعلم هل صعد السيد المسيح إلى السماء كاقنوم الابن الإلهي وتخلى عن بشريته، أم مع نفسه البشرية التي كانت معه في الجحيم، أو مع جسده الذي كان معه في القبر، وأين جلس مع الله هل في مكان معلوم، أم ماذا ؟ هذا ما يتصوره الكثير من المسيحيين، إلا أن هناك من شعر أن هذا فيه تجسيم للخالق، فقال المطران كوركيس كرمو[3]: ((يراد بالجلوس إلى جنب الله طبعاً شيء مجازي بمعنى إعطاء المجد، والبهاء والحمد، والتسبيح وليس الملكوت في مكان في الفضاء)).

رابعاً: أسس العقائد في المسيحية وتاريخها

كانت الأمم الوثنية التي تحيط بفلسطين تزخر بعبادة الآلهة العديدة والأفكار الفلسفية التي كانت تنتقل فيما بينها عن طريق التجارة وغيرها من قنوات الاتصال إلى الفكر اليهودي في تلك الحقبة، فكان من الطبيعي أن تتأثر فلسطين

---

(1) متّى 28: 11-15.

(2) عن الآراء العديدة حول القيام، ينظر، أميل لودفنغ، ابن الإنسان حياة نبي، ترجمة عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، 1947م ص205 ؛ أحمد ديدات، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والأوهام، ص60-65.

(3) اللاهوت العقدي، الخلاص، (ج2)، طبع في مؤسسة اورينت للطباعة والنشر، مشكن، الولايات المتحدة الأمريكية 1986م، ص94.

بهذه المعبودات والأفكار التي كانت تنتقل إليها من كل جانب، فموقعها الجغرافي المحيط بالحضارات المختلفة كان له تأثير كبير في ذلك، فمن الشرق كانت هناك عدة حضارات كبيرة ومزدهرة تحمل تحت طياتها الكثير من المعبودات والعبادات والطقوس، فبلاد الشام كانت مرتعاً للإله إيل الذي كانوا يعدونه الرب الخالق، والإله الأعلى في الكون، وصاحب السلطان المطلق، وباعث الأمطار، ومنبت الزرع، ولهذا المعبود زوجة عرفت في اوغاريت بالآلهه عاشرة، وفي اعتقاد الكنعانيين ان البشر لا يستطيعون الوصول إلى هذه الالهه إلا بمساعدة أحد أبنائه، أما ابنه بعل فقد عرف بسيد البعليم، واعتبر تجسداً للقوى المحركة الداخلة في المادة أو الظاهرة الطبيعية فتنشطها، وتبعث فيها الحركة الظاهرة[1].

وليس بعيداً عنها تقع بلاد مابين النهرين التي كانت تعد ثورة الإشعاع المركزي التي أنارت العالمين اليوناني، والروماني في الغرب، والتي امتدت أنوارها إلى الشرق الأقصى وما كانت تحويه هذه الحضارة الكبيرة من إلهه مختلفة[2].

وفي بلاد فارس كانت هناك عبادة مثراس (Mithras) تنتقل بين فارس وتخوم الإمبراطورية الرومانية، وكان مثراس هذا في المراحل المتأخرة من الدين الزرادشتي ابن اهور مزدا إله النور، والحق، والطهر، والشرف. . وكان اليوم السابع من كل اسبوع يوماً مقدساً لإله الشمس، وكان اتباعه يحتفلون في الأيام الأخيرة من ديسمبر بمولد مثراس الإله الذي نال نصره السنوي على قوى الظلام في يوم الانقلاب الشتائي[3]، ولقد روع آباء الكنيسة ما وجدوه من اوجه الشبه بين دينهم وبين المثراسيه، وقالوا أن الثانية سرقت هذه العبادات من المسيحية أو أنها في المثراسية حيل مظللة احتال بها عليهم الشيطان[4] ؟.

---

[1] تقي الدين الدباغ، الفكر الديني، منشورات دار الجاحظ، العراق، شباط 1981، ص7.

[2] حنا الفاخوري، خليل الجر، تأريخ الفلسفة العربية، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1966م ص 17 ؛ وينظر أيضاً طه باقر، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة، الوجيز في حضارة وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة والأعلام، (ط2)، 1986م، ص 20 ؛ الأستاذ هاري ساكز، عظمة بابل موجز حضارة بلاد وادي الرافدين، ترجمة وتعليق، ا. د عامر سليمان، بدون دار طبع، (ط2)، لندن، 1966م، ص18.

[3] ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج11-12)، ص 148-149

[4] م. ن، ص 150

وفي الشمال من فلسطين كانت هناك الحضارتان اليونانية والرومانية، اللتان يصطبغ تراثهما بالآلهة الوثنية، وقريب من فلسطين كانت هناك مدينة انطاكيا، مدينة الخليط العرقي، والمزيج الثقافي، والتلاقي الحضاري، ومصب الأديان الوثنية [1] وفي الغرب من فلسطين هناك الحضارة المصرية، التي كانت عبارة عن مزيج من الحضارات المختلفة، فبعدما فقدت مصر سيطرتها وأصبحت تحت حكم الآشوريين ثم الفرس، ثم اليونانيين، فالرومان، والعرب، تفاعلت في ثغورها الحضارات المختلفة وانصبت فيها نتاجات أفريقيا، وأوربا، واسيا، واندمجت في تراثها فأفضى كل ذلك إلى تكوين مدرسة الإسكندرية الشهيرة[2]، هذه المدرسة التي أُنشئت عقب إنشاء مدينة الإسكندرية سنة (331ق.م) التي ورثت حضارات مختلفة وقام بإدارتها علماء مصريون وساميون، ويونان، ورومان، وعرفت اليهودية طريقها إليها، كما انسابت إليها أفكار وثنية كثيرة، وقد استمدت هذه المدرسة تباشير مكانتها الثقافية حتى بعد ميلاد المسيح عليه السلام [3].

ومن المؤكد ان لكل إله من ألهه الأمم المختلفة الطقوس الخاصة به إلا أن من الملاحظ انهم كانت تجمعهم وفي كثير من الأحيان النهاية الواحدة وذلك في قيامتهم وانتصارهم على الموت وصعودهم إلى السماء، لذلك يعتقد المجوس بألوهية زورستر ويقولون انه أرسل ليفدي الناس ويخلصهم من الطرق الشريرة، وأنه بعدما أتم أعماله على الأرض صعد إلى السماء، و إلى اليوم يذكره اتباعه باحترام وإجلال ويقولون زورستر الحي المبارك، والنجم وما شاكل ذلك من الأسماء والألقاب، والمخلّص أدوني (ويدعى تموز أيضاً) بعدما قتلوه قام من بين الأموات، وأوزيرس المخلّص المولود من عذراء قام من بعد موته والمصريون يدعونه (الواحد المبعوث)[4]. وكذلك تشابه تلك الطقوس في عبادة الآلهة سيبيل في ليبيا، وفريجيا، وإيطاليا، وأفريقية، وغيرها من الأقاليم، وظل كهنتها يُخْصون أنفسهم كما فعل حبيبها أتيس فإذا أقبل عيدها الربيعي صام عُبَّادها، وصلّوا، وحزنوا لموت أتيس،

---

[1] يوحنا الفم الذهبي، ان الله لا يمكن إدراكه، من سلسلة النصوص اللاهوتية، تعريب الأب جورج خوام البولسي، منشورات المكتبة البولسية، (ط1)، بيروت، لبنان، 1992م، ص26

[2] حنا الفاخوري، خليل الجر، تأريخ الفلسفة، ص 16.

[3] د. احمد شلبي، المسيحية، ص 132

[4] عن تشابه عقائد النصارى مع عقائد الوثنيين، ينظر، محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص101، وما بعدها.

وجرح كهنتها سواعدهم، وشربوا دماءهم، وحمل الإله الشاب إلى قبره باحتفال مهيب فإذا كان اليوم الثاني ضجت الشوارع بأصوات الفرح الصادرة من الأهالي المحتفلين ببعث أتيس وعودته إلى الحياة وإلى الأرض، وعلا صوت الكهنة ينادي (قوّوا قلوبكم أيها العباد لقد نجا الإله وتكون النجاة حظكم جميعاً)[1]. وهذا الأمر ينسحب على إيزيس الإلهه المصرية، والأم الحزينة، والمواسية المحبة، وحامله هبه الحياة الخالدة والتي كانت تلقي من التكريم أكثر مما تلقاه سيبيل، وكانت كل شعوب البحر المتوسط تعرف كيف مات زوجها العظيم، وكيف قام بعدئذ من الموتى فكان يحتفل بهذا البعث السعيد في كل مدينة كبيرة قائمة على شواطئ البحرالتأريخي (البحر المتوسط) أروع احتفال وأفخمه، وكانوا ينظرون إلى إيزيس بصورة تمثال وهي تحمل بين ذراعيها حورس الطفل الإلهي، ويسمونها في الأوراد والأدعية (ملكة السماء) و (نجم البحر) و (أم الإله)[2].

---

[1] ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج 11)، ص7.

[2] م. ن، ص148.

الفصل الثاني

الفكر اللاهوتي المسيحي في عهد تلاميذ المسيح عليه السلام

المبحث الأول: تلاميذ السيد المسيح عليه السلام والفكر اللاهوتي المسيحي

المبحث الثاني: مصادر الفكر اللاهوتي في عهد التلاميذ.



المبحث الأول

تلاميذ السيد المسيح عليه السلام والفكر اللاهوتي المسيحي

أولاً: دراسة في طبيعة التلاميذ وتصوراتهم الفكرية

يقسم تلاميذ السيد المسيح عليه السلام إلى ثلاثة أقسام – حسب العهد الجديد –

أ- **القسم الأول**: الحواريون الأثني عشر، وهم خاصة السيد المسيح اختارهم بالتدرج على ما تذكر الأناجيل فبعد أن عمَّده يوحنا في نهر الأردن[1]، وانزال النبوة عليه[2]، و تجربة الشيطان له[3]، اختار سمعان بطرس وأخاه اندراوس، يقول النص: ((وإذا كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل ابصر أخوين سمعان الذي يقال له بطرس واندراوس أخاه يلقيان شبكة في البحر فانهما كانا صيادين فقال لهما هلُمَّ ورائي فأجعلكما صيادي الناس فللوقت تركا الشباك وتبعاه))[4]، ثم انه دعا بعدها يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه، يقول نص متى: ((ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدي ويوحنا أخاه في السفينة مع زبدي أبيهما يصلحان شباكهما فدعاهما فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه))[5]، ويروي يوحنا في إنجيله انه بعد يومين من اختياره للتلاميذ الأربعة، اختار فيلبس ((وفي الغد أراد يسوع أن يخرج إلى الجليل فوجد فيلبس فقال له اتبعني))[6] ثم بعدها دعا برثلماوس[7]، وتدريجياً بدأ يختار تلاميذه فأختار متى اللاّوي[8]، ثم توما (التوأم)، ويعقوب بن حلفي، وتداوس، وسمعان الغيور، ويهوذا الاسخريوطي[9].

وتتباين أعمال ووظائف هؤلاء التلاميذ فبطرس و اندراوس ومعهما يعقوب و يوحنا ابنا زبدي ويضاف إليهما فيلبس، هؤلاء الخمسة كانوا صيادي أسماك في

---

(1) متّى 3: 13.

(2) م. ن 3: 17.

(3) م. ن 4: 1-11.

(4) م. ن 4: 18-20.

(5) م. ن 4: 20-22.

(6) يوحنا 1: 43.

(7) م. ن 1: 45-51.

(8) متّى 9: 9-13، مرقس 2: 15-17، لوقا 5: 27-32.

(9) لا تذكر الأناجيل كيفية اختيار هؤلاء الخمسة الآخرين.

الجليل ومتى كان عشاراً (جابي ضرائب للرومان)، أما الباقون فلا تذكر الأناجيل وظائفهم ولا أعمالهم، والأهم من ذلك أن الأناجيل لا تذكر شيئاً مميزاً عن أعمالهم المهمة مع السيد المسيح ﷺ، ولا تتحدث عن ماضيهم السابق، وإذا كانت الأناجيل في مجملها سرداً لقصة حياة السيد المسيح ﷺ، فلا يبقى لمعرفة قصص هؤلاء التلاميذ إلا ما يرويه سِفْر أعمال الرسل، الذي ينبغي أن يقصّ حياتهم وأعمالهم، إلا أن السِفْر اكتفى بسرد وقائع بسيطة من أعمال بطرس وعظاته، وأهمل ما سواه من التلاميذ، وكان الحجم الأكبر في السِفْر مخصصاً لبولس وأعماله مع أنه ليس من تلاميذ المسيح ﷺ.

وتكتفي الأناجيل بسرد وقائع بسيطة عن هؤلاء الحواريين، حيث تذكر أسماءهم[1]، و وقائع متفرقة عن محادثات قصيرة مع السيد المسيح ﷺ، باستثناء (بطرس ويهوذا) لارتباطهما ظاهراً – في الأناجيل – مع السيد المسيح ﷺ، لان الأول رئيس الحواريين وقائدهم، وأول من سنَّ مسألة تعميد الأمميين، فمن الطبيعي أن يعطى نوعاً من الأهمية عند كتبة الأناجيل وسِفْر الأعمال، والثاني هو التلميذ الذي تآمر على السيد المسيح وأسلمه إلى قادة اليهود ليصلبوه، وأنهى حياته بالانتحار كما تروي الأناجيل وسِفْر الأعمال، ويعلق التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[2]على التلاميذ الذين لم ترِد عنهم تفاصيل بالقول: ((لا تقدم لنا قائمة تلاميذ يسوع الإثني عشر الكثير من التفاصيل، وذلك على الأرجح لانه لم تكن ثمة تفاصيل ذات شأن))، ولا تكتفي الأناجيل بإسقاط تفاصيل حياتهم المهمة، بل إنها لا تتفق فيما ترويه من أسمائهم، حيث أن إنجيل يوحنا يسقط من القائمة تداوس ويضع مكانه يهوذا أخا يعقوب[3]، بينما يذكر يوحنا اسم نثنائيل ويجعله أحد التلاميذ الإثني عشر، مع عدم وجوده في قائمة متى ومرقس ولوقا، لذلك رجح تفسير الكتاب المقدس أن يكون برثلماوس المذكور في القوائم الثلاث السابقة هو نفسه نثنائيل المذكور في إنجيل يوحنا[4]، وهو ترجيح لا يستند على دليل بل هو تخمين وهروب من التناقض الذي وضعهم فيه يوحنا، فلماذا هذا التناقض وعدم الاتفاق حول أسماء التلاميذ ؟، لا يوجد سبب منطقي إلا أن هذه

---

[1] متّى 10: 3، مرقس 3: 18، لوقا 6: 14-16.

[2] ص1903.

[3] مرقس 3: 14-16.

[4] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص1903.

الأناجيل قد كتبت بعد مدة طويلة من حياة التلاميذ، وان ذكريات كتبتها قد محي منها الكثير ونسيت وهذا دليل أيضاً على أن كتبتها كانوا يكتبون شفاهاً مما بقي أو علق من ذكرياتهم ومما سمعوه من الناس، وليس من مصادر مثبته تحت أيديهم حول حياة السيد المسيح وتلاميذه، ويعزى سبب عدم كتابتهم تاريخ السيد المسيح عليه السلام، إلى انهم كانوا يعتقدون برجوعه السريع ليقيم مملكة إسرائيل، من خلال تناقلهم عدة نصوص فيما بينهم فحفظوها ثم ثبتوها في كتبهم بعد حين[1].

وذكر إنجيل متى أن المسيح ((دعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسه حتى يخرجوها ويشفوا كل مريض.. وأوصاهم قائلاً. . ها أنا أرسلكم كغنم وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام.. ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا إلى الأخرى فأني الحق أقول لكم لا تكملون مدن إسرائيل حتى يأتي ابن الإنسان))[2]، ويقول أيضاً: ((فان ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله الحق أقول لكم إن من القيام هاهنا لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتيا في ملكوته))[3]، ويقول بولس في رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي: ((فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيئ الرب لا تسبق الراقدين لان الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء، والأموات في المسيح سيقومون أولاً ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء، وهكذا نكون كل حين مع الرب))[4].

ب – القسم الثاني: الاثنين والسبعين، وانفرد لوقا بذكر خبرهم مع السيد المسيح عليه السلام[5]، ولم يرد لهم ذكر في الأناجيل إلا من إشارة لوقا لذلك يقول يوسابيوس القيصري[6]. ((على انه لا يوجد أي بيان عن أسماء التلاميذ السبعين)).

---

[1] ينظر، يوحنا 21: 22.

[2] متّى 24: 29-34.

[3] م. ن 16: 27-28.

[4] تسالونيكي 4: 15-18.

[5] لوقا 10: 1-17.

[6] تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة الحديثة للطباعة، 1979 ص25.

ج – القسم الثالث: المائة والعشرين، الذين ورد ذكرهم في سفر أعمال الرسل ((وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ وكان عده أسماء معاً نحو مئة وعشرين))[1]. ومن الاطلاع على اختيار المسيح لتلاميذه، يلاحظ أن السيد المسيح لم يكن يختارهم جزافاً بل انه كان يتأنّى في اختيارهم مع تأكيده في الأناجيل على ذلك [2].

وتروي الأناجيل في مواضع عديدة اهتمام السيد المسيح عليه السلام، بهم من خلال تعليمهم، وضرب الأمثال العديدة لإفهامهم المراد من كلامه، وإخبارهم بأمور الغيب، ويروي سفر الأعمال انه وبعد حادثة القيامة بقى معهم أربعين يوماً يلتقي بهم ويعلمهم[3]. فكان هذا مدعاةً لهم أن يكونوا وفي أحيان كثيرة أشداء العزيمة، وأقوياء الحجة، و راسخي الإيمان، وأدل شيء على ذلك عظات بطرس[4]، ورباطة جأش إستفانوس[5] ومجادلته لرئيس الكهنة وانتهاءً بموته، وهذه القصة هي في بداية عهد التلاميذ تدل على مدى تمسكهم بإيمانهم، وقوة عقيدتهم، وإصرارهم على الموت دون التنازل عن هذه العقيدة .

ويروي السفر العديد من الإشارات التي تؤكد متانة عقيدتهم وسلامتها، وإنهم على خطى أستاذهم ومعلمهم، ومنها قصة سيمون الساحر وحواره مع بطرس حيث قال له بطرس ((ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر لان قلبك ليس مستقيماً أمام الله فتب من شرك هذا وأطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك))[6] فلم يقل له بطرس أطلب من المسيح أو من ابن الله، بل انه قال له صراحة أن يطلب من الله ذلك، وعندما سأل المسيح تلاميذه عن شخصيته قائلاً: ((من تقولون إني أنا فأجاب بطرس وقال مسيح الله فانتهرهم وأوصى لا يقولوا ذلك لأحد))[7] فلم ينكر المسيح عليه ذلك القول، ولم يقل له سوى أن لا يخبر أحداً انه مسيح الله، وهذا الفهم التوحيدي ينعكس أيضاً على يعقوب قائد كنيسة

---

[1] أعمال الرسل، 1: 15

[2] يوحنا 6: 70، 15: 16، 15: 9.

[3] أعمال الرسل 1: 3، وينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص 2266.

[4] أعمال الرسل 1: 15، 3: 12-26، 4: 19.

[5] وردت قصة استفانوس في سفر أعمال الرسل إصحاح (7).

[6] أعمال الرسل 8: 21-23.

[7] مرقس 9: 20-21

أورشليم ((حيث أن هناك روايات متأخرة قد تحتوي على عناصر أصيلة تظهر يعقوب متزهداً يعيش في التقشف والصلاة ويكثر من التردد إلى الهيكل للصلاة ويقول المؤرخ أن ركبتيه كانتا قد خشبتا مثل ركب الجمل فانه كان دوماً راكعاً يسجد لله ويلتمس منه المغفرة لشعبه))[1].

فهذه الوثيقة توضح حقيقة عبادة التلاميذ وحقيقة صفة صلاتهم، التي فيها الركوع، والسجود لله معبرة عن أسمى معاني العبودية له تعالى، وهي على عكس صلاة المسيحيين التي يصلبون فيها الأصابع بالاتجاهات الأربع مردِّدين عبارة (باسم الآب والابن والروح القدس)، ويبدو أن هذه الصلاة قد استحدثت كما استحدثت عقيدة ألوهية المسيح لتسير معها جنباً إلى جنب في طريق تثبيتها على حساب العقيدة الحقيقية والصلاة الصحيحة.

وان الله تعالى أيَّد دعوتهم بالكرامات الكثيرة تصديقاً لهم[2]، فانهم كانوا كسيدهم يبشرون في مجتمع يكثر فيه السحرة والمشعوذون الذين كانوا منتشرين في البلاد في أيام الكنيسة الأولى حيث كان لهم نفوذ قوي على الناس، وكانوا يعملون العجائب ويشفون، ويرقون الناس، كما كانوا يمارسون التنجيم[3].

وحاول كاتب السِفْر وفي مواضع كثيرة منه، أن يبرهن على أن التلاميذ من السذاجة والبلادة بمكان فلا يستطيعون عمل شيء لولا تثبيت الروح القدس وإعانته، وان هذا الروح مرسل من المسيح لإعانتهم ((ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء))[4] واستطاع كاتب السِفْر أن يحيط هذه الروح بهالة من التقديس فالذي يكذب على الروح القدس فان مصيره الموت كما في قصة حنانيا وزوجته حيث يقول السِفْر عقب القصة ((فصار خوف عظيم على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سَمعوا بذلك))[5] ولا يعلم لماذا خاف الجميع من هذه القصة، فهل أن الجميع كانوا يكذبون على الروح القدس ؟ أم إنه

---

[1] آني جويير، المسيحيون الأولون، ص 25.

[2] متّى 10: 30، مرقس 3: 18، لوقا 6: 14-16.

[3] ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص103.

[4] يوحنا 15: 26-27.

[5] أعمال الرسل 5: 11.

تهويل من كاتب السفْر، بالمقابل فأن بولس كان يخالف أمر الروح ولا يطبقه ثم لا يحصل له شيء من تلك الأمور[1].

وأظهر المسيحيون في كتبهم المقدسة أن التلاميذ أناس جبناء خذلوا المسيح وهربوا عند الحقائق، وتبرءوا منه، وأنكروا معرفتهم به عند اعتقاله، بل وصوّروهم على انهم أغبياء وثقيلو الفهم، وعُميُ القلوب ((ولا شك إن هذه الأوصاف تسهل على النصارى أن يمرروا بسببها كثيراً من العقائد الشركية التي كان ينكرها أولئك الحواريون. . فهم بزعم النصارى لثقل إفهامهم، وغباوتهم، وعمي قلوبهم. . لم يدركوا أن المسيح هو ابن الله إلا في مراحل متأخرة من حياة المسيح))[2]، لذلك يقول سقط الدومنيكي[3]: ((إن التلاميذ تبعوا يسوع لمجرد أن يحيى المعمدان دعاهم إلى اتباعه، دون أن يعرفوا من هو في الحقيقية، إنهم أصغوا إليه كما يصغي الناس إلى أحد الأنبياء، لا بل اعتقدوا بأنه قد يكون النبي والمسيح المنتظر، ولم يكتشفوا إلا بعد حلول الروح القدس أن ذلك الإنسان هو ابن الله)).

والشائع أن التلاميذ كانوا طائفة من صيادي السمك في بحر الجليل وانهم من طبقة عمال الصيد الاميّين، ولكنه فهم متعجل مبني على قياس غير صائب، إذ الواقع انهم كانوا طائفة تقرأ وتكتب، وتتردد على مجامع الوعظ والصلاة، وتراجع ما قيل عن النبوءات، إلا أنهم لم يبلغوا في العلم مبلغ الفقهاء في زمانهم وهو خير، لأنهم لو كانوا من فقهاء زمانهم لركبهم الغرور ولقابلوا الدعوة بالتحدي والمكابرة[4].

ويستدل النصارى على بساطة التلاميذ وسذاجتهم من خلال نصوص الأناجيل وسفْر الأعمال، حيث يذكر السفْر أن التلاميذ بعد أن حلَّ عليهم الروح القدس تكلموا بلغات عديدة ((فبهت الجميع وتعجبوا قائلين بعضهم لبعض أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين فكيف نسمع نحن كل واحد منا بلغته التي ولد فيها))[5] ويقول في موضع آخر: ((فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا انهما

---

[1] أعمال الرسل، الإصحاح 21

[2] أبو محمد المقدسي، التحفة المقدسية، ص25.

[3] ينظر، عباس محمود العقاد، عبقرية المسيح، كتاب اليوم، يناير 1953م، ص184.

[4] دليل إلى قراءة الأناجيل الأربعة، (ج1)، منشورات مكتبة الفداء، الآباء الدومنيكان، الموصل، 1987م، ص105

[5] أعمال الرسل 2: 7-8.

إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا))[1]، وانهم تجادلوا في حياة المسيح حول أيهم أعظم، يقول مرقس: ((وجاء إلى كفر ناحوم وإذا كان في البيت سألهم بماذا كنتم تتكلمون فيما بينكم في الطريق فسكتوا لانهم تحاجوا في الطريق بعضهم مع بعض في من هو أعظم))[2]. وكانوا يعتقدون انه سوف يعيد الملك إلى بني إسرائيل، فيذكر سفْر الأعمال أن المسيح بعد قيامته من الموت وظهوره للتلاميذ سألوه قائلين: ((يارب هل في هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل))[3]، ثم انهم وفي وقت الشدائد كانوا يتركون المسيح ويهربون، يورد يوحنا أن المسيح كان يتحاور مع اليهود ولم تُعْجب تلاميذه طريقة كلامه و ((من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولَم يعودو يمشون معه))[4]، وفي يوم القبض عليه تركوه جميعهم وهربوا[5] مع إصرارهم على انهم لا يصدقون قيامة المسيح حتى بعد أن اخبرهم بنفسه في أكثر من موضع في الأناجيل بأنه سوف يقوم، ومع ظهوره لمريم المجدلية وغيرها بقي التلاميذ يصرون على انه لن يقوم من الموت، يقول سفْر الأعمال: ((الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعدما تألم وهو يظهر لهَم))[6]، ولا يتصور أن السيد المسيح حين دعا تلاميذه لحمل أعباء هذه الرسالة فانه قد اختار الناس البسطاء، البلداء، قليلي الفهم، فهذا الأمر أدعا إلى إفشال دعوته وعدم قبولها من الناس، ويبدو أن السيد المسيح تأنى في اختياره لتلاميذه وعلَّمهم عقيدة التوحيد الصافية النقية التي بقي أهل اللاهوت تجاذبونها في معارك فكرية وجسدية إلى ما بعد مؤتمر نيقية سنة 325م.

ثانياً: التبشير بالمسيحية

1- الدعوة موجهة لليهود خاصة

عند مطالعة العنوان لأول وهله فان القارئ يظن أن المسيحية تختلف عن اليهودية وأنها دين مستقل منذ الحقبة الأولى لزمن السيد المسيح وتلاميذه، إلا أن

---

(1) م. ن 4: 13.
(2) مرقس 9: 33-34 وينظر أيضاً متى 18: 1-6، لوقا 9: 46-48.
(3) أعمال الرسل 1: 6.
(4) يوحنا 6: 66.
(5) متّى 26: 56.
(6) أعمال الرسل 1: 3 – 4

الواقع التأريخي ونصوص الكتاب المقدس يثبتان لنا العكس، حيث أن السيد المسيح – وفي نصوص عدة – بيّن أن دعوته هي لبني إسرائيل، قال: ((لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة))[1] وقال لتلاميذه: ((إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل أذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة))[2] وأجاب المرأة الكنعانية التي كانت تريد شفاء ابنتها ((ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب))[3] لذلك يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[4]: ((اعتاد اليهود أن يطلقوا كلمة كلب على أي أممي (كل من هو غير يهودي) لأن اليهود لم يعتبروا أولئك الشعوب الوثنيين أكثر من كلاب من جهة نوال بركة الله)) وتوضح الأناجيل أن السيد المسيح كان يهودياً وابن يهودي، وكان يذهب إلى الهيكل وهو صغير[5] يقول جون لوريمر[6]: ((كان يسوع يهودياً يحترم ناموس موسى يحافظ على المواسم والأعياد وحضور العبادة في الهيكل)) وعندما كبر وأرسله الله نبياً بقي في تعبده على شريعة سيدنا موسى مهتماً بالناموس الموسوي فقال: ((لا تظنوا أني جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لانقض بل لأكمل))[7] وقال أيضاً ((فأني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل))[8] وعندما سأله تلاميذه عن الناموس لم يقل لهم ان يتركوه أو لا يسألوا عنه، بل انه كان بجيبهم ويحثهم عليه، فقال عندما سأله أحد تلاميذه: ((يا معلم أية وصيه هي العظمى في الناموس فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك))[9] بل انه كان يعنف الكتبة والفريسين لتركهم الناموس والعمل به ((ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع، والشبث، والكمون وتركتم اثقل الناموس الحق، والرحمة، والإيمان كان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك))[10]

---

(1) متّى 15: 24.
(2) م. ن 10: 6.
(3) م. ن 15: 26.
(4) ص1923.
(5) لوقا 2: 27.
(6) تاريخ الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، 1982م، ص 43.
(7) متّى 5: 7.
(8) متّى 5: 18، لوقا 16: 17
(9) متّى 22: 37.
(10) م. ن 23: 23، لوقا 11: 46، 11: 52.

بل إن السيد المسيح عليه السلام حذر أولئك الذين لا يفهمون الناموس، ولا يبحثون عن معرفته ((ولكن هذا الشعب الذي لا يفهم الناموس هو ملعون))[1] لذلك يعترف النصارى بيهودية المسيح ((فالمسيح قد ولد يهودياً وعاش يهودياً واستمر يهودياً طوال حياته))[2] وبالمقابل فأن تلاميذ السيد المسيح وعلى خطى معلمهم كانوا يذهبون إلى الهيكل بانتظام، وبعد رفعه داوموا على هذه العبادة ((وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطه قلب))[3] يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[4]:((لم ينفصل المؤمنون من أصل يهودي في البدء عن بقية جماعة اليهود فقد استمروا في الذهاب إلى الهيكل، والمجامع للعبادة وتعلم كلمة الله)) وكانوا يصلون في الهيكل يومياً حيث يواظب المتدينون من اليهود على الصلاة في الهيكل ثلاث مرات في اليوم صباحاً (الساعة التاسعة) وبعد الظهر (الثالثة عصراً) ومساءً (عند غروب الشمس)[5]. وكانت كل عظاتهم لليهود فقط[6] كما كان سيدهم وعلى حسب وصيته يقول الأب جان كمبي[7]: ((أعضاء الكنيسة الأولى هؤلاء كانوا يهوداً مثل يسوع وهم يتكلمون الآرامية اللغة السامية الأكثر استعمالاً في الشرق الأوسط، وظلوا يعيشون عيشة اليهود الأتقياء، يصلون في الهيكل، ويخضعون لشريعة المآكل المحرمة ويمارسون الختان)) إلا أن اختلافهم عن اليهود في ذلك الزمن، انهم كانوا يؤمنون بالمسيح على انه هو المسيح المنتظر الموعود به من قبل الأنبياء ، أما اليهود فكانوا لا يرون هذا الشيء[8]، وكان تبشيرهم في الهيكل وفي غيره لليهود فقط، ولم يخرجو من دائرة الشريعة الموسوية، وكانت عضاتهم تدلل على فهمهم لطبيعة المسيح البشرية وانه نبي أقامه الله لهم، مع تأكيدهم على مسألة انه هو المسيح الموعود يقول سِفْر الأعمال: ((فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله وقالوا أيها السيد أنتَ هو الإله الصانع السماء والأرض

---

[1] يوحنا 7: 49.

[2] جوش ماكدويل وبوب هوستيتلر، شغل مخك في عصر الخرافات والأكاذيب (هذا الكتاب حمل من موقع (www.ennour.net) ص8.

[3] أعمال الرسل 2: 46.

[4] ص2274.

[5] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2275.

[6] أعمال الرسل 3: 17، 4: 1.

[7] دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، دار المشرق، بيروت، لبنان 1994، ص25.

[8] ينظر، شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ب.ت، ص88.

والبحر وكل ما فيها))[1] وان السيد المسيح نبي بشر ((فان موسى قال للأنبياء أن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من اخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به))[2] وقالوا أيضاً: ((إن إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب اله آبائنا مجد فتاه يسوع الذي أسلمتموه انتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه))[3] ويقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[4]: ((إن كلمة فتى المستخدمة هنا هي ذاتها المستخدمة في سفر اشعياء بمعنى العبد)) ويروي سفر الأعمال[5] أن فيلبس ما بشر[6] الوزير الحبشي إلا بعد أن علم انه يهودي[7]، بل أن بولس في بداية دعوته كان يبشر اليهود اليونانيين ولم يبشر الأمميين (غير المتهودين)[8] مع ان بولس وبرنابا كانا في رحلاتهم التبشيرية يذهبون إلى المجامع اليهودية أولاً[9]. وبناءً على ذلك فان دعوة السيد المسيح عليه السلام وتلاميذه من بعده كانت موجهة إلى اليهود خاصة.

2- تغيير مجرى الدعوة إلى الأمميين

بقي التلاميذ في أورشليم يذهبون إلى الهيكل للعبادة يومياً، يبشرون بمجيء المسيح الموعود، وبقاؤهم في أورشليم يذكره سفر الأعمال على انه توصيه من السيد المسيح حيث يقول كاتب السفر[10]: ((وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني))[11] وكانوا ينتظرون عودة المسيح حسب وصيته، لذلك تقول آني جويبر[12]: ((إن الأنبياء سابقاً قد أعلنوا أن ملك الله سيخرج من أورشليم، لذا لم يكن باستطاعة جماعة تنتظر عودة المسيح أن

---

(1) أعمال الرسل 2: 24.
(2) م. ن 3: 22.
(3) م. ن 3: 13، 3: 26.
(4) ص 2276.
(5) كثرة الاستشهاد بالسفر في هذا المبحث لان قصة التلاميذ بعد رفع السيد المسيح وردت فيه.
(6) كلمة (بشر) في تلك المدة تعني التبشير على أن عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر.
(7) عن القصة كاملة ينظر سفر أعمال الرسل 9: 26-39.
(8) أعمال الرسل 9: 29.
(9) ينظر على سبيل المثال سفر أعمال الرسل 14: 1.
(10) يرى النصارى أن كاتب سفر أعمال الرسل هو (لوقا) كاتب الإنجيل الثالث، ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2264.
(11) أعمال الرسل 1: 5.
(12) المسيحيون الأولون، ص13.

تتخيل سوى مركز وحيد هو أورشليم، ولم يكن بوسع رؤساء الجماعة الذين يعتبرون رؤساء الكنيسة إلا أن يستقروا في المدينة المقدسة)) وبقيت جماعة الرسل على هذا المنوال بين العبادة في الهيكل، وتبشير جماعة اليهود بالمسيح، يعكر صفوها أحياناً ممارسات الكهنة ضدهم، إلى أن جاءت نقطة التحول في حياة هذه الجماعة ولتنعكس على المسيحية برمتها، ونقطة التحول هذه تمثلت باتجاهين: الأول، دخول سيمون الساحر إلى المسيحية، حيث يروي سِفْر الأعمال ذلك بالقول: ((وكان قبلاً في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر ويُدهش شعب السامرة قائلاً انه شيء عظيم، وكان الجميع يتبعونه من الصغير إلى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة، وكانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زمناً طويلاً بسحره ولكن لما صدقوا فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالاً ونساءً، وسيمون أيضا نفسه آمن ولما اعتمد كان يلازم فيلبس))[1]، وكانت لسيمون الآراء الفلسفية العديدة، لعل أهمها وأخطرها قوله: ((إن الإله الأعلى اظهر نفسه بصفة الابن بيسوع بين اليهود، وبصفة الآب بين السامريين في شخص سيمون، وفي بلاد أخرى بصفة الروح القدس))[2]، إن هذه المقولة التي جعلت من السيد المسيح إله وقالت بالتثليث هي التي فتحت الباب واسعاً أمام الهيلينيين ومن بعدهم بولس لتغيير العقيدة المسيحية التي جاء بها السيد المسيح، ومما ساعد على ذلك ان ميناندروس الكاباراتي (Menandros Capparatea) الذي تتلمذ على يد سيمون الساحر كان قد علم بهذه التعاليم في انطاكيا[3]، المدينة التي ستكون فيما بعد قاعدة انطلاق بولس والهيلينيين للتبشير بالمسيحية البولسية.

ونقطة التحول الثانية تمثلت بموت استفانوس* رجماً من قبل اليهود بعد اتهامه بالتجديف، وانه أساء إلى الهيكل لتنتهي حياته رجماً[4] كما هو معمول

---

(1) سِفْر أعمال الرسل 8: 9-13

(2) ينظر، أسد رستم، كنيسة الله انطاكيا العظمى، (ج1)، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، 1988م، ص29

(3) عن هذه التعاليم، ينظر، أسد رستم، كنيسة الله العظمى انطاكيا، ص29

* استفانوس: يهودي من الناطقين باليونانية كان أول مسيحي يموت من أجل إيمانه وهو واحد من الرسل السبعة الذين اختيروا لتنظيم إعالة الأرامل الفقيرات في الكنيسة بأورشليم. ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص22.

(4) قصة موته موجودة في سِفْر أعمال الرسل في إصحاح (6-7).

حسب الشريعة اليهودية[1]. ويعزو شارل جنيبر[2] موت استفانوس إلى الأفكار التي كان يحملها الهيلينستيون، وهم من اليهود الذين أقاموا زمناً طويلاً في مختلف البلاد اليونانية وكانوا على الأخص من يهود المهجر الذين يتوافدون إلى القدس في الأعياد الكبرى والمواسم، وعلى العموم فانهم امتازوا بروح أكثر مرونة وتقبلاً للتجديدات من إخوانهم اليهود في فلسطين، وذلك لتماسهم المباشر مع الأمم المختلفة مما أخرجهم من نطاق التفكير المغلق، والتشدد الفكري اليهودي، فمن الطبيعي أن تتغلغل في أفكارهم عقائد عاشوا في محيطها زمناً طويلاً، فكانت النتيجة أن غضبت السلطات اليهودية على هؤلاء الهيلينستيون فأضطهدتهم وطردتهم من المدينة بينما بقي فيها الحواريون مما يدل على ان فريق الحواريين لم يفكرو كما فكر الهيلينستيون، ولم يكن متضامناً معهم يقول سِفْر الأعمال: ((وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ماعدا الرسل))[3] فالذين هربوا إلى البلاد المختلفة أخذوا بالتبشير هناك، وهذه إحدى نقاط التحول المهمة في المسيحية حيث بدأت الدعوة الآن تأخذ منحى جديداً بالتبشير خارج فلسطين وأورشليم بعيداً عن الهيكل، وبعيداً عن الفهم الحقيقي للمسيحية التي يحمل فكرها الحواريون، وكما جاء بها السيد المسيح عليه السلام، ((فكانت تلك الجماعات التي هربت أو طُرِدت من القدس أول المبشرين في بلاد الوثنية، وإننا لنلمح من خلال النصوص بعض الجماعات التي أقامتها تلك الدعاية التبشيرية الأولى في قبرص وفينيقيا بيد أن الحادث الأساسي الذي نبع عنها هو مولد كنيسة انطاكيا*))[4]. هذه الكنيسة التي أصبحت فيما بعد مركز الانطلاق المسيحي لتبشير المشركين، يقول أسد رستم[5]: ((واقبل اليونانيون والوثنيون المقيمون في انطاكيا عاصمة

---

(1) لاويين 24: 14.

(2) المسيحية نشأتها وتطورها، ص88.

(3) أعمال الرسل 8: 1.

* انطاكيا: وهي مدينة سورية وليست هي انطاكيا (بيسيدية) التي في تركيا. أسسها أحد قادة الاسكندر كانت الكنيسة فيها في المرتبة الثانية بعد أورشليم سويت المدينة القديمة بالأرض من جراء زلزال حدث عام 526م، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص48.

(4) شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص90.

(5) كنيسة الله انطاكيا العظمى، ص25.

الشرق آنذاك على النصرانية وكثر عددهم فأصبحت انطاكيا مركز الرسالة العالمي، ونقطة الانطلاق للتبشير بين الأمم)) ومنها كان ينطلق بولس في رحلاته، أما بالنسبة للحواريين فقد بقوا على منهجهم نفسه الذي خطه لهم معلمهم إلى إن جاءت نقطة التحول – كما يروي سِفْر الأعمال – وعلى يد بطرس رئيس الحواريين، حيث انه كان في قيصرية وكان هناك رجل اسمه كرنيليوس (وهو قائد مائه في الكنيسة الإيطالية)[1] فرأى هذا القائد حلماً أن ملاكاً يخاطبه، ويأمره بأن يرسل إلى بطرس ويحضره إليه حتى يسمع منه وكان بطرس موجوداً عند رجلٍ دباغ بيته عند البحر فأرسل اثنين من حرسه مع قائد له ليحضروه، أما بطرس فأخذته سنة من نوم ((فرأى السماء مفتوحة وإناء نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء وصار إليه صوت قم يابطرس أذبح وكل فقال بطرس كلا يارب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً فصار إليه أيضاً صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت وكان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الإناء أيضاً إلى السماء))[2] فجلس بطرس يفكر في هذه الرؤيا حين وصل الرجال الثلاثة فقال له الروح قم واذهب معهم لاني أنا قد أرسلتهم فذهب معهم بطرس إلى كرنيليوس وبشرهم وأمرهم أن يعتمدوا فاعتمدوا وبقي معهم أياماً ، ولما عاد بطرس إلى أورشليم خاصمه الذين من أهل الختان قائلين انك دخلت إلى رجالٍ ذوي غلفة وأكلت معهم فشرح لهم بطرس ما حدث معه، وكيف أن الروح هو الذي رتب هذا العمل وختم كلامه بقوله ((فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضاً بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمن أنا اقادر أن امنع الله، فلما سمعوا ذلك سكتوا وكانوا يمجدون الله قائلين إذاً أعطى الله الأمم أيضاً بالتوبة للحياة))[3].

إن هذا النص فيه الكثير من الوقفات والأمور المهمة التي غيرت وجه المسيحية، فكاتب السِفْر قد تعمد الإسهاب كثيراً عن عمل الروح القدس وأهميته في حياة المسيحيين الأوائل، لكي يضفي على الأحداث ما يراه مناسباً ومن ثم ينسب هذا العمل إلى الروح القدس، وبالتالي تكون قضية شرعية مسلم بها لأن

---

[1] سِفْر أعمال الرسل 10: 1.

[2] م. ن 10: 10-16.

[3] شواهد القصة موجودة في سِفْر أعمال الرسل في الإصحاحات (10-11).

هذا هو عمل الأقنوم الإلهي الثالث من الثالوث المقدس، ولابراز دور الروح، فقد جعله كاتب السفْر هبة من السيد المسيح عليه السلام يبقى مع التلاميذ، ويوجههم بعد رفعه إلى السماء[1]، لذلك كانوا يتكلمون بالروح[2] ويمتلئون منه ويعينهم عند مناظرة الكهنة[3] وهو يعين الذين يؤمنون بيسوع المسيح[4]، وان باستطاعته رفع الرسل والذهاب بهم إلى أماكن ثانية[5] ولتسهيل الأمر عليهم فان بإمكانه مخاطبتهم [6] وهو الذي يرسلهم للتبشير في مناطق مختلفة[7] وكانوا يجابهون السحرة وسحرهم بقوته[8]، بل ان الذي يكذب على الروح القدس فان مصيره الموت[9] وغيرها كثير، على أن الرسل لم يكونوا يفرقون بين ظهوره الحقيقي وبين الأحلام فكل حلم كانوا يعدونه مقدساً وهو من الروح القدس[10]، بل انه كان يظهر في الأحلام حتى للأمميين[11] بدون تفريق[12]، وهذا الظهور هو الذي رتب لقاء بطرس مع كرنيليوس في النص السابق.

إن إيراد كاتب السفْر أن بطرس كان يسكن مع رجلٍ دباغ بيته عند البحر مسألة غير صحيحة لان التلاميذ – واليهود قاطبة – يتنجسون من الجلد ودباغته[13] فكيف يجلس سمعان (بطرس) في بيت ويسكن فيه وفيه شيء نجس، إلا إذا أراد كاتب السفْر أن ينقل إلى الأذهان بداية انفصال المسيحية عن اليهودية عن طريق الخروج على تعاليم الشريعة الموسوية وعدم تطبيقها، ولكي يمهد كاتب

---

(1) سفْر أعمال الرسل 1: 2.

(2) م. ن 2: 3.

(3) م. ن 4: 8.

(4) م. ن 5: 13.

(5) م. ن 8: 40.

(6) م. ن 13: 2.

(7) م. ن 13: 4.

(8) م. ن 13: 9.

(9) كما في قصة حنانيا مع زوجته، وشواهدها موجودة في سفْر الأعمال (5: 1).

(10) (ينظر) سفْر الأعمال 10: 10.

(11) سفر أعمال الرسل 10: 3.

(12) وأدل شيء على ذلك ورود كلمة الروح القدس واشتقاقاتها في سفْر الأعمال (91) مرة.

(13) سفْر اللاويين 11: 8.

السفْر لهذا الأمر فقد أورد قصة حلم بطرس مع الأطعمة المحرمة، الذي رأى فيه كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء موضوعة في إناء[1] ؟ فهل يعقل أن يخاطب الله تعالى بطرس ويأمره بان يذبح ويأكل من هذه الأطعمة، والحيوانات، وهو يعلم أنها محرمة في الشريعة التي أنزلها على موسى عليه السلام[2] وهل يرضى الله أن تخالف شريعته ! إن بطرس نفسه أنكر هذا الشيء بقوله ((كلا يارب لأني لم آكل قط شيئاً دنساً أو نجساً)) وان ((كثيراً من اليهود قد احتملوا التعذيب حتى الموت على انه أولى من ان يخالفوا الشريعة، وكانت تتردد فيما بينهم قصة اليعازر الشيخ أو قصة الأخوة المقابيين السبعة مع والدتهم الذين ماتوا وسط العذابات دون أن يرضوا بأكل اللحوم المحرمة))[3].

ثم ينتقل كاتب السفْر بعد ذلك إلى استحداث شيء جديد في الشريعة، وهو مجالسة الأمميين والأكل معهم ثم دعوتهم للإيمان التي بيَّنها بطرس حين قال لهم: ((انتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي أن يلتصق بأحد أجنبي أو يأتي إليه)) فإذا كان بطرس يعي تحريم هذا العمل فكيف يصر كاتب السفْر على ان بطرس فعله بمجرد أن رأى في المنام ذلك ؟ فهل رؤيا المنام تحل للتلاميذ أن يغيروا الشريعة ويتجاوزوا عليها وهم الذين حفظوا كلمات معلمهم عليه السلام وكان يتردد صداها في نفوسهم وعقولهم بان ((إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس))[4] بل إن السيد المسيح عليه السلام نفسه لم يكن يجالس الاممين ويتكلم معهم – كما تروي الأناجيل – وقصته مع المرأة الأممية التي مرضت ابنتها معروفة في رفضه أن يشفيها بل انه وصفها بوصف الكلاب، وهذه هي نظرة اليهود إلى غيرهم من الاممين يقول الدكتور رشاد عبدالله الشامي[5]: ((ولا تقف فكرة الشعور بالاستيلاء العنصري في التكوين النفسي اليهودي عند ذلك الحد بل تنعكس في العديد من التعبيرات التي تعكس الإيمان العميق لدى اليهود بحقارة أمم العالم مثل (جوي) التي يشار بها إلى الشخص غير

---

[1] سفْر أعمال الرسل 10: 10.

[2] تفاصيل الأطعمة المحرمة حسب الشريعة اليهودية موجودة في سفْر اللاويين الإصحاح (11).

[3] آني جويير، المسيحيون الأولون، ص21.

[4] متّى 15: 26.

[5] الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة 1986م، ص30.

اليهودي وتعني القذارة المادية والروحية والكفر (وعاريل) ومعناها (الأقلف) أي غير المختتن والذي يبقى بدائياً فطرياً فيظل قذراً وكافراً في آن واحد)) وعلى أساس هذا الفهم العنصري القاصر، كيف يسمح بطرس وهو رئيس الحواريين أن يخالف معلمه وشريعته، ويجالس الخطاة، ويأكل معهم الأطعمة المحرمة، ثم يعمدهم في نهاية الأمر لمجرد حلم رآه ؟ وعندما سيواجه الرسل بطرس بهذه الحقائق فانه سينسب هذا العمل إلى الله لكي لا يناقش التلاميذ فيه فيكون قضية مسلمة لأنه عمل تدخل الروح فيه، وهذا ما حصل في السفْر حيث أن التلاميذ لما سمعوا دفاع بطرس ((سكتوا وكانوا يمجدون الله قائلينَ إذاً أعطى الله الأمم أيضاً التوبة للحياة))[1]، إن هذه القصة المهمة التي كانت من أسباب تغيير وجه المسيحيية الحقيقية، والتي أوردها صاحب سفْر الأعمال فيها كثير من التناقضات والأمور التي لا يمكن للرسل أن يسلموا بها، ولا يمكن لأحد أن يتصور أن الرسول بطرس بهذه السذاجة حتى يقبل بهذه الأمور، لذلك فان الكثير من الشك يحوم حول هذه القصة التي يراها شارل جنيبر من قصص الأساطير[2].

إن قبول دخول الامميين وتعميدهم في تلك الحقبة كان لأولئك الذين يؤمنون بالله ويقبلون أن يتقبلوا العقائد اليهودية بكاملها[3] فكان عليهم أن يختتنوا وان يلتزموا بالشريعة اليهودية، والحفاظ على زيارة الهيكل، والالتزام بالعبادات، والصوم، والنذور، والأعياد اليهودية، ومع هذا كله إيمانهم ان عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر المرسل من قبل الله، فكان هذا هو فهم جماعة الهيلينستيين المارة الذكر، وعلى هذه الأسس أكدوا في تبشير الأمم المختلفة انطلاقاً من مركزهم في انطاكيا، ولهذا فإن غالب الظن أن كاتب السفْر، وضع قصة بطرس هذه لكي يثبت أن الرسل هم أيضاً كانوا موافقين على هذا التحول، ولكن الحقيقة أن معظم اليهود المسيحيين كانوا يعتقدون أن الله قدم الخلاص لليهود وحدهم لانه أعطاهم ناموسه وشريعته[4] وفق رسالة السيد المسيح عليه السلام، أما جماعة الهيلينستيين فترى أن الأمميين يمكن أن ينالوا الخلاص عن طريق التعميد، وان يطبقوا الشريعة الموسوية.

---

(1) أعمال الرسل 11: 8.

(2) المسيحية نشأتها وتطورها، ص88.

(3) آني جوبير، المسيحيون الأولون، ص21.

(4) ينظر، سِفْر الخروج (19، 20).

ويقر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[1] بوجود خلاف بين الطرفين حول قبول الأمميين حيث يقول: ((إلا أن الفرحة بدخول الامميين إلى الإيمان لم تكن عامة وشاملة فقد ظل هذا الأمر مثار جدل ونزاع طوال القرن الأول الميلادي بين بعض المسيحيين من أصل يهودي)) إلى هنا يتوقف كتبة التفسير ولا يكملون العبارة إلا أن الطرف الثاني في الصراع هم الهيلينستيون الذين يريدون تبشير الأمميين، على ان أول تبشير للأمميين لم يحصل داخل فلسطين بل انه حصل في انطاكيا حيث يخبر سفْر الأعمال ان الهيلينستيين الذين هربوا بعد مقتل إستفانوس ذهبوا إلى فينيقية، وقبرص، وانطاكيا، وهم لا يكلمون أحداً إلا اليهود فقط، ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرصيون وقيروانيون الذين لما دخلوا انطاكيا كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع وكانت يد الرب معهم فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب[2] فعلى ذلك فان الدعوة المسيحية بعد السيد المسيح كانت ترجع إلى مركزين: أحدهما برئاسة جيمس (يعقوب)* المسمى بأخي الرب ومقره بيت المقدس، والثانية برئاسة بولس ومريديه ومقرها خارج فلسطين بعيداً عن سلطان هيكل اليهود، وتحديداً في انطاكيا، ولقد كانت شعبة بيت المقدس أقرب إلى المحافظة والحرص على شعائر العهد القديم ولها قيادة العالم المسيحي داخل فلسطين وخارجها من بلاد الدولة الرومانية كما يظهر من وصاياها ومن أجوبة المسيحيين في الخارج عليها، وكلها وصايا تحث على رعاية الشعائر اليهودية كما جاءت في النبوءات، وظلت الرئاسة في العالم المسيحي معقودة لهذه الشعبة التي كانت تعمل أيضاً خارج فلسطين ودليل ذلك الإشارة الدائمة في رسائل بولس إلى صراع ووجهات نظر مختلفة، إنها الأخطار نفسها التي يجابه بها بولس أينما ذهب في غلاطية وكورنثة وكولوسي وروما وانطاكيا[3]. فكان لهذه المجموعة ((أثر كبير في أسلوب الدعوة واختيار وسائل الإقناع، إذ اختلف الأسلوبان بين الخطاب الموجه إلى اليهود وحدهم، والخطاب الموجه إلى الامميين النافرين من اليهود بينما كان الخلاص على يد فرد من بني إسرائيل لإنقاذهم دون غيرهم أمراً مفروغاً منه بين اليهود، وبالمقابل كان

---

(1) ص2307.

(2) ينظر أعمال الرسل 11: 19-21.

* يعقوب (جيمس): واحد من أخوة المسيح، أصبح من قادة الكنيسة في أورشليم له رسالة في العهد الجديد باسمه تزخر بمعاني التوحيد يرجح انه رجم حتى الموت سنة 62م، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص345.

(3) شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص90، (بتصرف).

الناس بحاجة إلى صفات إلهية في الرسول المخلص يقبلها الاميون ولا يتقيدون في قبولها بالشروط والعلاقات التي يلتزمها المتشبثون بحرفية النص))[1]. وظهرت بوادر الانفصال الحقيقي في انطاكيا حيث يروي سفر الأعمال ان الكنيسة في أورشليم لما سمعوا بان الأمميين قد قبلوا كلمة الله أرسلوا برنابا إلى انطاكيا ففرح حين رأى ذلك فاتجه إلى طرسوس لكي يقابل بولس ويأتي به إلى انطاكيا فبقيا في انطاكيا سنه كاملة يعلمان الناس هناك وسمي التلاميذ مسيحيين في انطاكيا منذ ذلك الوقت[2]، ولازمتهم هذه التسمية (المسيحيون) منذ ذلك الحين، ومما ساعد على ذلك بيئة انطاكيا حيث ((ان فيها مزيجاً عجيباً من اليهود . المتحدثين باليونانية أو الآرامية – الهيلينستيين – والأمميين، وهي أيضاً مركز للعديد من العبادات الوثنية التي تشجع الفساد إلى جانب مختلف أشكال الشر الشائعة بين تلك العبادات الوثنية كما كانت مركزاً تجارياً هاماً فهي بوابة الشرق))[3]، ولعلها بهذه الصفات قد حازت قيادة المسيحيين واحتضنت هذه العقيدة الجديدة التي انتشرت فيما بعد في أنحاء الدولة الرومانية كافة انطلاقاً منها بعد أن استقر فيها بولس وسُمّي اتباعه فيما بعد بالمسيحيين، وفي هذا دليل على أن تبشيرهم في انطاكيا كان باسم المسيح وهو منطقي لما كان يحمله أهل انطاكيا من أفكار وثنية وفلسفات عديدة، وان يتجهوا إلى أعمال الفكر والمنطق في شخصية عيسى﵇ ورسالته على مدى أبعد مما كان يتصوره أصحاب المسيح أنفسهم، وهي تدل فضلاً عن ذلك على أن عامة الناس في المدينة ميزوا تمييزاً واضحاً بينهم وبين الطائفة اليهودية الأصلية، ويكاد يكون من القضايا المسلم بها أن بيئة انطاكيا هذه حيث كثر المؤمنون الذين علقوا بعيسى كل الآمال وان لم يعرفوه تلك البيئة ساعدت على التطور السريع نحو (تأليه) المسيح أو هي حددت فكرة (تمجيده) إن بدت كلمة (التأليه) هنا سابقة لأوانها، وكذلك فان هؤلاء المؤمنين ينزعون في تصورهم لشخصه، ولرسالته إلى التخلص من كل خصائص عيسى اليهودية كمسيح ليرقوا به إلى مفهوم اعم وأوسع وأرفع ذلك المفهوم الذي يقترن بكلمة (سيد)[4].

---

(1) عباس محمود العقاد، حياة المسيح في التأريخ وكشوف العصر الحديث، دار الهلال، ط2، ب. ت ص19.

(2) ينظر، سفر أعمال الرسل 11: 22–26.

(3) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2308.

(4) شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص91 (بتصرف).

وبقيت مدينة انطاكيا قاعدة انطلاق بولس، حيث تبين نصوص سفر الأعمال أن الروح القدس قد اختار بولس وبرنابا للعمل على تبشير الأمم، فكانا ينطلقان منها في رحلات منظمة إلى المدن، ويدخلان إلى مجامع اليهود أولاً ثم يبشرون الأمميين، ويبدو أن عملهم هذا كان بدون علم جماعة أورشليم، وقد اكتسب صفته الشرعية باختيار الروح القدس لهما فكان قضية مسلمة، ثم انها تدل على الانفصال الحقيقي بين انطاكيا وأورشليم إلا أن مركز القيادة الحقيقي والثقل في العالم المسيحي كان في أورشليم فكان لابد لبولس أن يبقي بعض خيوط الاتصال بهذه الجماعة، و يحاول أن يتودد إليها بكل طريقة لكسب رضاها كي يكون مقبولاً عندها ولا يواجه بالمجابهة والرفض عند دخوله إلى المجامع اليهودية في المدن المختلفة، وخير مثال على ذلك رحلة بولس وبرنابا إلى انطاكيا[1] التابعة لمقاطعة بيسيدية – وهي ليست انطاكيا التي في سوريا – وكذلك في ايقونية [2]، حيث جوبها بمعارضة قوية من اليهود بل و في بعض الأحيان كان يأتي اليهود من أماكن أخرى ليكذبوا بولس وبرنابا وليطردوهم ويرجموهم كما حدث في لسترة[3]، ومن أمثلة هذا التودد إلى جماعة أورشليم: جمعه لتبرعات وإعانات من انطاكيا، وجلبها إلى جماعة أورشليم التي كان فيها مجاعة شديدة وكانت في ضائقة مالية[4]. محاولة منه لكسب رضا قادة الكنيسة في أورشليم.

ثالثاً: مجمع أورشليم وآثاره.

يرى النصارى أن مجمع أورشليم هو أول مجمع مسيحي يجتمع فيه المسيحيون ليقرروا مسألة تخص الكنيسة والمؤمنين، إلا ان من الملاحظ أن هذا المجمع كان يضم المسيحيين من أورشليم وانطاكيا فقط[5]، دون حضور ممثلين من باقي المدن[6] فهو لا يرقى أن يسمى مجمعاً بل إن أفضل ما يقال فيه اجتماع كما

---

[1] سفر أعمال الرسل 13: 14.

[2] م. ن 14: 1.

[3] م. ن 14: 19.

[4] ينظر، سفر أعمال الرسل 11: 23-30.

[5] بل إن الذي حضر من كنيسة انطاكيا هما بولس وبرنابا فقط، ينظر، المطران إسحاق ساكا النائب البطرياركي العام، كنيستي السريانية، (ج1)، مطابع ألف باء، الأديب دمشق، (ط1)، 1985م، ص17.

[6] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2321.

أطلق عليه سِفْر الأعمال[1] ومن الباحثين من يرجِّح انه عقد عام (49م)[2]، وهناك من يرى انه عَقد عام (51م)[3]، وان سبب انعقاده كما يراه الأب زكريا الشوملي[4] هو: ((إن عدد الوثنين الداخلين في الكنيسة قد كثر فأصبح اندماجهم بالكنيسة وتنظيم علاقاتهم بسائر أفرادها وتحديدها تحديداً بيناً أمور لا مناص منها لذلك التأم مجمع الرسل والكهنة)) بينما يرى التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[5] أن سبب انعقاده هو: ((انزعاج المسيحيين اليهود لأنه سرعان ما زاد عدد المسيحيين الاميين عنهم لذلك التأم المؤتمر))، إلا أن حقيقة انعقاده يرويها سِفْر الأعمال فيقول: ((وانحدر قوم من اليهودية وجعلوا يعلمون الأخوة انه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم من اجل هذه المسألة))[6]، إن في هذا النص العديد الأمور المهمة، منها أن مجموعة أورشليم لم تكن خاملة في التبشير في المدن، وان لها صوتاً مسموعاً في كثير من المناطق، والدليل هو قدومها إلى انطاكيا قاعدة بولس الأممية لردها عن معتقداتها الخاطئة، ثم الصدام الواضح في كثير من الأماكن بين بولس وبين هذه الفئة، وهو ما نلمسه في سِفْر الأعمال ورسائل بولس، فهي إذاً تملك من القوة ما يجعلها تغزو بأفكارها ودعوتها معقل بولس في انطاكيا لذلك يقول الكاردنيال دانيلو[7]: ((ولكن اليهودية المسيحية كانت تمثل حتى عام 70م غالبية الكنيسة، وكان بولس منعزلاً وكانت بقيادة جاك (يعقوب) ومعه بطرس ويوحنا وخلفه سيمون وهو ابن كاليوبا ابن عم المسيح عليه السلام))، فهي إذاً تمثل غالبية الكنيسة في تلك المدة، إلا أن مدها وانحسارها بدأ يقل تدريجياً لتميل الكفة في النهاية إلى العقائد الموضوعة، ويفهم من خلال النص، أن بولس هو الذي كان يعلم

---

(1) سِفْر أعمال الرسل 15: 6.

(2) موريس بوكاي، دراسة في الكتب المقدسة، ص71.

(3) إسحاق ساكا، كنيستي السريانية، ص17.

(4) من ظلمة الشك إلى نور اليقين، المطبعة المخلصية، صيدا، لبنان، ب. ت، ص132.

(5) ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2321.

(6) سِفْر الأعمال 15: 1-2.

(7) مقال نشر في مجلة دراسات (Ētudes) في سنة 1967م، نقلاً عن كتاب موريس بوكاي، دراسة في الكتب المقدسة، ص72.

الاميين عدم الاختتان، وعدم تطبيق شريعة موسى حتى قبل أن يصدر قرار المجْمَع، حيث أن الفقرات توضح ان خطاب مجموعة أورشليم للاميين كان يخص الختان لأنهم لم يختتوا أصلاً، فأرادوا منهم تطبيق الشريعة الموسوية من خلال الختان، إلا أن بولس وبرنابا كانا يباحثان وينازعان حول هذه المسألة فهي تدل على ان بولس هو الذي كان يعلمهم عدم تطبيق الشريعة، وألا كيف لهم أن يدخلوا إلى المسيحية وهم ليسوا مختتنين مع ان تطبيق الشريعة كانت مسألة بديهية عند التلاميذ وعند جميع المسيحيين اليهود آنذاك.

ويروي سِفْر الأعمال ذهاب بولس وبرنابا إلى أورشليم لحضور الاجتماع الذي لم يحضره الا المسيحييون من انطاكيا وأورشليم[1]، وبدأ الجدال والنقاش حول مسألة الأميين وختانهم ليخلص السِفْر على ان يعقوب وبطرس هما اللذان خطبا في التلاميذ وجعلاهم يوافقون على عدم ختان الاميين بعد معارضة شديدة من التلاميذ فقال بطرس في خطبته: ((أيها الرجال الأخوة أنتم تعلمون انه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا انه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون والله العارف القلوب شهد لهم معطيا لهم الروح القدس كما لنا أيضاً ولم يميزوا بيننا وبينهم بشيء إذ طهر الإيمان قلوبهم فالآن لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله، ولكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً فسكت الجمهور كله))[2]، إن بطرس – كما يروي السِفْر – بدأ كلامه مذكراً التلاميذ بان المسيح أعطاه صفة قيادة الكنيسة (اختار اللهِ بيننا انه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل) إلا أن من الملاحظ إن هذه الصفة – قيادة الكنيسة والتلاميذ – قد خلت من سِفْر الأعمال إلا من هذه الإشارة في كلام بطرس نفسه، بينما بالمقابل نلاحظ أن قيادة الرسل والكنيسة ذهبت إلى يعقوب[3] (أخو المسيح) الذي لم يكن من الحواريين فهذا الأمر يسرب الشك إلى قصة الأناجيل في جعل بطرس هو راعٍ للتلاميذ كما نصبه السيد المسيح عليه السلام ، والا لماذا لم يعط هذه الصفة بعد رفع السيد المسيح مع صعوبة قبول هذه المسألة – كما

---

[1] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2321.

[2] أعمال الرسل 15: 7-12.

[3] عن قيادة يعقوب للكنيسة، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص345؛ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2310 ؛ موريس بوكاي، دراسة في الكتب المقدسة، ص71.

وردت في الأناجيل – لان فيها الكثير من القضايا غير المعقولة التي ورد ذكرها في الفصل الأول من هذه الأطروحة، وغالب الظن ان كاتب السفْر – أعمال الرسل – قد أوضح سبب إقحام بطرس في مسألة إيمان كرنيليوس[1] لأنه أراد أن يضفي شرعية قبول الاممين لان رئيس الكنيسة قد قبلهم سلفاً ثم ليأخذ شرعيتها من مجمع أورشليم بإقراره بصحة إيمانهم وذلك بقوله: ((والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً))، ثم ليكمل بطرس كلامه بمهاجمة الشريعة وجعلها ثقلاً عليهم ((لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله)) فهذه العبارات تدل دلالة واضحة على أسلوب الأمميين في الكلام، وأسلوب بولس بالتحديد حيث انه في العديد من رسائله يهاجم الشريعة الموسوية، ولا يعدها طريقاً للخلاص، بل إن طريق الخلاص الوحيد هو الإيمان بان المسيح قد فدى البشر وكفر خطاياهم، لذلك نرى كاتب السفْر ينسب إلى بطرس قوله: ((لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً))، فكيف يعقل أن يبدل بطرس أفكار سيده ومعلمه المسيح لتحل محلها أفكار أممية دخيلة لعبت بها عقائد الوثنيين ويقبلها على انها دين، ويرفض الشريعة التي ما فتىء معلمه عليه السلام يؤكد على الالتزام بها وتعليمها إلى تلاميذه، ويستمر السفْر في سرد وقائع الاجتماع، ويذكر أن يعقوب (أخو المسيح) تحدث بعد بطرس وأراد حل هذا النزاع والإشكال وقال كلاماً قريباً مما قاله بطرس ((لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم بل يرسل إليهم ان يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق من الدم)) وبهذا حل الإشكال في الاجتماع بأن أباحوا للأمميين عدم الاختتان مع أن عليهم أن يتجنبوا الأصنام والزنا، وعدم تناول لحوم الحيوانات المخنوقة والدم، واتفقوا على إرسال هذه التعاليم إلى الكنائس جميعاً. ويتمثل فهم المسيحيين لهذا الاجتماع ونتائجه في قول آني جويبر[2]: ((إن المعضلة معقده جداً على الكنيسة إما أن تساير اليهود فتضطر المهتدين الجدد إلى الالتزام بالشريعة الموسوية وهي في هذه الحالة تتعرض إلى الانفصال عن الجماهير الوثنية، أو أن تتخلى عن الشريعة وهي بذلك تنفصل عن اليهود)) فاختارت الكنيسة الانفصال عن اليهودية على أن تترك كثرة الوثنيين ا مع

---

(1) أوردنا سابقاً شك علماء النصارى في هذه القصة.

(2) المسيحيون الأولون، ص22.

علمها بأهمية الشريعة الموسوية، وأنها كانت بالنسبة للسيد المسيح وتلاميذه طريقاً للخلاص.

ويقر النصارى بأن الخلاف كان عميقاً جداً في الاجتماع حيث تقول آني جوبير[1]: ((وعاش الرؤساء هذه المأساة بغصة عميقة وتمزق لها فؤاد بطرس الذي أدرك منظور كلا الطرفين المتخالفين فكان أقرب إلى المختونين بحكم التقليد والطبيعة وربما بالدعوة أيضاً.. وكان بطرس يرى الصعوبات التي تتعرض لها جماعة أورشليم في عدم تفهم البعض ومن اتهامات البعض الآخر والهوة التي كانت تزداد عمقاً بين المجمع اليهودي والمسيحية الناشئة))، وهذا منطق الكثير من المسيحيين الذين يحاولون تبرير ما جرى في المجمع وهم يكتبون وفق ما ورد في سِفْر الأعمال ويحاولون التوفيق بين الروايات فيه، على انه يوجد في السِفْر الكثير من الآراء ومواطن الخلل، مما حدى بالكثير من المسيحيين إلى التشكيك بهذه الأحداث لذلك يقول الكاردينال دانيلو[2]: ((أما اليهود المسيحيون الذين ظلوا يهوداً مخلصين فانهم يعتبرون بولس كخائن وتصفه وثائق يهودية مسيحية بالعدو)) ويرد هذا الأمر في سِفْر الأعمال حيث يدور صراع دائم بين بولس وبين اليهود المسيحيين في أي مدينة يدخلها بولس للتبشير فيها وهذا الشيء يوضح سبب جمع بولس للمعونات الغذائية والأموال وإرسالها إلى كنيسة أورشليم[3]، التي يبدو أنها لم تشفع له في شيء لأنه بعد فترة وجيزة من انتهاء المجمع عاد إلى أورشليم فأراد الناس هناك أن يقتلوه بسبب عدم تطبيقه للشريعة الموسوية[4].

فالكثير من الأحداث التي يسردها السِفْر مبالغ فيها، ولا تسير على حسب مجرى الأحداث الصحيحة، والسبب هو بعد المسافة بين استحصال قانونية هذا السِفْر وبين كتابته الحقيقية، فهو في فهمه العام يوضح انتصار الأمميين وعقائدهم على المسيحية اليهودية، بل انه يقص أعمال هؤلاء الأمميين بقيادة بولس أكثر مما يقص أخبار تلاميذ السيد المسيح أنفسهم، ويكاد السِفْر أن يكون في مجمله إيراد قصة تبشير بولس للأمميين حيث ان السِفْر يحتوي على 80٪ من

---

(1) م. ن، ص22.

(2) نقلاً عن كتاب، موريس بوكاي، دراسة في الكتب المقدسة، ص72.

(3) سِفْر الأعمال 11: 29.

(4) م. ن الإصحاح 21.

أخباره، وغفل عن قصة المسيحيين اليهود وتبشيرهم وأعمالهم، إلا من إشارات داخل ثنايا السفْر مع الصدام الذي يحصل لبولس ومخالفيه في رحلاته التبشيرية، ويؤكد علماء النصارى ان غالبية المؤمنين هم من المسيحيين اليهود وانهم كانوا هم المجموعة الأكثر والأقوى لذلك بقي إمتدادهم ووجودهم إلى مجمع نيقية سنة 325م وما بعده، لذلك فان كتابته بهذه الطريقة كان متعمداً، ومن الراجح انه أضيفت إليه قضايا أو أمور توافق ما تذهب إليه عقائد الأمميين وتمجد بطلهم بولس، ومن ضمنها اجتماع أورشليم وما أضيف إليه من الأحداث لاحقاً، وأقوى دليل في السفْر على ذلك، ما ورد في الإصحاح الحادي والعشرين منه، حيث منع تلاميذ بولس معلمهم من ان يذهب إلى أورشليم خوفاً عليه من ان يقتله المسيحيون اليهود، لانهم كانوا غاضبين عليه بسبب تعليمه لليهود الذين يسكنون مع مختلف الأمم أن لا يختتنوا أطفالهم، وان يتركوا الشريعة الموسوية، إلا أن بولس رفض مطلبهم وسافر إلى أورشليم والتقى بيعقوب والرسل فقالوا له: ((أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا وهم جميعاً غيورون للناموس، وقد اخبروا عنك انك تعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً أن لا يختتنوا أولادهم ولا يسلكوا حسب العوائد))[1]، فيفهم من هذا النص وجود استجواب مباشر لبولس حول تعاليمه المخالفة لليهودية، إلا أن كاتب السفْر أصر على أن قادة الكنيسة (يعقوب وبطرس والشيوخ) دبروا خدعة لاتباعهم حتى ينقذوا بولس منهم ومن العقاب الذي كان ينتظره لمخالفته الناموس فقالوا: ((فإذاً ماذا يكون، لابد على كل حال ان يجتمع الجمهور لانهم يسمعون انك قد جئت فافعل هذا الذي نقول لك عندنا أربعة رجال عليهم نذر خذ هؤلاء وتطهر معهم وانفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع ان ليس شيء مما اخبروا عنك بل تسلك أنت أيضاً حافظاً للناموس))[2]، إن هذه المحاورة قد جرت بعد اجتماع أورشليم بفترة طويلة فهل يعقل أن يدرج كاتب السفْر هذه الأمور لنسف ما أضافه وقرره من خارج الأحداث في اجتماع أورشليم.

ومما يلاحظ في هذا النص أيضاً مدى تمسك المسيحية اليهودية بالناموس وعدم قبولهم تغييره، والأهم من ذلك هو إنكارهم على بولس تعليمه اليهود الذين

---

(1) سفْر أعمال الرسل 21: 17-21.
(2) م. ن، 21: 22-25.

في الأمم الابتعاد عن شريعة الختان، فكيف ينكرون هذا الشيء عليه ثم يقره الشيوخ، والرسل، وذلك بتدبيرهم وسيلة لإنقاذه من العقاب ! فهذا يدل دلالة أكيدة على أحد أمرين:

إما ان يكون الرسل موافقين لتعليم بولس لليهود الذين يعيشون مع الأمم المختلفة، وإقرارهم له على عمله هذا في عدم تطبيقهم للشريعة اليهودية، وهم بهذا مخالفون لوصايا معلمهم ﷺ، ومخادعون لأتباعهم الذين يتمسكون بهذه التعاليم، ومداهنون لبولس على حساب الحق.

أو أن هذا الأمر غير صحيح ونسب إليهم بهتاناً وزوراً، وان هذا السِفْر قد أضيفت إليه هذه النصوص كما أضيفت نصوص مجمع أورشليم من قبل، وموافقة الرسل على عدم ختان الأمميين دسّ عليهم لتقرير واقعة هم رافضون لها أصلاً فكيف ينسى الرسل يهوديتهم التي نشأوا وترعرعوا في أحضانها وليكمل فهمها لهم معلمهم الذي ذكرها ومجدها في كثير من الأحيان، بل انهم كانوا يواظبون عليها في زمانه[1]، وحتى بعد رفعه ﷺ[2]، فكل هذه المعطيات والإشارات يزخر بها العهد الجديد وهي تدل دلالة أكيدة على أهمية الشريعة الموسوية، وأنها كانت تعد عند المسيحيين الأوائل سبباً للخلاص، إذا ما تمسك الإنسان بها وطبقها على ما يريد الله منه، فمن الطبيعي بعد ذلك ان يختار المسيحيون الأمر الأول حتى إذا كان هذا الأمر على حساب التلاميذ، وبذلك يستطيعون الانفصال عن اليهودية وتزمتها بالدين ومن ثمَّ تمرير الكثير من العقائد الجديدة، ومن ثم يسندون هذا الانفصال إلى الرسل وبالتحديد إلى بطرس رئيس الحواريين، الذي يصفه السِفْر وعلى لسان بولس بأنه كان مرائياً، يقول بولس في رسالته إلى أهل غلاطية: ((ولكن لما أتى بطرس إلى انطاكيا قاومته مواجهة لانه كان ملوماً لانه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان، وراءى معه باقي اليهود أيضاً حتى ان برنابا أيضاً انقاد إلى ريائهم))[3]، فنص بولس يوضح أن بطرس – رئيس الكنيسة – كان مرائياً يأكل مع الأمميين ويجالسهم مخالفاً للشريعة وبدون علم التلاميذ بل انه في بعض

---

(1) متّى: 21: 12–17، لوقا 20: 1–3

(2) أعمال الرسل 1: 14، 3: 1

(3) غلاطية 2: 11–14.

الأحيان يؤخر نفسه ولا يأكل معهم خوفاً من أهل الختان وعلى رأسهم يعقوب، فهل يعقل ان يفعل بطرس الحواري ذلك وهو رئيس الكنيسة وقائد المسيحيين، إلا أن هذه الرسالة توضح براءة بطرس من موافقته على عدم ختان الأمميين في اجتماع أورشليم، حيث يقول بولس تكملة لكلامه السابق: ((لكن لما رأيت انهم لا يسلكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع ان كنت وأنت يهودي تعيش أممياً فلماذا تلزم الأمم ان يتهودوا))[1] فيعترف بولس لبطرس انه يهودي وانه يلزم الأمم ان يتهودوا، وهذا عكس ما قيل فيه في اجتماع أورشليم.

وهكذا شيئاً فشيئاً وبين جذب ورد بين الطرفين أخذت المسيحية اليهودية من ذلك الوقت يقل عدد اتباعها، وتضعف قوتها، وتترك هذا الفكر للعقلية اليونانية تشكله وتصبغه بصبغتها، وأصمّت أذن مدينة الجليل - التي قضى فيها المسيح كل حياته تقريباً - عن سماع الوعاظ الذين جاءوها يدعون أهلها للاعتقاد بأن المسيح – ابن الله – ذلك ان اليهود الذين يذكرون كل يوم في صلواتهم ان (الله واحد) لم يستسيغوا فكرة المسيح المنتظر الذي لا يأبه بكفاحهم في سبيل الاستقلال ورأوا ان من العار ان يقال ان إلها قد ولد في كهف أو اصطبل في إحدى قراهم، وظلت المسيحية اليهودية قائمة على مدى خمسة قرون بين طائفة قليلة من المسيحيين السريان المسمين بالأبيونيم (الفقراء) الذين كانوا يجمعون بين التقشف المسيحي، والناموس اليهودي الكامل فلما كان آخر القرن الثاني الميلادي حكمت عليهم الكنيسة المسيحية بالكفر وأخرجتهم من حظيرتها[2].

---

(1) م. ن، 2: 15

(2) ينظر، ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج11)، ص245، (بتصرف).

المبحث الثاني

مصادر الفكر اللاهوتي في عهد التلاميذ

أولاً: الفكر اليهودي

1- يهوه إله بني اسرائيل

كان من الطبيعي أن يتأثر تلاميذ السيد المسيح بالفكر والتراث اليهودي، الذي كانوا متمسكين بهما والذي انتقل إليهم عبر مئات السنين، إلا أن هذا التأثير كان يأخذ في الغالب اتجاهين: اتجاه التدين، والتمسك بالدين، وبحرفية الناموس عند تلاميذ السيد المسيح، والاتجاه الآخر المتمثل بتعدد مناهج التفكير اليهودي من جهة، وتأثير الروح الهيلينية على يهود المهجر من جهة أخرى، مما أدى إلى تغلغل الكثير من العقائد الطارئة فيهم وهذا يظهر بوضوح في قبول اليهود على مدار التأريخ عبادة الأصنام وإضفاء الصفات البشرية على إلههم ومعبودهم، فكان من نتائج هذا عند يهود المهجر ان مجدوا السيد المسيح عليه السلام متأثرين بالروح الهيلينة ليفتحوا الباب واسعاً أمام الأمميين والرسول بولس ليضيفوا إليها أفكار ألوهية السيد المسيح، والخلاص، والفداء الإلهي، على حساب فكرة الخلاص اليهودي المتمثلة بالتمسك بالشريعة وتطبيقها، وهو ما أكد عليه السيد المسيح عليه السلام في تعاليمه وأقواله وما سار عليه تلاميذه الحواريون من بعده.

إن من أسباب تغلغل الأفكار والعقائد المنحرفة إلى الديانة اليهودية، اضطرابهم الفكري حول مفهوم الألوهية حيث انه مر بمراحل متعددة وعلى مدار التأريخ إلى أن وصل إلى مرحلته الحالية، يقول الدكتور محمد جابر عبد العال[1]: ((ان تطور الإله تطور مع تطور حياتهم رغم انه ضل إلهاً واحداً)) ويظهر من التأمل في أقدم سِفْرين من أسفار التوراة، وهما سِفْرا التكوين والخروج يظهر أن فكرة الألوهية ظلت مضطربة في عقولهم إلى نهاية المرحلة التي تم فيها تدوينهما أي إلى ما بعد موسى عليه السلام بأربعة قرون[2]. فصوروا الله على انه يشعر بالندم

---

[1] دراسات إسلامية في العقائد والأديان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م ص206.

[2] ينظر، د. سعدون الساموك، ورشدي عليان، تاريخ الديانتين المسيحية واليهودية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ب. ت، ص53.

ووخز الضمير[1]، وينسى ويتذكر[2]، وهو ليس عالماً بكل شيء، لذا فهو يطلب من بني إسرائيل ان يرشدوه بأن يصبغوا أبواب بيوتهم بالدم حتى لا يهلكهم مع أعدائهم من المصريين عن طريق الخطأ[3]، وهو إله متجرد ولكنه في الوقت نفسه يأخذ أشكالاً حسية محددة، فهو يطلب ان يضعوا له مكاناً مقدساً ليسكن في وسطهم[4]، وهو إله الحروب[5]، يُعلم يدي داود القتال[6]، يأمر اليهود بقتل الذكور بل الأطفال والنساء[7]، وهو إله قوي الذراع يأمر شعبه بألا يرحم أحد، وبالسرقة[8]. ووصفوه بالنقص، والضعف، والكذب، والغفلة، والجهل، من ذلك ما يرويه سِفْر التكوين بان الله حين نهى آدم وحواء عن الأكل من شجرة المعرفة أراد أن يمنعهما من مشاركته أهم صفة من صفاته وهي المعرفة وإبقاءهما جاهلين، فلما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وانساق معها زوجها أدركا ما كانا يجهلانه من قبل فعرفا انهما مكشوفا السوءتين وانه لا يليق ان يقابلا ربهما على هذه الصورة، ولما قدم الإله نحوهما مخترقاً طريق الجنة وسمعا صوته وحركته أثناء سيره اختبأا حتى لا يراهما عريانين، وأخذا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة فناداهما ربهما واخذ يستجوبهما، واستنتج من استجوابهما انه لابد ان يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة، وان ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما وان الإنسان قد أصبح بذلك (أحد الآلهة) لتمييزه بين الحسن والقبح، وانه قد أصبح من اللازم ان يطرد الإنسان من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي (شجرة الخلد) فتكون له بذلك صفة البقاء وعدم الموت[9]. ويذكر سِفْر التكوين أيضاً أن لله تعالى أولاداً من الذكور، وان هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللائي كان عددهن قد كثر في الأرض فاتخذوهن خليلات، وولد

---

[1] سِفْر الخروج (32: 10-14).

[2] م. ن، (2: 23-24).

[3] سِفْر الخروج (12-14).

[4] م. ن، (13: 21-22).

[5] م. ن، (15: 3-4).

[6] صموئيل الثاني (22: 30-35).

[7] عدد (31: 1-12).

[8] تثنية (7: 16-18).

[9] ينظر الإصحاح الثالث من سِفْر التكوين.

لهم منهن نسل امتاز ببسطة كبيرة في الجسم وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان[1]، ويورد السفر أيضاً قصة يعقوب عليه السلام وكيف انه صادف الله يوماً فتصارع معه طوال الليل حتى بزوغ الفجر وبعد انتصار يعقوب عليه السلام على الله باركه الله وسماه (إسرائيل) لانه كان قوياً على الله[2]، ثم تطورت صفات الإله على يد الأنبياء المتعاقبين وهذا يلاحظ من خلال النصوص الواردة في أسفار اشعياء[3] وارميا[4] وأيوب[5] ثم تطورت هذه الفكرة بعد ذلك على يد مفكريهم وفلاسفتهم[6].

إن مسألة تجسيم الله هذه سببت الكثير من الجدال والآراء، يقول الأستاذ لويس خليفة[7]: ((إننا أمام قضية صعبة لا تقف عند حدود قصتنا هذه – قصة أكل آدم وحواء من الشجرة - بل تشمل البيبلي (الكتاب المقدس) كله، إن العهد القديم خاصة في اقدم مراحله عندما يتحدث عن حضور الله وظهوره يصفه بطريقة تجسيمية وهذا الموضوع واضح في أسطورة يعقوب مصارعاً لله)).

وفقرات التجسيم التي تصف الله تعالى بالصفات الحسية في كتاب العهد القديم – وخصوصاً التوراة - كثيرة[8] لذلك ((اختلفت آراء الإسرائيليين أنفسهم حول حقيقة هذا المعبود ووطنه الأصلي، فمن قائل انه مصري[9]، واعتقد آخرون

---

[1] تكوين 6: 1-5.

[2] تكوين 32: 22-31.

[3] اشعيا 42: 5، 44: 24.

[4] ارميا 23: 24.

[5] أيوب 12: 10 و ينظر، سعدون الساموك ورشدي عليان، تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص53-54 ؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج2)، ص240.

[6] من هؤلاء الفلاسفة، الفيلسوف موسى بن ميمون (1135-1205م) وخصوصاً في كتابه دلالة الحائرين لذلك يقول د. اسرائيل ولفنسون في كتابه موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (ط1)، 1936، (وقد أصبح دلالة الحائرين مصدر الدراسة المنطقية للتوحيد الإسرائيلي) ص60.

[7] اللاهوت والتفسير البيبلي الحديث، المركز البيبلي الرعائي، مطبعة عمشيت، لبنان، 1996م، ص22.

[8] ينظر على سبيل المثال لا الحصر سفر الخروج 13: 20-21، 24: 9 -11، 32: 14، صموئيل الأول 15: 10.

[9] هوشيع 12: 1- 3، 13: 4.

ان وطن يهوه الأصلي كان في الصحراء الجنوبية[1]، ثم اختفت هذه الفكرة فيما بعد، ولكنها ظلت حية عند الشعراء))[2]، لذلك فان بني اسرائيل ((لم يستطيعوا في أي فترة من فترات تاريخهم ان يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء، وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد والنفعية واضحاً في جميع مراحل تأريخهم وعلى الرغم من محاولة ربط وجودهم بإبراهيم(عليه السلام)))[3]، ولكي نفهم طبيعة هذا المعبود يجب علينا ان نعود إلى تاريخ بني إسرائيل القديم لنعرف مدى علاقتهم به، فالديانة الإسرائيلية ديانة قومية تقوم على كثير من عناصر (يهوه) فهو الذي ينكل بهم إذا ما أغضبوه، وينصرهم إذا اخلصوا له فالعهد قائم بينهم وبينه منذ عهد موسى، فالإسرائيلي صديق أصدقاء يهوه وعدو أعدائه، يقاتلهم حتى يبيدهم أنى وجدوا ومتى سنحت له الفرصة، وساعدت هذه الصفة التي يتصف بها (يهوه) ويؤمن بها اليهود (علاقة التبعية) على خلق دولة إسرائيل قوميه العقيدة كل همها خدمة هذا الدين القومي ففي عصر القضاة، اعتقد الإسرائيليون أن أولئك الأبطال الذين ظهروا في فترات مختلفة وأخذوا بيد الشعب الإسرائيلي ضد الأجانب لنصرة (يهوه) قد أرسلهم (يهوه) لتحقيق هذه الرسالة، ومع مرور الزمن نجد فكرة تبعية الإسرائيلي لمعبوده (يهوه) تتطور حتى أصبح ينظر إلى الملك الذي يحكمه على انه (المسيح) الذي أوصى إليه (يهوه) إبلاغ رسالته وتمادى الإسرائيلي في هذه العقيدة حتى اعتبر هذا المرشد ابناً لله))[4].

إن التوراة التي تكثر فيها الفقرات التي تدل على تجسيم الله وذكر أوصافه الحسية، قد كتبت وجمعت بعد سيدنا موسى(عليه السلام) بأكثر من ألف سنه حسب تأريخ العهد القديم ((حيث يقع عصر سيدنا موسى (عليه السلام)حوالي القرن (الثالث عشر ق.م) وان معظم سفْري التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن (التاسع ق.م) أي بعد سيدنا موسى(عليه السلام) بنحو أربعة قرون ونصف القرن، وسفْر التثنية قد ألف في أواخر القرن (السابع ق.م) وسِفْرا العدد واللاويين قد ألفا في القرنين (الخامس

---

[1] حبقوق 3: 3.

[2] د. فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة النهضة الجديدة، مصر، 1968م، ص13.

[3] د. احمد شلبي، مقارنة الأديان — اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، (ط5)، 1978، ص180، (بتصرف).

[4] د. فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، ص13.

والرابع ق.م) أي بعد الترحيل البابلي سنة(587ق.م)، وجميعها مكتوبة بأقلام اليهود وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف الأدوار)) [1] يقول الدكتور محمد شلبي شتيوي[2]: ((والتوراة ما هي إلا كتاب ضم تاريخ بني إسرائيل، وأساطيرهم الشعبية، وآدابهم، وملاحمهم سطرته يد بشرية لها أغراضها وأهواؤها فانحرفوا بها عن جادة الصواب والصراط المستقيم)).

ونتيجة لتأخر كتابة التوراة كل تلك المدة الطويلة فمن المؤكد ان يضاف إليها عقائد وأفكار جديدة تختلف عما فيها من أصل، خصوصاً عقائد وأفكار الأمم التي اختلط معها اليهود لذلك يقول سهيل ديب[3]: ((وكون الديانة اليهودية ثبتت بشكلها النهائي في بابل جعل من البديهي ان تتأثر بالديانات والمعتقدات التي كانت مسيطرة هناك في ذلك الزمان))، ويقول د. محمد جابر عبد العال الحميني[4]: ((ان بني إسرائيل اعتنقوا إلى جانب التوحيد عقائد باطنها التعدد لتأثرهم بمن حولهم من الأمم الوثنية))، وهذا التأثر نلمسه واضحاً في التوراة في نعت يهوه بأنه إله الخصوبة ((ولاشك في ان هذه الصفة المتأخرة مأخوذة عن معبود أجنبي ينتمي إلى بلد خصب بخلاف (يهوه) الصحراوي المخرب وهذا الإله الأجنبي وبدون شك الإله الكنعاني (بعل) وقد اقتبس الإسرائيليون منه هذه الصفات عندما انتقلوا من الصحراء إلى أرض كنعان الخصبة الغنية بمياهها))[5]، ثم ان هناك الحفريات والآثار التي تؤكد هذه العبادة حيث اكتشف علماء الآثار الكثير من أصنام (بعل) في فلسطين[6].

بالمقابل تروي التوراة الكثير من الفقرات التي تدل على التوحيد الخالص، وتنزيه الله تعالى عن صفات البشر، وانه تعالى لا يحده مكان، ولا زمان، وانه يعلم ما في السماوات والأرض، وأنه متصف بكل صفات الكمال، ومنزه عن صفات

---

[1] د. سعدون الساموك ود. رشدي عليان، تاريخ الديانتين، ص39-40.

[2] التوراة دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح، الكويت، (ط1)، 1404هـ – 1984م، ص117.

[3] التوراة تأريخها وغايتها، دار النفائس، بيروت، (ط6)، 1986 ص28.

[4] دراسات إسلامية في العقائد والأديان، ص206.

[5] د. فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، ص15.

[6] ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص486.

النقص[1]. فعلى ذلك تمسك الحواريون والمسيحيون اليهود بالتوحيد حسب ما جاء به الأنبياء بينما وجد اليهود الهيلينيون مجالاً رحباً في توراتهم للانفتاح الفكري حول طبيعة الإله وصفاته متأثرين بمن حولهم من الأمم، فطوروها وآمنوا بها.

2- الأنبياء

النبي كما يعرِّفه المسيحيون هو: ((رجل كلمه الله فهو ينقل هذه الكلمة بطريقة مباشرة ويقدمها إلى الشعب رسالة حية لا حروفاً ميته، وهو الذي يترك الله يتكلم بفمه إنه أداة في يد الرب يوجهه كما يشاء وساعة يشاء))[2] واقتصار التعريف بالنبوة هنا على الرجال فقط هو غلط في المنظور اليهودي والمسيحي، لأن الله بعث من النساء من حملت صفة النبوة كما يروي العهد القديم[3]. ويرى الدكتور عبدالوهاب المسيري[4]: ((ان كلمة (نافىء) تعني في اللغة العبرية (من يتحدث باسم الإله) أو (من يتحدث الإله من خلاله) أو (من يتكلم بما يوحي به الإله) أو (من يدعوه الإله) وصيغة الجمع للكلمة (نافِئ) هي (نفيئيم) والإله يختار النبي ويوحي إليه بحمل رسالته إلى الناس)).

أما مصطلح النبي ((فان العبرانيين قد استعاروها من العرب في شمال الجزيرة العربية بعد اتصالهم بهم، لانهم كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين بالآباء وكانوا يسمون المتحدث بالأمور الغيبية بعد ذلك باسم الرائي أو الناظر، ولم يفهموا من كلمة النبوة في بادئ الأمر الا معنى الإنذار))[5]، أما مهمة النبي كما يراها الفيلسوف اليهودي سبينوزا[6] ((هي التبليغ والتعبير، فالوحي أو النبوة معرفة يقينية يوحيها الله للإنسان عن طريق النبي الذي يبلغه للبشر ويعبر عنه،

---

(1) ينظر، على سبيل المثال لا الحصر، الخروج 33: 8-20، تثنية 6: 4-9، 4: 12-15.

(2) بولس الفغالي، أقوال الله في شعبه أو الأنبياء الاثنا عشر، منشورات المكتبة البولسية، (ط1) 1993م، ص11.

(3) ينظر سفر القضاة إصحاح 5، صموئيل الأول إصحاح 2.

(4) موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، (م1)، (ج2)، ص31.

(5) مهنا يوسف حداد، الرؤية العربية لليهودية، منشورات ذات السلاسل، الكويت، (ط1) 1989م، ص146.

(6) رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي، مراجعة الدكتور فؤاد زكريا، الهيئة العامة المصرية للتأليف والنشر، 1971م، ص47.

فمهمة النبي هي صياغة الوحي أي المعاني الصرفة بأسلوبه وبطريقته وباستدلالاته الفطرية أو البيئية المكتسبة حسب مستوى فهم العامة، وقد كان النبي عند اليهود مجرد مفسر(Interpreter) أو خطيب بالإضافة إلى مهمته في التنبؤ بالمستقبل))، وتمتاز الديانة اليهودية بكثرة أنبيائهم حيث يروي العهد القديم أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يكونون جماعات كثيرة، فيروي سفْر الملوك الثاني انه كان يوجد خمسون نبياً في مكان واحد[1] وفي سفْر الملوك الأول أربعمائة نبي في مكان آخر[2]، وجرت العادة عند اليهود إن كثر عدد الأنبياء في مكان ما هاجر فريق منهم إلى جهات أخرى[3]، كما ان النبوة لم تتطلب من النبي أن يبلغ من العمر حد الرجال بل نالها الشباب أيضاً[4].

وقد ظهر الأنبياء في مختلف الطبقات الاجتماعية والشعبية[5] ويرى الدكتور أحمد شلبي[6]: ((إن سبب هذا التعدد هو دليل على تجدد الشرك فيهم وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد))، وهذا ما حصل بالضبط مع السيد المسيح عليه السلام حيث أرسله الله تعالى لهذه المهمة في بني إسرائيل تحديداً بعد حيادهم عن منهج التوحيد القويم، واهتمامهم بالأمور المادية على حساب الأمور الروحية، فكانت دعوته عليه السلام تحتوي على بعد روحي، بدءاً من ولادته المعجزة، وإظهار الله (تعالى)على يديه ما كان يعجز عنه الطب المتقدم في وقته، والسحر المنتشر بكثرة، ان يعمل عمل هذا التأييد الإلهي، ففهم الحواريون هذه الدعوة التوحيدية الخالصة، ولم يفهمها قادة اليهود والكهنة الذين رأوا في دعوته ضرراً شديداً لهم فحاربوا دعوته عليه السلام ولا عجب فتآمروا عليه كما كان يفعل آباؤهم من قبل مع كل نبي ومصلح، ولم يفهم دعوته أيضاً بولس واتباعه من الهيلينين والوثنيين، الذين حرفوا هذه الدعوة و أدخلوها في متاهات فلسفية، متأثرين بالروح الوثنية التي مزجوها بالمسيحية لتأخذ صورتها النهائية في لاهوت المسيح.

---

[1] (سفْر الملوك الثاني 2: 7).

[2] (سفَر الملوك الأول 22: 6).

[3] ينظَر (الملوك الثاني 6: 8).

[4] ينظر على سبيل المثال (الملوك الثاني 5: 22).

[5] ينظر، فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، ص19،24.

[6] اليهودية ص188.

ونتيجة لانتشار النبوة فان هؤلاء الأنبياء يختلفون فيما بينهم في نبواتهم وأعمالهم، ((فنبوة (دبورة) مثلاً بدائية بسيطة تتركز في الدعوة إلى وحدة الشعب عقائدياً بخلاف نبوة شموئيل فهي متعددة النواحي فهو نبي ويمثل الحب الإلهي تمثيلاً صادقاً وفي عصر داود عليه السلام ظهر نوع هادئ من الأنبياء أمثال (ناثان) و (أفيا) و (الياهو) والأخير كان من دعاة تطهير العقيدة اليهودية من الدخيل إليها كما اشتهر بمعارضته القوية للنظام الملكي ثم جاء بعده النبي (اليشع) فكان شعاره القضاء على أسرة عمري الملكية))[1].

ويعد العهد القديم (الكتاب المقدس) لدى اليهود، المصدر الأول والاهم للفكر اليهودي، إلا أن هذا الكتاب قد زيد فيه وحذف منه وتلاعبت به أيدي الناس[2] وأدل شيء على ذلك ما يحتويه من فقرات عديدة داخل ثناياه، تتحدث عن الإله وتصفه بالكثير من صفات البشر، ويرد الشيء نفسه عند الحديث عن الأنبياء، حيث ترد المطاعن الكثيرة التي تصف الأنبياء بالكذب[3]، والزنا بالمحارم[4]، وشرب الخمر[5]، وعبادة الأصنام[6]، وغيرها، لذلك تعد محاولة علمائهم في تفسير ظاهرة النبوة والوحي من خلال العهد القديم تتسم بالتخبط ومجاوزة الحقيقة، حيث يقول سبينوزا[7] مفسراً ظاهرة الوحي عند الأنبياء: ((ويتكيف الوحي حسب خيال الأنبياء وقدراتهم كما تكيف بعد ذلك حسب معتقدات الحواريين والدعاة وأساليبهم في نشر الدعوة))، ففهمه لهذه المسألة هو أن على الوحي أن يتكيف مع الأنبياء وخيالهم وليس العكس، وكأن النبوة لديه ليست اصطفاءً من الله تعالى وتثبيتاً من عنده، ويشرح ما ذهب إليه فيقول ((يختلف الأنبياء فيما بينهم حسب خيالهم ومعتقداتهم وآرائهم، فالنبي الفرح توحى إليه الحقائق بحوادث سعيدة، والنبي الحزين تؤيده آيات حزينة، والنبي ذو الخيال المرهف توحى إليه الأشياء بصورة ناعمة رقيقة، والنبي الريفي يوحى إليه بصورة ريفية، والنبي الجندي يوحى

---

[1] فؤاد حسنين علي، اليهود واليهودية المسيحية، ص19.

[2] ينظر، سعدون الساموك و رشدي عليان، تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص39-42.

[3] تكوين 20: 2-5، 26 –27.

[4] م. ن 26: 7.

[5] م. ن 9: 20-24.

[6] نحميا 13: 26.

[7] رسالة في اللاهوت والسياسة، ص48.

إليه بصورة عسكرية، والنبي رجل البلاط يوحى إليه بصورة ملكية، ويختلف الأنبياء فيما بينهم حسب معتقداتهم في السحر والتنجيم فتوحى إليهم الموضوعات السحرية كما أوحيت للمجوس ولادة المسيح، ومن يؤمنون بالكهانة والعرافة يوحى إليهم في إحصاء الضحايا، ومن يؤمنون بحرية الاختيار يوحى إليهم بان الله لا يتدخل في أفعال البشر))[1]، ولا يقتصر الأمر عنده في مستوى خيال الأنبياء بل ان الوحي ملزم أيضاً بالتكيف مع خيال الجمهور، حيث يقول: ((كما يتكيف الوحي حسب عقلية الأنبياء ومزاجهم وقدراتهم العقلية ومخيلتهم فانه يتكيف أيضاً حسب عقلية الجمهور، وطبقاً للمستوى الثقافي للعصر، فلم يقل الأنبياء شيئاً عن صفات الله إلا ما اتفق مع المعتقدات الشائعة للجمهور، ومع البيئة الثقافية للعصر، فلم يعرف آدم أن الله قادر قدرة مطلقة، وعالم علماً مطلقاً ذلك لانه قد اختبأ من الله، واعتذر عن خطيئته وكأنه يعتذر لبشر مثله، وقد سمع آدم أيضاً صوت أقدام الله وهو يسير في الجنة وحادثه وسامره، ولقد جهل آدم صفات الله كلها إلا صفة واحدة وهو انه خالق كل شيء))[2].

إن هذا التخبط في التفسير وفهم النصوص يعود لسببين:

الأول: تحريف الكتب المقدسة التي يروي عنها علماء اليهود، وإضافة الصفات الحية والبشرية لله تعالى مع تحريف متعمد لحياة الأنبياء وأقوالهم، وهذا شيء طبيعي في هذه الأمة لانحرافها عن التوحيد في جميع أطوار حياتها، وتمسكها بالأمور المادية على حساب تعاليم الله وأنبيائه.

والثاني: فتح الباب واسعاً في اليهودية لكل شخص لأن يكون نبياً، وما عليه إلا أن يتنبأ بالمستقبل فيدخل في هذه الزمرة، وضرب سبينوزا مثلاً للسحرة المجوس، وللأنبياء الذين يؤمنون بالكهانة والعرافة ؟، ومن نتائج هذا الفهم العقيم للنبوة، وعدم تقييدها بضوابط معينه أن أُدخل الكثير من الناس تحت هذا المفهوم، ومنهم الحواريون، والتلاميذ، وحتى بولس الذي لم يرَ المسيح عليه السلام ولم يكن من تلاميذه، مما أدى به إلى تغيير الكثير من أمور الشريعة وإدخاله التعاليم الجديدة فيها على حساب تعاليم سيدنا موسى عليه السلام، وقبل منه هذا التغيير، لان له صفة الرسالة والإلهام الإلهي.

---

[1] سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ص48.

[2] م. ن، ص48.

3- المسيح المنتظر

إن كلمة المسيح جاءت من كلمة (ماشيح) وهي كلمة عبرية تعني (المسيح المخلص)، ومنها (مشيحوت) أي المشيحانية، وهي الاعتقاد بمجيء الماشيح والكلمة مشتقة من الكلمة العبرية (مشح) أي (مسح) بالزيت المقدس، وكان اليهود على عادة الشعوب القديمة يمسحون رأس الملك والكاهن بالزيت قبل تنصيبهما علامة على المكانة الخاصة الجديدة[1]. ونجد هذا المعنى منثوراً في العهد القديم فيروي سِفْر الخروج ان موسى عليه السلام مسح أخاه هارون كاهناً على بني إسرائيل ((هذه يلبسها هارون وبنوه معه وتمسحهم وتقلدهم وضيفتهم))[2] وفي سِفْر الملوك الأول ((فقال له الرب أذهب راجعاً في طريقك إلى برية دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكاً على آرام وامسح ياهو بن نمشي ملكاً على إسرائيل وامسح اليشع بن شافاط من آيل محوله نبياً عوضا عنك))[3] ويعتقد اليهود ان المسيح سيأتي من نسل داود عليه السلام[4] ((ويذهب السامريون* إلى ان المسيح المنتظر سيكون من نسل يوسف بن يعقوب))[5]، ويطلقون عليه ألقاباً وأسماء عديدة منها: ((ابن الإنسان لأنه سيظهر في صورة الإنسان وان كانت طبيعته تجمع بين الإله والإنسان فهو تجسد الإله في التأريخ، وهو نقطة الحلول الإلهي المكثف الكامل في إنسان فرد))[6]، والمسيا ((وهو لقب يطلقه بنو إسرائيل على أي نبي، أو عالم، أو ملك من جنسهم

---

(1) عن كلمة المسيح، ينظر، عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، (م2) (ج1) ص104 ؛ أحمد شلبي، اليهودية، ص214 ؛ أحمد حجازي السقا وعبد الله المنشاوي، هرمجدون حقيقة ام خيال، مكتبة جزيرة الورد، (ط1)، القاهرة، 2002م، ص41 ؛ عصام الدين حنفي، المسيح في مفهوم معاصر، ص22.

(2) سِفْر الخروج 28: 41.

(3) الملوك الأول 19: 16-17.

(4) ينظر سعدون الساموك و رشدي عليان، تاريخ الديانتين، ص57.

* السامريون: إحدى فرق اليهود نسبة إلى مدينة السامرة، كانوا يعدون أنفسهم من أبناء يوسف عليه السلام ويطلقون على أنفسهم (شومريم) أي حفظة الشريعة، لديهم الكثير من المشاحنات مع فرق اليهود الأخرى، وهم لا يعترفون إلا بأسفار موسى الخمسة مع سِفْر يوشع بن نون، ومازالت بقايا جماعة صغيره منهم تعيش في نابلس ويافا، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص 172.

(5) عصام الدين حنفي، المسيح في مفهوم معاصر، ص24.

(6) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (م2)، (ج1)، ص104.

أو من غير جنسهم، دلالة على انه مصطفىً من الله للنبوة، أو للعلم، أو للملك))[1] ويطلقون عليه أيضاً أسماء (المختار) و (المخلص) و (ابن داود) ويصفونه بأنه رسول السماء، وانه يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وانه مخلوق قبل الدهور، وانه وان ظهر بصورة إنسان إلا ان طبيعته تجمع بين الله والإنسان[2]. ثم إنهم وضعوا العديد من الإمارات والعلامات الدالة على وقت ظهوره، منها هجرة سائر الشعوب إلى أورشليم ليصلوا فيها لله[3]، وسيادة العقيدة اليهودية على العالم[4]، وقيام دولة إسرائيل[5]، وغيرها[6]، وبالغوا في وصف طبيعة الحياة عند ظهور مخلصهم فذكروا ان حياتهم ستطول قروناً عديدة أما بقية الناس فيموتون في سن المائة، وان ارض إسرائيل تنبت القمح وتصنع الأقمشة من أجود أنواع الصوف وينبت القمح في لبنان عالياً مثل أشجار النخيل، ويهب هواء بمشيئة الله فيجعل القمح دقيقاً فاخراً وحبوب القمح ستكون أمثال كلى الثيران الضخمة[7]، وان السلام والعدل يعم العالم، وان الناس في ظله لن يعيشوا وحدهم في العالم بسلام وسعادة بل يشاركهم في ذلك كل أنواع الحيوانات فالذئب يسالم الحمل والعجل يداعب الأسد[8] وصوروا حال الناس عند ظهور مخلصهم بأنهم سيكونوا عبيداً لهم، فيكون لكل يهودي ألفان وثمانمائة عبد يخدمونه، وان الناس سوف يستقبلون مسيح اليهود ويقدمون له الهدايا فيقبلها ويغفر لهم ويرفض هدايا المسيحيين ولا يقبلهم في دينه لأنهم من نسل الشيطان[9].

---

[1] أحمد حجازي السقا وعبد الله المنشاوي، هرمجدون حقيقة أم خيال، ص41.

[2] ينظر، أحمد شلبي، اليهودية، ص214 ؛ راشد عبد الله الفرحان، الأديان المعاصرة، ص28.

[3] سفر زكريا الإصحاح 8.

[4] اشعيا: 45.

[5] سفرالعدد: 24، اشعيا: 49، 60، دانيال: 7.

[6] عن علامات ظهور المسيح في الديانة اليهودية، ينظر فؤاد حسنين علي، اليهودية واليهودية المسيحية، ص115-116 وعد فيها عشرين علامة على ظهوره.

[7] ينظر، ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، 1400هـ – 1980م، ص60

[8] أحمد شلبي، اليهودية، ص217.

[9] د. اوغست روهلنج، الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة الدكتور يوسف نصر الله، بيروت، (ط2)، 1388هـ – 1968م، ص20.

ويرى الدكتور أحمد شلبي[1]: ((أن فكرة المسيح برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر، وعند مراجعة الكتاب المقدس يتضح لنا ان هذه الفكرة لم تظهر إلا بعد سقوط دولتهم وأسرهم في بابل ثم خضوعهم للفرس، وهذا الأمر واضح في سِفْر دانيال لذلك يرى كثير من الباحثين أن فكرة المنقذ والمخلص مستعارة من الزِرادشتية التي يدين بها الفرس))، يقول ول ديورانت[2]: ((والراجح أن فكرة الإله المنقذ قد جاءت إلى غربي آسيا من بلاد الفرس أو بابل))، ويرى الدكتور المسيري[3]: ((أن أصل عقيدة الماشيح المخلص فارسية بابلية، فالديانة الفارسية ديانة حلولية ثنوية تدور حول صراع الخير والشر (إله النور وإله الظلام) صراعاً طويلاً ينتهي بانتصار الخير والنور)).

وأثرت الاضطهادات المتكررة على اليهود بالتسريع بظهور هذه الفكرة في كل مراحل وأدوار حياتهم التي اعتادوا فيها على الاضطهاد[4]، لذلك كانت الصورة عن المسيح المنتظر انه محارب عظيم، أو هو الرجل المتطي صهوة جواده الذي سيعيد ملك اليهود ويهزم أعدائهم[5]، ثم تزايدت درجة الحلول حول طبيعة هذا المسيح وازدادت قداسته ليظهر بعدها على انه ابن الإنسان أو ابن الإله[6]، ولما لم تتحقق الآمال المشيحانية ظهرت صورة أخرى مكملة للأولى، وهي صورة الماشيح ابن يوسف الذي سيعاني كثيراً وسيخر صريعاً في المعركة وستحل الظلمة والعذاب في الأرض، وهذه هي الفكرة التي أثرت في فكرة المسيح عند المسيحيين[7]، والتي تبناها بولس ومسيحيو انطاكيا الذين كانت تدور في أذهانهم هذه الروايات لتقبل

---

(1) اليهودية، ص215.

(2) قصة الحضارة، (ج11)، ص180.

(3) موسوعة اليهود واليهودية، (م2)، (ج1)، ص105.

(4) عن تأثير الاضطهاد في ظهور فكرة المسيح، ينظر، محمد عزه دروزه، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة، مصر، 1377هـ- 1958م، ص4 ؛ فاروق الدملوجي، تاريخ الاله والمعتقدات والأديان، الكتاب الرابع، الإلوهية في المعتقدات المسيحية، (ج1)، حياة السيد المسيح، مطبعة الشباب بغداد، (ط2)، 1956م، ص16 ؛ جاك جومير و سامي الياف، المسيح ابن مريم، دار الكلمة، بيروت، 1966م، ص18.

(5) اشعيا 9: 9-17.

(6) دانيال 7: 13.

(7) عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية، (م2)، (ج1)، ص105. (بتصرف).

بعد ذلك على شكل عقيدة، ولتنفصل بها المسيحية عن اليهودية، وتكون ديناً جديداً على حساب تصور خاطئ عن هذا المسيح الذي سيجيء لينقذ اليهود وحدهم من ظلم الأمم.

ولا وجد في التوراة ما يدل على ذكر للمسيح المنتظر إلا في موضعين فقط، تأولهما اليهود ليحاولوا أن يثبتوا ذلك مع الكثير من التكلف والتعسف. ففي سِفْر التكوين ((لا يزال قضيب من يهوذا أو مشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون* وله يكون خضوع شعوب))[1]، متمسكين بلفظة (شيلون) التي معناها (الذي يخصه الأمر) على انه المسيح المنتظر.

أما الموضع الآخر في التوراة والذي توهم اليهود في انهم عثروا فيه على المسيح المخلص، فيقول سِفْر العدد: ((أراه ولكن ليس الآن أبصره ولكن ليس قريباً يبرز كوكب في يعقوب، ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب، ويهلك كل بني الوغى))[2]، فهذه الفقرة تنطوي على غموض لا يقل عن سابقتها .. ومهما يكن من شيء فان هذا الموصوف هنا يبدو جبار حرب منتقماً شديد البطش، بعيداً عما يقترن بفكرة المسيح المنتظر من الوئام والسلام[3]، لذلك فان اليهود كذبوا السيد المسيحعليه السلام وتآمروا على قتله لانهم لم يصدقوا انه هو المسيح المنتظر، بعد أن ظهر وأعلن انه هو المسيح الذي ينتظره اليهود[4].

---

* يرى علماء المسلمين ان الأوصاف التي توجد في هذه الفقرة تنطبق على النبي محمد ﷺ وان معنى العبارة هنا هي (ان الطابع الملكي المتنبيء من يهوذا لن ينقطع إلى ان يجيء الشخص الذي يخصه هذا الطابع فتخضع له الشعوب) وهذا الشخص تجتمع فيه صفات هي كونه صاحب سلطة تشريعية، وتخضع له الشعوب، ومن ثمَّ ليس المقصود من ذلك موسى ولا داود ولا عيسى (عليهم السلام) لمزيد من الاطلاع، ينظر، البرفسور عبد الأحد داود، محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهمي شما، مراجعة وتعليق أحمد محمد الصديق، دار العلوم للطباعة، قطر، (ط3)، 1990م، ص80 ؛ رحمه الله الهندي، إظهار الحق، ص252.

(1) تكوين 49: 10.

(2) عدد 24: 17.

(3) ينظر د. حسن ظاظا، الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، 1971م، ص113-116 (بتصرف).

(4) أحمد شلبي، اليهودية، ص 218 ؛، وينظر، أيضاً نور الدين العربي، رحلة النور، دار الجيل بيروت، لبنان، (ط1)، 2001م، ص186.

ولكن الغالبية منهم رفضوا هذا الادعاء[1] وخصوصاً الكهنة ورؤساء الشعب بعد ان وجدوه وديعاً، ومسالماً في حين إنهم كانوا بانتظار المسيح المنتقم الجبار الذي يبطش بالأمم إرضاءً لعقدهم النفسية[2].

ثانياً: تعاليم السيد المسيح عليه السلام

توضح الأناجيل(*) أن السيد المسيح عليه السلام كان يستخدم الأقوال، وضرب الأمثلة[3]، والمعجزات[4] لإيصال دعوته إلى الناس، وبعد رفعه عليه السلام تمسك تلاميذه من بعده بهذه التعاليم وطبقوها وفق فهمهم لها، نتيجة لملازمتهم لمعلمهم عليه السلام، إلا أن هذه التعاليم انتقلت من تلاميذه إلى أقوام لم يعرفوا دعوته الحقيقية، ونتيجة لتأثرهم بالأجواء المحيطة بهم حرفوا هذه التعاليم إلى تعاليم لاهوتية تأله السيد المسيح عليه السلام، واستخدموا معجزاته لإثبات إلوهيته مع تأويل تعاليمه وأقواله لتناسب عقائدهم وأفكارهم، ومن هذه التعاليم ما يوحي ظاهرها تأليهه عليه السلام، حيث تمسك النصارى بمسألة إلوهية المسيح عليه السلام من خلال بعض النصوص التي وردت في الأناجيل[5]، ومن هذه النصوص ما ورد في إنجيل يوحنا ((أنا والآب واحد))[6]، وكذلك ما ورد على لسان توما في حادثة القيامة حيث قال حين رأى

---

[1] هناك من يوافق اليهود في هذا الرأي حيث يرى الدكتور شارل جنيبر ان ((أكثر النصوص صراحة في نسبة صفة المسيح إلى عيسى هي اقلها صموداً أمام النقد)) ويضرب مثالاً على كلامه فيقول ((إن التصريح المعروف الذي يروى انه أدلى به أمام الكاهن قيافا هو نص لا يعتمد على سند ما ويغلب على الظن انه لا يتجاوب مع واقع التأريخ)) لذلك فانه يختم كلامه بقوله ((والنتيجة الأكيدة لدراسات الباحثين هي: ان عيسى لم يدع قط انه هو المسيح المنتظر)). (ينظر) الدكتور شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص39.

[2] عن العقد النفسية لليهود، ينظر، د. رشاد عبدالله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية.

(*) ستكون مادة معلوماتنا في هذه التعاليم هي الأناجيل فقط لأنها تحتوي على كلام وتعاليم السيد المسيح عليه السلام.

[3] عن أمثال المسيح، ينظر، أمين نخلة، أمثال الأناجيل، دار الكتاب البناني، بيروت، 1967م؛ يواكيم جرجياس، أمثال يسوع، ترجمة الأب يوحنا عيسى و الأب البير أبونا، شركة التايمس للطبع والنشر المساهمة، بغداد، 1989م.

[4] عن معجزات المسيح، ينظر، الأب فرنسيس المخلصي، المعجزات، مطبعة اليرموك، بغداد، 1989م.

[5] وكذلك وردت في بعض الرسائل ينظر رسالة يوحنا الأولى 5: 7، رؤيا يوحنا اللاهوتي 1: 8.

[6] يوحنا 10: 30.

المسيح ((ربي وألهي))[1]، وما أورده إنجيل لوقا من قول الملاك لمريم: ((فذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعا ابن الله))[2]، وقول المسيح لفيلبس تلميذه ((من رآني فقد رأى الأب))[3]، وقوله أيضاً في يوحنا: ((الحق أقول لكم قبل ان يكون إبراهيم انا كائن))[4]، وروى يوحنا أيضاً قول المسيح عليه السلام: ((انتم من أسفل أما أنا فمن فوق))[5]، وفي إنجيل متى قول المسيح لتلاميذه: ((اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس))[6]، وأورد يوحنا نصاً على لسان السيد المسيح ((ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء ابن الله الذي في السماء))[7].

بالمقابل تورد الأناجيل وعلى لسان السيد المسيح عليه السلام الكثير من الفقرات التي تناقض النصوص السابقة وتدل على التوحيد، منها ما جاء على لسان السيد المسيح عليه السلام حين جاءه إبليس ليختبره وطلب منه ان يسجد له ويعطيه جميع ممالك العالم ((حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان لانه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد))[8]، وقوله: ((فكونوا انتم كاملين كما ان أباكم الذي في السماوات هو كامل))[9]، وقال: ((أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض))[10]، وروى مرقس قول المسيح: ((إن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك))[11]، وروى يوحنا قوله عليه السلام ((وهذه هي الحياة الأبدية ان يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته))[12]، وان السيد المسيح كان يعترف بان الله

---

[1] م. ن 20: 28.
[2] لوقا 1: 35.
[3] يوحنا 14: 9.
[4] م. ن 8: 58.
[5] م. ن 8: 23.
[6] متّى 28: 19.
[7] يوحنا 3: 13.
[8] متّى 4: 10.
[9] م. ن 5: 48.
[10] م. ن 11: 25.
[11] مرقس 12: 28-31، لوقا 10: 25-28.
[12] يوحنا 17: 3.

هو ربه فقال ((فأجاب يسوع وقال له، انه قيل لا تجرب الرب إلهك))[1]، وكذلك أورد كتبة الأناجيل إطلاق المسيح عليه السلام على نفسه لقب ابن الإنسان[2]، منها قول متى على لسان السيد المسيح عليه السلام ((للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار وأما ابن الإنسان فليس له ان يسند رأسه))[3]، وفي مرقس ((لان ابن الإنسان أيضاً لم يأت ليُخدم بل ليخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين))[4]، وقال لوقا: ((لأنه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون ابن الإنسان أيضاً لهذا الجيل))[5]، وفي يوحنا ((وقال له الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان))[6]، فهذا المصطلح يدل دلالة واضحة على بشرية السيد المسيح عليه السلام حيث إنه يدل على معنى الإنسان، يقول الدكتور العقاد[7]: ((أما ابن الإنسان فقد وردت في كتب العهد القديم باللغة الآرامية وباللغة العبرية وهي بالآرامية (بارناشا) من بار بمعنى (ابن) وناش بمعنى إنسان وهي بالعبرية (ابن آدم) وتطلق في كلتا اللغتين على الإنسان الخالص أو على الإنسان من حيث هو نوع يقابل أنواع الأحياء، وقد وردت تسعين مرة في سفر حزقيال حين يخاطب ((يهوه)) ذلك الرسول فيناديه بابن الإنسان.. أما في كتب العهد الجديد فقد وردت في مواضع ابن الإنسان)).

فنحن هنا أمام نصوص متعارضة الدلالة تثبت إحداها بشرية السيد المسيح عليه السلام ونبوته، وأخرى يفهم من ظاهرها ما يدل على ألوهيته عليه السلام، لذلك لابد من ذكر أصلين متفق عليهما بين أهل العلم.

أحدهما: أن النصوص إذا وردت فان وافقت المعقول تركت ظواهرها، وان خالفت صريح المعقول وجب تأويلها واعتقاد أن ظاهرها ليس مراداً فيجب إذ ذاك ردها إلى المجاز.

---

[1] لوقا 4: 12.

[2] ورد هذا المصطلح (80) مرة على لسان السيد المسيح عليه السلام في الأناجيل.

[3] متّى 8: 20.

[4] مرقس 10: 45.

[5] لوقا 11: 30 وفيها دلالة واضحة على نبوة السيد المسيح عليه السلام فهو شبه نفسه بيونان (يونس عليه السلام).

[6] يوحنا 1: 51.

[7] عبقرية المسيح، ص208.

والثاني: ان الدلائل إذا تعارضت فدل بعضها على إثبات حكم وبعضها على نفيه فلا نتركها متعارضة إلا وقد أحسسنا من أنفسنا العجز باستحالة إمكان الجمع وامتناع جعلها متضافرة على معنى واحد [1].

فعلى ذلك فان النصوص التي يدل ظاهرها على إلوهية المسيحعليه السلام، فإنها تؤول وترد إلى المجاز[2]، ولا يعمل بظاهرها فمثلاً قول السيد المسيحعليه السلام: ((أنا والآب واحد))، فالمقصود في هذا النص ليس وحدة الذات وإنما وحدة القصد والهدف لذلك قال الرب عن آدم وامرأته ((ليكونا جسداً واحداً))[3]، فهل صار آدم وامرأته ذاتاً واحدة وجسداً واحداً ؟.

الجواب لا وإنما الوحدة هنا وحدة القصد والهدف، وهي تكوين نسل بشري، وفي رسالة بولس إلى أهل افسس: ((من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الأثنان جسداً واحداً))[4]، وفي إنجيل متى قول المسيح: ((من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ليكون الاثنان جسداً واحداً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد))[5] فهل يكون الرجل مع امرأته عند الزواج ذاتاً واحدة وجسداً واحداً ؟ الجواب لا، وانما هذا كناية عن ما قدمناه، ومثله في إنجيل يوحنا حيث يخاطب المسيحعليه السلام الله تعالى بقوله ((أيها الآب كما أنا فيك وأنت في فليكونوا هم واحداً فينا فهل معنى ذلك أن المسيح عليه السلام والآب والتلاميذ صاروا ذاتاً واحدة وجسداً واحداً)) !؟ فالله تعالى كلف المسيح بالرسالة، والمسيح نادى بها وبلغها إلى قومه والتلاميذ قاموا بتحمل أعبائها من بعده[6].

---

[1] ينظر، الإمام الغزالي، الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، ص100.

[2] ينظر، د. محمد عبد الحليم مصطفى، دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تاريخياً وموضوعياً، مطبعة الجبلاوي، شبرا، مصر، (ط1)، 1404هـ –1984م، ص434– 435 ؛ نصر بن يحيى بن عيسى بن سعد المتطبب، النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1406هـ - 1986م، ص79–83.

[3] سفر التكوين 2: 25

[4] رسالة بولس إلى أهل افسس 5: 31.

[5] متى 19: 5.

[6] ينظر، أبو حامد الغزالي، الرد الجميل، ص102– 103؛ أبو مريم عيسى الأثري، الجواب الصحيح لمن قال بألوهية المسيح، مجلة الحكمة، العدد 18، ب.ت. 3، ص184–189.

والنصوص التي تتناقض فيما بينها فانه يرجح النص الذي يحتوي على دلائل وقرائن أقوى، فمثلاً النص الذي يستشهد به علماء النصارى والذي في إنجيل متى يقول ((اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس))[1]، فهذا النص يخالف نصوصاً عدة وردت في السياق نفسه، حيث أورد متى قول المسيح ((إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا بل أذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة))[2]، وقوله للمرأة الكنعانية: ((لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة))[3]، وقول بطرس: ((نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات وأوصانا ان نكرز للشعب))[4]، فكما أضيفت مسألة تبشير الأمم على حساب بني إسرائي كذلك أضيف وادخل إلى النص الثالوث المتمثل في (الاب والابن والروح القدس).

ومن الباحثين من يرى ان هذه النصوص انتقلت إلى الأناجيل عن طريق الترجمات الخطأ حيث يقول البرفسور عبد الأحد داود[5]: ((والأسباب التي ساقت العيسوية إلى فيافي الضلالة وأوقعتهم في قعر هذه الظلمات هو سوء تأويل لتعبيرين أو ثلاثة لكلمتين أو ثلاث كلمات سامية نقلت إلى اللغة اليونانية)).

ويقول ناصر المنشاوي[6]: ((كان عذر الحواريين الذين كتبوا هذه الأناجيل أو كتبت عنهم باليونانية هو ظنهم أن (الآب) تصح بمعنى الرب في كل اللغات لا في الآرامية والعبرية وحدهما، ووحدهما فقط، فكتبوها باليونانية (pater) نظير (father) الإنجليزية بمعنى الوالد الذي ولد، وعن هذه الأناجيل نقلت كل الترجمات)).

وكذلك لقب ابن الله ((حيث ان هذا اللقب كان يطلق في العهد القديم على الملك بصفته ذاك الذي يحكم الشعب باسم الله وبحسب أرادته وكان داود الملك أول من أطلق عليه هذا اللقب في حفلة التتويج حين تلا عليه الكاهن صلاة كشفت

---

[1] متّى 28: 19 ((وهو من النصوص المهمة التي يستشهد بها النصارى على إثبات التثليث)).

[2] متّى 10: 6.

[3] م. ن 15: 24.

[4] أعمال الرسل 10: 41 ((فقصد بطرس هنا ان نكرز لليهود فقط دون غيرهم)).

[5] الإنجيل والصليب، ص115.

[6] الجوانب الخفية من حياة المسيح، ص106.

عن ان الله اتخذه ابناً))[1]، فهذا ما كان يفهمه اليهود من هذا المصطلح كما ورد في العهد القديم، وقريب منه هذا الفهم في الأناجيل أيضاً حيث يورد إنجيل لوقا قائمة بنسب السيد المسيح عليه السلام وعندما وصل إلى آدم قال ((بن آدم ابن الله))[2]، فهل ان آدم حقاً ابن الله ؟ ويورد لوقا ((فكانت الشياطين تخرج من كثيرين وهي تخرج وتقول أنت المسيح ابن الله فأنتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه انه المسيح))[3] فانتهار المسيح للشياطين حتى لا يتكلموا ويكشفوا انه المسيح المنتظر وهذا يدل على انه نبي لان اليهود كانوا ينتظرون المسيح ويعرفون انه نبي وليس ابن الله الحقيقي.

ولم يكن تلاميذ السيد المسيح عليه السلام يعتقدون انه ابن الله حقيقة بل ان هذا المصطلح كان يمر عليهم ولا يدور في خلدهم إلا معناه المجازي، إلا ان هذا المعنى اتُخذ كعقيدة إلهية بعد التلاميذ بسنوات لذلك يقول بيوس عفاص[4]: ((ولاشك ان الكثير من هذه الاعترافات الإيمانية بيسوع المسيح ابن الله الحي لم تكتسب قوة وعمقاً إيمانياً إلا في أعقاب القيامة بسنوات)).

ومن تعاليمه عليه السلام التي اقتبس منها النصارى وأكدوا عليها، تبشيره بقدوم الملكوت[5]، (ملكوت السماوات).

وهذه الكلمة اليونانية (بازيليا) تتردد كثيراً لدى متّى[6]، وقد ترجمت بكلمة ملكوت بمعنى مكان (الدخول في الملكوت) أو بكلمة مُلك للتعبير عن ملوكية الله، أما (السماوات)، فهي ((عبارة يهودية مألوفة لتجنب لفظ اسم الله)) [7]. ولكثرة استعمال السيد المسيح عليه السلام لها في الأناجيل وضربه الأمثال الكثيرة لفهم

---

[1] بيوس عفاص، قراءة مجددة للعهد الجديد، منشورات مركز الدراسات الكتابية، الموصل، 1998، ص186.

[2] لوقا 3: 38.

[3] م. ن 4: 41.

[4] قراءة مجددة للعهد الجديد، ص129.

[5] ينظر متّى 9: 35، مرقس 1: 4.

[6] وردت هذه الكلمة (49) مرة في إنجيل متّى.

[7] جان برير، فيليب كريزون، فرناند برودوم، ماري نوئيل تايو، قراءة في العهد الجديد، (ج1) الأناجيل الأربعة، تعريب الأب بيوس عفاص، منشورات مركز الدراسات الكتابية، موصل، العراق 1994م، ص99.

معناها[1]، فان من علماء النصارى من ذهب إلى: ((إن محور رسالة يسوع هو بشارته بمجيء ملكوت الله))[2]، إلا انه لم يكن أول من بشر بمجيء (الملكوت) بل ان يوحنا (يحيى عليه السلام) كان قد بشر به قبل مبعث المسيح[3]، مما يدل على ان هذه البشارة لم تكن قاصرة على السيد المسيح عليه السلام وبالتالي هي ليست للمسيحيين فقط.

وكانت تعاليم المسيح عليه السلام تتسم بالغموض حول معنى الملكوت، حيث انه كان يصفه بأنه حاضر الآن وانه لا يأتي بالمراقبة لانه في داخل الناس[4]، بينما في موضع آخر يرى ان هذا الملكوت سيأتي في المستقبل[5].

ولم تذكر الأناجيل بوضوح في أي مكان منها ما هو ملكوت الله، وأفضل ما ذكرته هو قول المسيح ((انه قريب))، لذلك يرى فالتركاسبر[6]: ((ان طريقة المسيح في الكلام على ملكوت الله ذات انفتاح متميز وان هذا الانفتاح قد أفسح المجال تاريخياً للتفسيرات الأكثر تنوعاً، ففي الأدب الكاثوليكي القديم كانت الكنيسة تحسب مراراً كثيرة كأنها التحقيق التأريخي لملكوت الله))، ويرى فاروق الدملوجي[7]: انه ((قد حصل اختلاف كبير في تفسير كلمة ملكوت الله وأجمع الآباء على انها الكنيسة))، ولكن تعبيرات المسيح حول الملكوت لا تدل على هذه التسمية، فهناك من يرى انها دعوة أخلاقية حيث يقول فالتركاسبر[8]: ((فرسالة يسوع عن ملكوت الله يجب ان تفهم في منظور دعوة الجنس البشري إلى السلام، والحرية، والعدالة، والحياة))، ويرى البعض انها دعوة روحية، يقول فاروق الدملوجي[9]: ((إنها تأتي بمعنى التجليات الربانية والرحمة الإلهية))، وعند

---

[1] ينظر على سبيل المثال متّى 13: 24، 13: 21، 13: 44، 13: 45، مرقس 4: 26.

[2] فالتر كاسبر، المسيحية في عقائدها، ص 128؛ وينظر، جان لوريمر، تاريخ الكنيسة، ص42.

[3] متّى 3: 2، 4: 17.

[4] لوقا 7: 21.

[5] متّى 6: 9-12.

[6] يسوع المسيح، نقله إلى العربية المطران يوحنا منصور، منشورات المكتبة البولسية، (ط1)، بيروت، 2000م، ص128.

[7] حياة السيد المسيح، ص95.

[8] يسوع المسيح، ص129.

[9] حياة السيد المسيح، ص95

مطالعة كلام السيد المسيح حول الملكوت – حسب الأناجيل – فلا يمكن فهم هذا الملكوت بالاقتصار على الجانب الأخلاقي أو الجانب الروحي فقط، فان جل تعاليمه‍ﷺ حول الملكوت تأخذ الجانب الأخلاقي، والاجتماعي، والروحي وبهذه الجوانب مجتمعه يرثون ملكوت السماوات لذلك يقول: ((طوبى للمساكين بالروح لان لهم ملكوت السموات. . طوبى للمطرودين من أجل البر لان لهم ملكوت السموات))[1]. فملكوت السماوات يشمل المساكين، والحزانى، والودعاء، والجياع، والعطاشى، والرحماء، والأنقياء، وصانعي السلام.

ثم انه ﷺ علمهم كيف يصلون ليرثوا هذا الملكوت ((فصلوا انتم هكذا أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض كفافنا اعطنا اليوم وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين الينا ولا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير لان لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد أمين))[2]، وبين لهم وللأجيال القادمة انه ((ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي في السموات، كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب اليس باسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة، فحينئذ أقول لهم اني لم أعرفكم قط أذهبوا عني يا فاعلي الإثم))[3]، وان الذي يطبق وصايا الناموس فانه عظيم في الملكوت[4]، وان برَّهم يجب ان يزيد على برِّ الكتبة والفريسين حتى يدخلوا فيه[5]، بل ان الأنبياء القدماء لهم مكان أيضاً في هذا الملكوت[6]، وان الأعظم في الملكوت هم الأطفال[7] وان من العسر دخول الأغنياء إليه[8]، وبين لهم كيف انهم يرثون هذا الملكوت بأعمال البر، والخير، وإطعام الجياع، وكسوة العرايا، وزيارة المرضى، وبهذا يغفر لهم أباهم خطاياهم[9].

---

[1] متّى 5: 3-11.

[2] م. ن 6: 9-12.

[3] م. ن 7: 21-23.

[4] م. ن 5: 19.

[5] م. ن 5: 20.

[6] م. ن 8: 11.

[7] م. ن 8: 1، 18: 3، 19: 4 مرقس 10: 14.

[8] متّى 19: 23، مرقس 10: 23-24، لوقا 18: 24.

[9] متّى 25: 34-46.

ثالثاً: الفلسفة

تعد الفلسفة واحدة من أهم مصادر الفكر اللاهوتي، والتي كانت أفكارها ومدارسها المتعددة منتشرة قبل مبعث السيد المسيح وما بعده، ويعترف علماء المسيحية بتأثير هذه الأفكار على نمط التفكير المسيحي[1]، حيث كان لهذه العقائد، والأفكار الصوفية الخفية أثرها في آراء الرسولين بولس ويوحنا وكثير ممن حذا حذوهما من المسيحيين[2]، وفي تشكيل الكثير من العقائد المسيحية المخالفة لدعوة المسيح الحقيقية.

إن تأثر المسيحية الحقيقي بالفلسفة، الذي انتج التثليث في المسيحية فيما بعد هو نتيجة لتأثرها بفكرة الخلاص، التي كانت منتشرة في تلك المدة، فقد كان العالم اليوناني الروماني، إبان ذلك العصر قد أخذ القلق في نفوس كل الذين يقطنون فيه إذ فقدت الممالك الرومانية استقلالها، ولم يعد ثمة شعور بالحرية، والاستقلال الذاتي، وأصبح الناس يائسين من كل شيء ويأملون في الخلاص بأي ثمن، أو بعبارة أدق بأرخص الأثمان، ولهذا كان لابد أن تلعب المذاهب القائلة بالخلاص الدور الأكبر في تشكيل هذا الاتجاه الجديد[3].

وبالتأكيد فإن الفكر اليهودي حول المخلِّص هو من أبرز هذه المذاهب والذي أثر بشكل كبير في تفكير الرسول بولس الذي أسس المسيحية التثليثية.

وان هذا المخلص يجب أن يكون من عنصر إلهي لكي يستطيع أن يخلص الناس.

وبرزت مشكلة أخرى حاولت الفلسفة أن تحلها وهي العلاقة بين الروحي والمادي فلكي يخلق الله العالم ويشكل المادة يجب أن يجد العلاقات بينه وبين الإنسان فأستخدم لذلك جمعاً من الكائنات الوسطى يسميها اليهود ملائكة، ويسميها اليونانيون شياطين ويسميها أفلاطون أفكاراً، ويقول فيلون السكندري: إن في وسعنا أن نتصور هذه الكائنات في صورة أشخاص وان كانت في واقع الأمر لا وجود لها إلا في العقل الإلهي بوصفها أفكار الله وقواه، وهي مجتمعة تكون ما يسميه الرواقيون الكلمة أو العقل الإلهي خالق العالم وهاديه[4].

---

[1] الأب منصور المخلصي، اللاهوت المعاصر، ص18.

[2] عن ذلك ينظر، ول ديورانت، قصة الحضارة، ج12، ص23.

[3] د. عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، (ط4)، 1970م، ص16.

[4] ينظر، ول ديورانت، قصة الحضارة، ج12، ص104.

إن كثيراً من الأفكار المنتشرة في البيئة الهندية، والفارسية قد وجدت لها أرضاً رحبة في العالم الهيليني في تلك الحقبة، فأفكار الوسطاء أو العقول المتوسطة، أو الملائكة، ثم فكرة الصدور خصوصاً، والتي تلعب أخطر دور في الفلسفة المسيحية هي فكرة شرقية مأخوذة عن المذاهب الهندية والفارسية وان كانت أوضح في المذاهب الهندية[1].

وان هذه الفكرة (الصدور) كانت معروفة في عصر الرسل حيث أن سيمون الساحر كان يقول بوجود أله ذكر أعلى وبفكر آخر منبثق (صادر) عن هذا الإله الأعلى (أنثى) موازية له وسماها انويه[2].

و من أهم الفلسفات الكثيرة التي كانت منتشرة في تلك الحقبة، والتي أثرت في العقائد والأفكار المسيحية هي:

1- الفلسفة الهلنستية (الهيلينية): مصطلح يستخدم للإشارة إلى التقاليد الحضارية التي أمست فيها الثقافة اليونانية ملكاً مشتركاً بين جميع بلدان البحر المتوسط، فمنذ وفاة الإسكندر وحتى الفتح الروماني انتشرت هذه الثقافة رويداً رويداً بدءً من مصر وسورية وصولاً إلى روما وأسبانيا، وفرضت نفسها في الأوساط اليهودية المستتيره فضلاً عن أوساط الأعيان الرومان[3].

وكانت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة آنذاك، لذلك كان المسيحيون مثل اليهود المتأثرين بالثقافة الهيلنية يقرأون العهد القديم في ترجمته اليونانية (الترجمة السبعينية) كما أن قوانين عقيدتها الأولى قد صيغت في عبارات مستقاة من الفلسفة اليونانية[4]، وان اللغة السائدة في المجامع اليهودية كانت هي اليونانية وهذا الأمر نفسه في مجامع عديدة داخل أورشليم نفسها . فمنذ بدء المسيحية ترتب عليها أن يكون بجانب الإنجيل ذكر لرسالة المسيح ﷺ بلغة أخرى أي اللغة اليونانية[5].

---

[1] عن أصول فكرة الصدور، ينظر، عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، ص115.

[2] أسد رستم، انطاكيا، ص29.

[3] ينظر، أميل برهيه، تاريخ الفلسفة، الفلسفة الهلنستية والرومانية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، (ط1)، بيروت، لبنان، 1982م، ص34 ؛ عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية الصهيونية، (م1)، (ج2)، ص420.

[4] د. لاسي اوليري، علوم اليونان وسبيل انتقالها إلى العرب، ترجمة الدكتور وهيب كامل راجعه زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1962م، ص52.

[5] ينظر، آني جوبير، المسيحيون الأولون، ص10؛ بيوس عفاص، قراءة مجددة للعهد الجديد ص102.

إن المسيحية منذ بدايتها كانت قد اختمرت وتطورت في البيئة الإغريقية – الرومانية حول حوض البحر المتوسط، فسرعان ما اضطر العالم المسيحي أثناء نشأته إلى ان يقيم للتراث الإغريقي الروماني حساباً[1]، ((وحدث فيما بعد عندما دبت الخلافات ونشأت الخصومات داخل الكنيسة أن صيغت هذه الخصومات هي الأخرى في مصطلحات فلسفية يونانية ودارت معارك وفقاً للأصول الفلسفية))[2] وكذلك فقد حاول بعض الأباطرة أن يفرضوا الثقافة الهيلينية وان يدخلوا عبادة الآلهة المتعددة إلى أورشليم نفسها ففي عهد الملك انطيوخوس ابيفاينس (175-164ق.م) بلغت أوجها إلا أن اليهود رفضوا تغيير معتقداتهم وتبني عبادة الآلهة اليونانية فقامت على أثر ذلك ثورة كبيرة بزعامة المقابين[3].

إن تغلغل الفكر الهيليني داخل المجتمع المسيحي ومن قبله اليهودي يبرز من خلال تعدد الآلهة الذي كان موجوداً بكثرة في فلسطين.

حيث رفض القديس جوستين الشهيد* تلك الآلهة وردّها معتبراً إياها مجرد اختلاق وتلفيق مضلل الهدف منه تحويل قصة المسيح إلى مجرد حكايات معجزات وأعاجيب مثل تلك القصص التي كان يتحدث عنها الشعراء في قصائدهم الخيالية[4]، هذا وقد تركزت أساطير هبوط الآلهة وتأليه بعض البشر في اليونان القديم حول شخصيتين من الفلاسفة اليونانيين السابقين لسقراط هما فيثاغورس ((Phythagras)) و (امفيدوكليس) ((Emphedocles)) أما الفيلسوف فيثاغورس

---

[1] ينظر، لويس غارديه وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ترجمة الدكتور صبحي الصالح والأب فريد جبر، (ج1)، دار العلم للملايين، (ط2)، بيروت، 1978م، ص218–219

[2] د. لاسي اوليري، علوم اليونان، ص52.

[3] م. ن، ص49.

* جوستين الشهيد: واحد من أشهر المتكلمين المسيحيين القدماء، اعتنق النصرانية في افسس، وصار من أشد المدافعين عنها، كان ضليعاً بالفلسفة اليونانية اعتنق منها على الترتيب الرواقية ثم الارسطية ثم الفيثاغورية وأخيراً الأفلاطونية قتل عام 165م على يد أحد أباطرة الرومان. ينظر: دانيال باسك، أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها في المسيحية، ترجمة إلى العربية وقدم له وعلق عليه، سعد رستم، بدون دار طبع، حلب، سوريه، 1413هـ–1993م، ص34.

[4] د. لاسي اوليري، علوم اليونان، ص 34.

فقد أعتُبِر تجسداً لابن الإله هرمس فقد أدعا تلاميذ فيثاغورس أن أستاذهم كان الإله (ابولو). .. وأما الفيلسوف امفيدوكليس فهو معروف بقوله الشهير: ((أيها الناس أتجول الآن بينكم كإله خالد ولست بعد الآن إنساناً بشراً)) هذا وقد استجاب له الناس وصاروا يعبدونه كإله.. وكذلك حكاية ان أفلاطون كان من الآلهة حكاية ترجع إلى مدة زمنية سابقة بوقت طويل لزمن تأليف العهد الجديد[1].

2- الرواقية والأبيقورية:

الرواقية: لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية الكبيرة التي أنشأها الفيلسوف (زينون)[2] بمدينة أثينا أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، ويطلق على أنصار تلك المدرسة اسم الرواقيين أو أصحاب الرواق أو أهل المظال نسبة إلى الرواق المنقوش، وبذلك الرواق كانت تلقى المحاضرات الفلسفية في ذلك العهد[3].

إن غاية الفلسفة الرواقية هي بلوغ السعادة ولا يتم ذلك إلا عن طريق الفلسفة التي كانت بنظرهم علم الأمور الإلهية والأمور البشرية[4].

ويرى الدكتور عبدالرحمن بدوي[5]: ((ان الفلسفة الرواقية قد تأثرت بالنزعات الشرقية في التفكير، وخصوصاً ان رؤساء هذا المذهب قد انحدروا من بلدان تقع في آسيا الصغرى أو في الجزر الشرقية من الأرخبيل، أو في بلاد موجودة على الحدود مباشرة بين بلاد الفرس، وبلاد اليونان)).

كان الرواقيون يرون ان الله مادي، وان الأشياء المتحققة في الوجود الخارجي من حيث هي أجسام هي أيضاً مادية، ونظروا إلى الصفات والكيفيات أياً كانت وقالوا إنها أشياء مادية: فالألوان، والأصوات، والطعوم. .. الخ، كلها أجسام مادية، وقالوا بالتداخل المطلق بين الأجسام بعضها وبعض ويسمونه (كرازس)، ويقولون ان كل جسم

---

[1] ينظر دانيال باسك، أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها في المسيحية، ص34.

[2] يرى حنا الفاخوري والدكتور خليل الجر ((ان الرواقية ليست من وضع مفكر واحد، بل هي ذهب تكوّن مع الزمن. وضع أسسه زينون وبلغ ذروته في روما على يد شيشرون وسينك وغيرها)) ينظر، تاريخ الفلسفة العربية، ص66.

[3] ينظر، عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (3)، 1971م، ص23

[4] م. ن، ص83-84.

[5] خريف الفكر اليوناني، ص10.

يدخل في الآخر بدون معارضة، وبدون ان ينقسم بل يضل وينوع من المرونة التامة كما هو في داخل الجسم الآخر.. وهكذا نستطيع ان نفسر عن طريق هذا التداخل المستمر بين الأشياء بعضها في بعض وجود الصفات أو تعلق الصفات بالأجسام[1].

ويبدو ان هذه التعاليم هي التي فتحت الباب للمسيحيين لقبول فكرة ان الله يمكن ان يرى وذلك لأنه مادي فيستطيع ان ينزل إلى الأرض، ويتجسد وان صفاته تتداخل مع بعضها لتكوّن الثالوث المسيحي.

وإن تأثر المفكرين المسيحيين بالرواقية جعلهم يتبنّون هذه الأفكار لتكون منطلقاً لهم للدفاع عن المسيحية، حيث يورد أميل برهيه[2] ((ان المدرسة التي أسسها (بانتانس) الرواقي المهتدي إلى المسيحية في الإسكندرية والتي توالى على رئاستها أكبر مفكري المسيحية (كليمنضوس الإسكندري و أوريجانوس) هي أول محاولة جادة لتنظيم تعليم مسيحي يكون مؤهلاً باتساعه وشموله لمنافسة تعليم المدارس الوثنية، وأن كليمنضوس قد صبَّ المسيحية برمتها في قالب التعليم الفلسفي اليوناني ولاسيما التعليم الرواقي الذي كان حتى القرن الثاني التعليم الوحيد المنظم تنظيماً تاماً)).

لذلك يقول عثمان أمين[3]: ((ان بعض الباحثين المسيحيين يرون ان المذاهب الرواقية كانت تمهيداً للإنجيل. . لأن أكثر المستنيرين المسيحيين كانوا قد نشأوا على المبادئ الرواقية. . فما وافى القرن الثالث الميلادي حتى كانت المذاهب المسيحية على اختلاف صورها تعتنق الرواقية وتلتهما التهاماً)).

والفلسفة الثانية الأخلاقية والتي كانت منتشرة عند مبعث السيد المسيح ((الفلسفة الابيقورية)): فقد ولد أبيقورس واضع فلسفة هذه المدرسة في أثينا سنة 341ق.م وعاش حداثته في مدينة أخرى هي ساموس، ولم يعد إلى أثينا إلا سنة 323 ق.م وأسس فيها سنة 306 مدرسة للفلسفة جذبت إليها العديد من طلاب الفلسفة، وتوفي سنة 270 ق.م نتيجة مرض عضال عذَّبه وشلَّه[4].

---

[1] خريف الفكر اليوناني، ص28.

[2] تاريخ الفلسفة، الفلسفة الهيلينية، ص312-313.

[3] الفلسفة الرواقية، ص273-274.

[4] عن حياة أبيقورس، ينظر، بيار بويانسي، سلسلة أعلام الفكر العالمي، ابيقورس، تعريب د. بشار صارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (ط1)، بيروت، 1400هـ-1980م، ص10؛

ولم يأت ابيقورس بشيء جديد في عالم الفلسفة، وأهم ما لديه مذهبه في الأخلاق[1] لذلك تقترب الابيقورية من الرواقية في ان كليهما يضع الأخلاق في المرتبة الأولى، ويهتمان قبل كل شيء بالفرد وسعادته[2].

يعتقد أبيقورس ان كل ما تبحث فيه الفلسفة من موضوعات وكل ما تتصدى له من دراسات عديم الجدوى في محيط الإنسانية إلا جانباً واحداً من جوانبها هو وحده الذي يستحق منا العناية بالبحث والدراسة لما له من صلة بمقوماتنا الذاتية.. وذلك هو الجانب الأخلاقي في الفلسفة الإنسانية[3].

ويرى الدكتور محمد البيطار[4]: ((على الرغم من ان المدرسة الرواقية كانت معاصرة للمدرسة الابيقورية إلا إنهما لم يكونا على وفاق تام في مذهبهم الأخلاقي وإنما كان بينهما تفاوت كبير في هذا الجانب في فلسفتهما)).

3-الفيلسوف فيلون السكندري

يهودي النحلة من الإسكندرية، اختلفت الآراء حول ولادته، و وفاته، فيرى الدكتور ناجي التكريتي[5] انه ولد سنة (25 ق.م. وتوفي سنة 54م). بينما يرى الدكتور وليم سليمان[6] انه ولد سنة (30 ق.م، وتوفي سنة 50م) و يرى أميل برهيه[7] انه ولد سنة 40 ق.م وتوفي سنة 40 ب.م).

كان الفيلسوف فيلون يعيش في جو يهودي هيليني لذلك كان يقرأ العهد القديم في ترجمته اليونانية وليس من النص العبري[8]، واستطاع أن يجمع بين

دكتور محمد حمدي إبراهيم، الأدب السكندري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1985م، ص22 ؛ عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، ص51.

[1] ينظر، حنا الفاخوري، الدكتور خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، ص49.

[2] ينظر، بيار بويانسي، ابيقورس، ص15.

[3] د. محمد البيطار، الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973م، ص146.

[4] م. ن، ص144.

[5] الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الإسلام، دار الشؤون الثقافية، (ط3)، بغداد، 1988م، ص185.

[6] تعاليم الرسل، الدسقولية، دار الثقافة، مطبعة الجيل، (ط2)، القاهرة، ب. ت، ص 103.

[7] الفلسفة الهيلينية، ص228.

[8] د. لاسي اوليري، علوم اليونان، ص48.

الثقافة اليونانية التي حصّل معظم أجزائها واستطاع ان يحيط بها أحاطه كبيرة ، وبين التفكير اليهودي الذي كان يؤمن به إلى جانب هذا إيماناً كبيراً[1].

كان فيلون اذاً يهودياً يؤمن بالديانة اليهودية كما جاءت بها نصوص التوراة، وكان يؤمن بالوقت نفسه بالفلسفة اليونانية التي يتصورها على أنها وحي مشوب بالعمق والغموض بينما التوراة وحي مشوب بالوضوح والجلاء[2]. لذلك يقول عبد الرحمن بدوي[3]: ((يمتاز فيلون عمن سبقه من المفكرين اليهود بأننا نجد لديه لأول مرة الحقيقة الدينية قد وضعت في صيغه فلسفية)).

ويرى الدكتور ناجي التكريتي[4]: ((إن فيلون أقام فلسفته على المزج بين الدين والفلسفة وهو لا يفصل بين الدين والفلسفة)).

والفكرة الأساسية التي تقوم عليها فلسفة فيلون هي حول إله مفارق للعالم لا يتصل به إلا عبر وسطاء، والوسيط عند فيلون لا يتميز بطبيعته بقدر ما يتميز بوظيفته، لذلك فان الله لا يتصل بالإنسان مباشرة لأن الهوة بين الأدنى والأعلى شاسعة لا يمكن عبورها وان اللوغوس أو الكلمة ابن الله هو الوسيط بين الله والخليقة[5].

ان لفظة (اللوغوس) في الفلسفة تعني الكلمة الباطنة الكامنة في العقل أو العقل نفسه، أو الكلمة الملفوظة، أو المنطوقة التي تصدر من العقل[6]، وان هذه اللفظة كانت منتشرة جداً في الفلسفات القديمة، وحتى في الأوساط الشعبية.

لذلك فان هذا المصطلح يتردد في الفلسفة اليونانية منذ بدايتها وفي مختلف أدوارها اللاحقة[7]، إلا ان تاريخ هذه الفكرة، تاريخ شاق فقد تطورت كثيراً عند الرومان، وعند اليهود، وعند فيلون، وعند المسيحية بوجه خاص[8].

---

[1] عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، ص89.

[2] ينظر، محمد البيطار، الفلسفة اليونانية، ص152.

[3] خريف الفكر اليوناني، ص89.

[4] الفلسفة الأخلاقية الافلاطونية، ص185.

[5] ينظر، اميل برهيه، الفلسفة الهلنستية، ص228 ؛ د. وليم سليمان، تعاليم الرسل، ص54.

[6] د. وليم سليمان، تعاليم الرسل، ص85.

[7] آني جويير، المسيحيون الأولون، ص98 ؛ د. وليم سليمان، تعاليم الرسل، ص87.

[8] عبدالرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني.

ان فلسفة فيلون لم تترك لها أثراً في التطور اللاحق لليهودية بينما تأثر بها اللاهوت المسيحي، فقد حاول ان يوفق بين اليهودية والفلسفة الهيلينية. فأما من وجهة النظر اليهودية فقد اخفق في مسعاه وأما من وجهة النظر التأريخية فقد أفلح وكانت ثمرة فلاحه هي الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا[1]، حيث يورد كاتب الإنجيل العديد من العبارات الفلسفية في إنجيله أهمها مقدمة الإنجيل حول مفهوم الكلمة، التي انفرد بذكرها من بين كتبة الأناجيل، حيث يقول: ((في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الله الكلمة هذا كان في البدء عند الله، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان))[2]، وقال ايضاً: ((والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءً نعمة))[3].

---

[1] عن فلسفة فيلون السكندري، ينظر، د. خليل الجر، حنا الفاخوري، الفلسفة العربية، ص70 ؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11-12، ص104؛ د. محمد البيطار، الفلسفة اليونانية، ص152.

[2] إنجيل يوحنا 1: 1 - 3

[3] م.ن 1: 14


http://kotob.has.it

الفصل الثالث

العوامل التي ساعدت على صياغة الفكر اللاهوتي


http://kotob.has.it

المبحث الأول

دور بولس الرسول

1-: فكرة عن شخصية بولس الرسول

أ- نشاته:

ولد بولس الرسول في طرسوس*، ولا يعرف على التحديد تاريخٌ محققٌ لولادته ووفاته[1]، فيذهب ول ديورانت[2] إلى انه ولد في السنة العاشرة من التأريخ الميلادي، بينما يرى الأب يوسف عتيشا[3] انه ولد بين سنة 5-15م.

((واكبر الظن أن أسم بولس كان هو اللفظ اليوناني المرادف للاسم العبري شاؤل ولهذا ظل الاسمان يطلقان عليه منذ طفولته))[4].

كان أبوه من الفريسيين ونشأ ابنه على مبادئ هذه الفرقة الدينية المتحمسة، وحصلت عائلته على الجنسية الرومانية لامتياز خاص بالمدن التي أراد الرومان أن يهاجر الناس إليها للتخفيف عن الهجرة إلى روما[5].

تعلم صناعة الخيام وهو شاب[6] فساعده هذا على كسب معيشته وقوته مع إمكانية اتصاله بالناس عن طريق هذه الحرفة.

---

* طرسوس: مدينة في سهل كليكيا تبعد عن ساحل تركيا الحديثة (16كم) إلى الداخل وهي في جنوب تركيا، كانت في القرن الأول للميلاد مدينة عظيمة الشأن يسكنها نصف مليون نسمة، وكانت ملتقى للشرق وللغرب (لليونانيين وللمشارقة) وكان بولس يفتخر بولادته فيها. ينظر موسوعة الكتاب المقدس، ص208.

[1] د. الشيخ أحمد حجازي السقا، اقانيم النصارى، دار الأنصار، مطبعة المجد، (ط1)، القاهرة، 1397هـ- 1977، ص138.

[2] قصة الحضارة، (ج11)، ص249.

[3] بولس الرسول المربي للجماعات المسيحية الأولى، مجلة الفكر المسيحي، العدد 385-386، ص125.

[4] ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج11)، ص249؛ وينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2297.

[5] الأب يوسف عتيشا، بولس الرسول، مجلة الفكر المسيحي، ص125.

[6] آني جوبير، المسيحيون الأولون، ص39؛ وينظر، التطبيق للكتاب المقدس، ص2336.

ولبولس ثقافة عبرانية وإغريقية مع إتقانه لأربع لغات (اليونانية، واللاتينية، والعبرانية، والآرامية) مما ساعده على الاتصال بالأمم المجاورة، وسهولة نشر دعوته بينهم مع تميُزِه بصفات كانت من أسباب نجاحه كالروح الحماسية، والمنطق المدرب على المناقشة، ثم التفكير العملي الحي، والعزيمة القوية، مع قدرة خارقة على تطويع الآراء، والمذاهب، وتحويرها لخدمة أغراضه، كل ذلك في إطار عام تصوغه موهبته التعبيرية [1].

ولا يوجد أي ذكر له في الأناجيل الأربعة، وان أول مرة ورد فيها اسمه كان في سفر أعمال الرسل[2]، الذي يورد انه: قبل دخوله إلى المسيحية كان من أشد المضطهدين للمسيحيين الأوائل، فقد كان حاضراً في حادثة قتل استفانوس، وراضياً بقتله[3]، وكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويأخذ الرجال والنساء ويلقي بهم في السجن[4]، ولا يذكر السفر طبيعة السلطة السياسية التي كان يتمتع بها، والتي تسمح له بوضع الناس في السجون، ولا السلطة الكهنوتيه التي تجعله راضياً عن قتل استفانوس بعد اتهامه بالتجديف.

ب - دخوله المسيحية:

يروي سفر الأعمال كيفية دخوله إلى المسيحية بعد أن كان مضطهداً لها، فقد طلب من رئيس الكهنة آنذاك رسائل إلى الجماعات اليهودية المقيمة خارج أورشليم لكي يستطيع أن يمسك الرجال والنساء الذين دخلوا في المسيحية ويجلبهم موثقين إليها، وعند اقترابه من دمشق ظهر له نور من السماء فسقط على الأرض فسمع صوتاً يناديه: بشاؤل شاؤل لماذا تضطهدني، فقال له من أنت، فقال أنا يسوع الذي أنت تضطهده فقال له ماذا تريدني أن افعل فقال له المسيح أدخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل، وأما الرجال الذين كانوا معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا يرون أحد، وكان هول الصدمة، وشدة الضوء قد أعمتا بولس فاقتادوه

---

[1] عن شخصية بولس، ينظر، شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص70 ؛ وينظر، Mcnaill: New testement teching in the light of st. Paul (un Cambridge, at the university , press, 1923 ,p ,viii

[2] سفر أعمال الرسل 7: 58.

[3] م. ن 8: 1.

[4] م. ن 8: 3.

وأدخلوه إلى دمشق، وبقي فيها ثلاثة أيام لا يبصر فلم يستطع أن يأكل ويشرب شيئاً، ثم إن المسيح طلب من حنانيا* أن يذهب إلى مكان بولس فرفض ذلك لان بولس معروفٌ لدى تلاميذ المسيح بسطوته عليهم فأخبره المسيح بأنه اختار بولس لحمل رسالته فذهب إليه حنانيا فاستطاع أن يشفيه وفتحت عيناه، فاعتمد، وتناول طعاماً فتقوى، وكان مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً[1]، وينشط علماء تاريخ الأديان في فهم طبيعة المهمة التي سافر من أجلها إلى دمشق، فيرى الدكتور فرج عبد الله[2]((إن هذه الرواية نفسها تثير مشاكل عديدة، منها أن سلطة رئيس الكهنة في أورشليم لا تشمل الجماعات التي أراد بولس أن يذهب إليها في دمشق، والقريب من الصواب أن يكون بولس قد أوفد في مهمة سرية لخطف بعض المسيحيين المتمردين على سلطة الكاهن الأكبر، وكانت معه عصابة من القتله والمأجورين، ولكنه لم يكن يحمل رسالة من الكاهن الأكبر، إن رواية أعمال الرسل قد حولت مهمة بولس من طبيعتها السياسية إلى طبيعة دينية)).

وتتناقض هذه الرواية التي يقصها لوقا في سفر الأعمال، مع رواية ثانية وردت في السفر نفسه وعلى لسان بولس حيث يقول إنه وحين كان على طريق دمشق ظهر له صوت ونور عظيم ((فأجبت من أنت ياسيد فقال لي أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده، والذين معي نظروا النور وأرتعبوا ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني))[3]، فعلى رواية لوقا الأولى فان الذين كانوا مع بولس وقفوا صامتين يسمعون الصوت ولا يرون أحداً، أما رواية بولس فإنها تبين أن الذين كانوا معه نظروا النور ولم يسمعوا الصوت، على أن هناك رواية ثالثة لهذه القصة وعلى لسان بولس أيضاً وأمام الملك اغريباس، تدعم ما يذهب إليه لوقى وتناقض رواية بولس السابقة، حيث يقول ((فلما سقطنا جميعنا على الأرض سمعت صوتاً يكلمني))[4] فجعل مسألة سماع الصوت له فقط دون بقية الذين معه[1]، إن هذا

---

* حنانيا: مسيحي كان يعيش في دمشق، عند دخول بولس إلى المسيحية، طلب منه المسيح أن يذهب إلى بولس لكي يشفيه. ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص125.

[1] شواهد القصة كاملة في سفر أعمال الرسل 9: 1-19.

[2] موسوعة العقائد والأديان، نقض دعوى عالميه النصرانيه، (ج4)، دار الآفاق العربية، (ط1) القاهرة، مصر، 2004م، ص40.

[3] سفر أعمال الرسل 22: 9.

[4] م. ن 26: 14.

التناقض في الرواية مع غرابة القصة المروية في السفر جعل البعض من الباحثين يشك في أمرها لذلك يقول د. أحمد شلبي[2]: ((وادخل بولس إلى المسيحية واصبح معلماً لها وتم ذلك بهذا النسق الذي يصدقه قوم ويراه آخرون قصه مخترعه لم يُجَدْ حَبْكُها)).

ويقول في موضع ثانٍ: ((يرى كثير من الباحثين إن عداوة بولس للمسيحية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد، سلاح التهديد من الداخل لافساد معالمها، وطمس مظاهرها، ومسخها، فهو قد دخلها في الظاهر ليأخذ من اعتناقه الظاهري لها سلاحاً يطعنها به))[3].

إن هذه الحادثة من الأهمية بمكان فهي ((الأساس الوحيد الذي قامت عليه دعوى قبوله المسيحية ثم اختياره رسولاً من المسيح للتبشير فيها))[4]، فتم التسليم بهذه القصة من قبل المسيحيين الذين سمعوها منه وصدقوها، ولم يستطيعوا رفضها أو التأكد من صحتها، ما أتاح له لاحقاً أن يضفي على المسيحية الشيء الكثير، وأن يظهر إنجيله الخاص الذي يبشر به، والذي لا يشبه في محتواه إنجيل المسيح الحقيقي الذي نكاد أن نلمس محتواه في تعاليم عده موجودة في الأناجيل الأربعة نقضها بولس في رسائله وخطبه، وإذا اضطره الأمر إلى أن يستفسر منه حول إنجيله هذا فانه قد أعد لهذا السؤال إجابة شبيهة بقصة دخوله إلى المسيحية فهي إما أن تقبل وإما أن ترفض ولكنها على كل حال لا تناقش فيقول: ((وأعرفكم أيها الأخوة الإنجيل الذي بشرت به انه ليس بحسب إنسان لأني لم اقبله من عند إنسان ولا علمته بل بإعلان يسوع المسيح))[5]، فكما ان مسألة لقائه بالسيد المسيح وإرساله من قبله قد أعطته الحق بان يتحدث باسمه، كذلك فان أخذه للإنجيل منه مباشرة - كما يدعي - قد سمح له بان يتلاعب بالمسيحية كما أرادها هو لا كما يفهمها تلاميذ السيد المسيح وحواريه، واصبح ما يضيفه،

---

[1] ينظر أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، مكتبة وهبه، (ط1)، مصر، 1407هـ-1987م، ص101.

[2] المسيحية، ص106.

[3] م. ن، ص124.

[4] أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص101.

[5] رسالة بولس إلى أهل غلاطية 1: 11.

وما يبطل العمل به من التعاليم قضية شرعية لانقاش فيها من رسول الأمم الذي أخذ تعاليمه من المسيح مباشرة !!.

ويشكك بعض الباحثين بالحالة النفسية التي كان يمر بها بولس في تلك الحقبة والتي سببت هذا التحول المفاجئ من مضطهد للمسيحية يزج بأفرادها في السجون ويسلمهم إلى الموت، إلى داعيه المسيحية الأول، ورسول الأمم، فيرى ماكنالي[1] ((ان القديس بولس قد مرَّ بتجربة روحية كانت بالنسبة إليه أزمة عنيفة قد حددت نضرته الداخلية لشخص السيد المسيح وعمله من اجله وعلاقة الإنسان به)) بينما يقول ول ديورانت[2] ((و لربما كان تحمسه لاضطهادهم - اضطهاد تلاميذ المسيح - ناشئاً من شكوك خفية سرت وقتئذ في نفسه، وكان في مقدوره أن يقسو ولكن هذه القسوة لم تكن من النوع الذي يعقبه ندم، ولعل منظر استفانوس وهو يرجم بالحجارة حتى يموت، ولعل لمحات من ذكريات الشباب - ذكريات صلب المسيح - كانت تعود إلى خياله فتضطرب بها ذاكرته وتشغل عليه في سفره وتهيج خياله))، ثم يربط هذه التخيلات مع قصة ظهور المسيح له في الصحراء ليستنتج منها ((ليس في وسع أحد أن يعرف العوامل التي أحدثت هذه التجربة وما أعقبها من انقلاب أساسي في طبيعة الرجل، ولعل ما قاساه من التعب في سفره الشاق الطويل في شمس الصحراء اللافحة، أو لعل ومضة برق في السماء ناشئة من شدة الحرارة لعل شيئاً من هذا أو ذاك كله قد أثر في جسم ضعيف ربما كان مصاباً بالصرع، وفي عقل يعذبه الشك والأجرام فدفع بالعملية التي كانت تجري في عقله الباطن إلى غايتها))[3].

أما شارل جنيبر[4] فيعزو هذا التحول إلى عنصرين مشتركين:

الأول: خصائص شخصية الداعية نفسه المتقلبة، بل النازعة إلى الهزات، والتهيؤات الصوفية.

والثاني: تلك التأثيرات التي تراكمت في أعماق اللاشعور لديه شيئاً فشيئاً، وأول هذه التأثيرات هي بيئة طرسوس حيث نشأ منذ صغره فيقول: ((انه ربي

---

[1] New testment ,teaching in the light of st. paul ,viii

[2] قصة الحضارة، ج11، ص252.

[3] م. ن، ص253.

[4] ينظر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص97.

حقيقة لا بين أحضان اليهودية الفلسطينية، ولكن في ربوع المهجر بما امتاز به من مرونة ونزعات متفاوتة القوة نحو التأليف بين الأديان، وإذا تبينا أنه، منذ طفولته الأولى، قد أحاط به من كل جانب إيمان الناس بإله يموت ويبعث، فأنغمس بهذا الإيمان حتى أشرب به دون أن يشعر بذلك))[1]، والتأثير الثاني المهم هو التفسير الفريسي للشريعة اليهودية وما يحتويه من فهم متشدد جعله يشعر بأنه غير قادر على مقاومة الخطايا التي تبرزها الشريعة اليهودية في كل جانب من جوانب الحياة، وكان يشعر بأنه ابتعد عن الله وبأن روحه أصبحت في حالة إثم وافتقار إلى الكمال، فكان من الطبيعي أن يستثير انتباهه بقوة ما وجده لدى المسيحيين من مظاهر السعادة في اليقين بالمقارنة مع حالته النفسية الخاصة، فإذا ما اتضح انه لم يواجه فقط بآمال أهل الجليل، بل وجد نفسه أمام صورة للمسيحية قد صبغت إلى درجة ما بالروح اليونانية فحملت موت المسيح معنى التكفير عن خطايا البشر، فاصبح من اليسير تصور افتتانه بهذه المعاجم وبالدعائم التي تستند إليها ثم إحساسه اللاشعوري الغامض في بادئ الأمر بأن فيما يلمسه هو الحل الأمثل للمشكلة التي تحاور نفسه منذ أمد بعيد[2]، فيمكن فهم تحوله المفاجئ هذا على انه تفجر لما تراكم من هذه التأثيرات، وبذلك تصبح مراحل إتمام هذا التحول واضحة كل الوضوح، وان ظل سببه الحقيقي المباشر في طي المجهول.

ج - رحلاته ومؤلفاته:

يروي سفر الأعمال أن بولس وبعد دخوله المسيحية بقي مع التلاميذ الذين كانوا في دمشق أياماً ومنذ ذلك الوقت ابتدأ يبشر في المجامع اليهودية بان المسيح ابن الله[3]، والذي يبدو ان بولس في تلك المرحلة ونتيجة لتأثره بالتلاميذ الذين كانوا في دمشق وسماعه قصة السيد المسيح منهم مباشرة، لم يكن يذهب خياله في تلك الحقبة ابعد من كون السيد المسيح نبياً وانه المسيح الموعود من قبل الرب، وهذا ما كان يبشر به تلاميذ المسيح في مجامع اليهود، والدليل ان سفر الأعمال يذكر بعد هذه الفقرة ان بولس ((كان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين في دمشق محققاً ان هذا هو المسيح)) أي المسيح الموعود لليهود من قبل الرب أما عبارة (ابن

---

[1] شارل جنيير، المسيحية نشأتها وتطورها، ص 96، (بتصرف).

[2] ينظر م. ن، ص98.

[3] أعمال الرسل 9: 19.

الله) السابقة فهي تدل على المجاز، وان هذا المصطلح كان يستخدمه اليهود بكثرة في تلك الحقبة، وان تغير فكر بولس إلى هذا الفكر اللاهوتي جاء عن طريق المؤثرات العديدة التي كانت تتصارع داخل أعماقه والبيئة التي فسحت المجال لهذه الأفكار ان تقفز إلى هذا الخيال الخصب الذي كان يحمله في داخله، وتأثير هذه البيئة يشمل مكانين مهمين استطاعا أن يغيرا فكره.

الأول: ذهابه إلى بلاد العرب[1]، فبعد أن حاول اليهود ان يقتلوه استطاع ان يهرب من دمشق ويذهب إلى الصحراء الواقعة جنوب شرق دمشق[2]، ودامت مدة مكثه هناك ثلاث سنوات ولا يتحدث سفر الأعمال عن هذه الحقبة ولا يذكرها، ولا يُعلم ماذا فعل في تلك السنوات الثلاث، وبمن التقى، وأين سكن، إلا إن الراجح أن هذه السنوات ساعدت بولس على إعادة ترتيب أفكاره القديمة أفكار الطفولة، وتأثير أساتذته اليهود الفريسيين وذكريات طرسوس وآلهتها، وطبيعة الحياة الهيلينية فيها، وتأثير هذه السنين ظهر بعد عودته إلى أورشليم، حيث أخذ يجاهر باسم المسيح، ويجادل اليونانيين ويباحثهم فأرادوا أن يقتلوه فأرسله التلاميذ إلى طرسوس[3]، ويبدو ان أبعاد التلاميذ لبولس جاء على خلفية مخاطبته لليونانيين ومجادلته لهم، لأنهم كانوا رافضين لهكذا محادثات وهم التلاميذ المتمسكون بالشريعة التي تحرم مخاطبة ومجالسة الأمميين مع خوفهم من إثارة اليهود عليهم الذين كانوا يضطهدون الهيلينيين بالأخص، والذي يعد بولس واحداً منهم، أما المكان الثاني الذي غير فكر بولس فهو مدينة طرسوس حيث عاش وتربى، فبعد أن أرسله التلاميذ إلى هناك بقي في طرسوس لمدة ثماني سنوات لا يعرف عنه التاريخ شيئاً، ولعله شعر هناك بأثر التصوف الديني المنتشر بين اليونان وما فيه من تبشير بمجيء المنقذ لتنعكس على تفكيره فيما بعد[4]، وبعد هذه الحقبة الطويلة أتاه برنابا لكي يأخذه معه إلى انطاكيا قاعدة الدعوة المسيحية[5] والتي بقي فيها سنة كاملة ينهل من الفكر الهيليني الذي تشكل هناك على يد المسيحيين

---

[1] إن مسألة هروب بولس من دمشق إلى بلاد العرب لا ترد في سفر الأعمال، بل إنها جاءت على لسانه في رسالته إلى أهل غلاطية 1: 17-18.

[2] ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2300.

[3] أعمال الرسل 9: 29.

[4] ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص253.

[5] أعمال الرسل 11: 25.

الهاربين من أورشليم نتيجة الاضطهاد، وهناك في انطاكيا دعي التلاميذ باسم المسيحيين لأول مرة[1].

ومن انطاكيا انطلق في رحلاته التبشيرية والتي صادفته خلالها الكثير من العقبات، ابتدأت أولى هذه الرحلات مع برنابا ويوحنا الذي ما لبث الأخير أن فارقهما في مدينة (برجة)* ، ولا يعلم السبب الحقيقي لهذه المفارقة، والتي بسببها انفصل برنابا عن بولس[2]، حيث يروي سفر الأعمال أن بولس وبرنابا اتفقا على تفقد الأخوة في المدن التي زاروها سوية، فأقترح برنابا أن يأخذا معهما يوحنا فرفض بولس الذي كان يرى ان الذي فارقهما في برجة لا يأخذاه معهما، فحصل بينهما شجار حتى فارق أحدهما الآخر[3]، لا يرد أي توضيح سوى هذه الفقرات حول سبب مفارقة يوحنا لهما، وعلى ما يبدو فان وجهات النظر كانت مختلفة إلى درجة لكبيرة حتى يبدي بولس هذا الموقف من يوحنا، ويورد السفر أيضاً ما واجه بولس وبرنابا من معارضة شديدة في مدن مختلفة ابتدأت أولهما في انطاكيا بيسيدية* ، حيث ثار الناس عليهما، واضطهدوهما وأخرجوهما من المدينة، وحدث الأمر نفسه في إيقونية* وفي لستره* ضرب بولس ورجموه، وجروه خارج المدينة حتى ظنوا أنه قد مات.

وتمثلت هذه المعارضة في اتجاهين الأول: - الاتجاه الذي كان يتزعمه غالبية اليهود في رفضهم لهذه الدعوة المسيحية التي كانوا يعدونها انشقاقاً عن اليهودية وسلطان الهيكل، وهذا ما نلمسه في معارضتهم الشديدة له عند دخوله إلى مجامعهم للتبشير فيها.

---

[1] أعمال الرسل 11: 26.

* برجة: مدينة تقع خلف انطاكيا الواقعة على الساحل الجنوبي في تركيا، ينظر موسوعة الكتاب المقدس، ص61.

[2] يذكر سفر الأعمال أربع رحلات قام بها بولس.

[3] أعمال الرسل 15: 27-29.

* انطاكيا بيسيدية: مدينة في قلب أسيا الصغرى (تركيا الحالية) زارها بولس وبرنابا في سفرتهما التبشيرية الأولى. ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص46.

* إيقونية: مدينة في غربي تركيا، بشر فيها بولس وكانت آنذاك مدينة تابعة لمقاطعة غلاطية الرومانية وقد لقى فيها معارضة شديدة، موسوعة الكتاب المقدس، ص53.

* لستره: مدينة نائية في مقاطعة غلاطية الرومانية، رجم فيها بولس وكاد أن يموت، ولم يمنعه هذا من أن يزورها في رحلته التبشيرية الثانية، موسوعة الكتاب المقدس، ص277.

والثاني: يمثله المسيحيون اليهود الذين رفضوا تعاليم بولس لاحتوائها على عناصر تخالف تعاليم المسيح عليه السلام ويظهر هذا جلياً في رفضهم لهذه التعاليم وذهابهم إلى قاعدته التبشيرية في انطاكيا ومجادلتهم لبولس وبرنابا حول مسائل الشريعة، وعلى إثر هذا الرفض عقد اجتماع أورشليم.

وهذا الرفض ينسحب كذلك إلى مدينة غلاطية، حيث ان النصوص تدل على ان المسيحيين اليهود ذهبوا إلى هذه المدينة وفندوا ادعاءات بولس حول ألوهية السيد المسيح، وحول تعاليمه مما حدى به إلى ان يكتب رسالته إلى أهل غلاطية والتي تزخر بمعاني الغضب والسخط فيقول فيها: ((أني أتعجب أنكم تتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر ليس هو آخر غير ان قوماً يزعجوكم ويريدون ان يحولوا إنجيل المسيح))[1] ويتكرر الأمر نفسه في رحلاته الأخرى إلا من عنصر جديد وهو تخليه عن دعوة اليهود وعدم دخوله إلى مجامعهم وتحويل دعوته إلى الأمم المختلفة يقول السفر: ((فجاهر بولس وبرنابا وقالا كان يجب ان تتكلموا أنتم بكلمة الله ولكن إذا دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم))[2]، وكذلك ذهابه إلى كورنثوس ودخوله إلى مجمع اليهود ليبشر هناك[3] ورأى إصرارهم وعدم سماعهم له نفض ثيابه وقال لهم دمكم على رؤوسكم من الآن اذهب إلى الأمم[4].

واستعان بولس لإيصال دعوته بالرسائل التي كان يكتبها إلى الأشخاص والمدن المختلفة والتي كان قد دخلها سابقاً للتبشير فيها، وبلغ عدد هذه الرسائل أربعة عشر رسالة[5]، دونت جميعها مابين 51-67م حيث لم تكن الأناجيل قد دونت بعد[6]، وتتراوح الحقبة الممتدة ما بين كتابة الرسائل وكتابة اقدم إنجيل بخمسة عشر سنة[7].

---

[1] الرسالة إلى أهل غلاطية 1: 6-8.

[2] أعمال الرسل 13: 46.

[3] عن الجماعات الموجودة في كورنثوس، ينظر، الخوري بولس الفغالي، منشورات الرسل، رسالة القديس بولس الاولى الى اهل كورنثوس، مطابع الكريم الحديثة، (ط1)، 1993م.

[4] م. ن 18: 6.

[5] الرسائل هي: ((الرسالة إلى أهل روما، كورنثوس الأولى، كورنثوس الثانية، الرسالة إلى غلاطية، أفسس، فيلبي، كولوسي، تسالونيكي الأولى، تسالونيكي الثانية، تيموثاوس الأولى، ثيموثاوس الثانية، تيطس، فليمون، العبرانيين)).

[6] بيوس عفاص، قراءة مجددة للعهد الجديد، ص108.

[7] الإمام الغزالي، الرد الجميل، ص62.

ولرسائل بولس أهمية بالغة في العهد الجديد فهي وحدها تمثل في حجمها خمسة أسداس الرسائل جميعاً وتسمى (الاسفار التعليمية)، ويمكن القول ان رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في المسيحية، وان التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لرسائله وتشريعاته[1].

ويلاحظ على هذه الرسائل أنها تصطبغ بالصبغة الشخصية لبولس فهي ليست لاهوتية بالطبع، بل رسائل شخصية لها ديباجة وخاتمة[2]، وهي في مجملها موجهة إلى أشخاص وأماكن معينة تحثهم على التمسك بتعاليمه، ونبذ التعاليم الأخرى التي تخالفه[3]، ((وليس ثمة إجماع على صحة نسبة هذه الرسائل إليه، بل ان بعض المحققين يميل إلى ان أربع رسائل منسوبة إليه كتبت بيد بعض تلاميذه بعد وفاته بعشرين سنة))[4]، وان هناك رسائل قد فقدت ولم تصل إلينا[5] أو لعل الكنيسة قد رفضتها فيما بعد كما رفضت الكثير غيرها في مؤتمر نيقية.

ويكاد يتفق المسيحيون على ان رسائل بولس صعبة الفهم لذلك يقول بولس الفغالي[6]: ((فجميع المسيحيين الذين حاولوا قراءتها أو أكثرهم يفكرون هكذا، ففكر الرسول يدور، ويدور، وهو مليء بالأفكار المجردة التي ليست محسوسة)).

ولا تخلو رسائله من توحيد الله تعالى والذي نجده منثوراً في العديد من رسائله فيقول في رسالته إلى أهل كورنثوس: ((ليس أحد ان يقدر ان يقول يسوع رب إلا بالروح القدس، فأنواع مذاهب موجودة، ولكن الروح واحد، وأنواع خدم موجودة ولكن الرب واحد، وأنواع أعمال موجودة، ولكن الله واحد الذي يعمل الكل في الكل))[7]، فقد جعل الله الواحد هو الذي يعمل الكل في الكل، وهذا عكس ما يفهم من عقيدة النصارى وتوزيع الأعمال الإلهية إلى الاقانيم الثلاثة – كما سيأتي

---

[1] أحمد شلبي، المسيحية، ص122.

[2] منقذ السقار، هل العهد الجديد كلمة الله، ص53.

[3] ينظر، الرسالة إلى أهل كورنثوس 1: 10، غلاطية 2: 4–6.

[4] منقذ السقار، هل العهد الجديد كله الله، شوال، مكة المكرمة، 1423 هـ، موقع هداية الحيارى (www. Islam.ms) ص53.

[5] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2431.

[6] بولس ورسائله، الرابطة الكتابية، مؤسسة دكاش للطباعة والنشر، (ط1)، لبنان، بيروت، 2001 م، ص11.

[7] الرسالة الأولى إلى كورنثوس 12: 4–7.

بيانه – ثم انه جعل السيد المسيح رباً[1]، مع إعانة الروح القدس له، ونفى عنه الألوهية، وفرق بين الألوهية، والربوبية، ويقول أيضاً: ((لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح هو الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع))[2]، ويقول أيضاً: ((لكن لنا إله واحد الآب. .. ورب واحد يسوع المسيح))[3] وبهذا فقد فرق بولس بين الله وبين الرب أيضاً[4].

ويبدو ان بولس تعمد ذكر هذه المعاني التوحيدية إرضاءً لتلاميذ السيد المسيح، وتخفيفاً للضغط الذي كان يمارسه اليهود عليه عند دخوله إلى مجامعهم للتبشير فيها.

د - وفاته:

لا يذكر سفر أعمال الرسل أي شيء عن وفاة بولس، ويكتفي بذكر حادثة سجنه في روما[5] بدون ذكر أي تفاصيل أخرى، إلا ان المؤرخين المسيحيين يرون انه قد اعدم في روما بعد ان أجريت له الشكليات المطلوبة في المحاكمة[6]، وتقول إحدى الروايات انه هو وبطرس اعدما في وقت واحد وان كان كلاهما قد اعدم منفرداً[7].

((وقد نسب إلى يوحنا فم الذهب قوله ان بولس قد خدم المسيح خمساً وثلاثين سنة وانه أستشهد في سن الثامنة والستين))[8]، ويذهب جان كمبي[9] ((إلى انه قد توفي سنة 63م)).

---

[1] هذه اللفظة تفهم في العهد القديم والجديد بمعنى المعلم ينظر يوحنا 20: 16.

[2] تيموثاوس الأولى 2: 5.

[3] كورنثوس الأولى 8: 6.

[4] فاروق الدملوجي، حياة السيد المسيح، ص152-153.

[5] سفر أعمال الرسل 28 ((يروي التراث المسيحي ان بولس سجن مرتان، الأولى في روما وأطلق سراحه بعد سنتين وفيها كتب بولس رسالته الأولى إلى تيموثاوس والثانية في روما أيضاً وكتب فيها رسالته الثانية إلى ثيموثاوس وهي آخر رسائله واعدم في السجن هناك)) ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2369.

[6] جوزيف هولزنر، بولس الرسول، ترجمة البطريرك الياس الرابع، منشورات مهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، (ط2)، البلمند، 1986م، ص447.

[7] ول ديورانت، قصه الحضارة، (ج11)، ص268.

[8] أحمد حجازي السقا، اقانيم النصارى، ص138.

[9] دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص33.

ودفن بولس في مغارة صغيرة، على بعد ميلين في أحد أماكن القطع في مزرعة لوكينس الرومانية حيث توجد اليوم كنيسة القديس بولس الملوكية، وبقي هناك إلى أيام اضطهادات أورليان في القرن الثالث الميلادي حيث تم نقله إلى مكان آخر[1].

2- موجز لفكر بولس

كان للرسول بولس الأثر الكبير في تكوين وتشكيل العقائد المسيحية، ويبرز هذا الأثر في ما خلفه بولس من أفكار ومعتقدات أثرت في التشكيل النهائي لهذه العقيدة، وأخذت أفكاره وأقواله الحيز الكبير من التراث المسيحي لتحل في النهاية محل أقوال المسيح نفسه وتعاليم تلاميذه.

ويتمركز جل تفكير الرسول بولس حول المسيح عليه السلام ويهمل ما سواه من أفكار وتشريعات لذلك يقول اميل برهيه[2]: ((مايهم القديس بولس في المقام الأول ليس كشف طبيعة الله، بل إنقاذ الإنسان ولهذا يتمحور فكره كله حول المسيح الذي يعبر عن جميع علاقات الله بالإنسان)) وهذا الأمر يظهر جلياً في قول بولس: ((لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته، لعلي ابلغ إلى قيامه الأموات ليس اني قد نلت أو صرت كاملاً ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع. ... أسعى نحو الفرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع))[3].

وفي المقاييس العلمية فان بولس قد حقق نجاحاً كبيراً فيما كان يسعى إليه في تعاليمه وعقائده التي كان يفرضها على المسيحية، وسر نجاحه هذا يكمن في قوله: ((فاني إذ كنت حرا من الجميع استعبدت نفسي للجميع لأربح الأ كثرين، فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لأربح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس كأني بلا ناموس مع اني لست بلا ناموس لله بل تحت ناموسٍ للمسيح))[4]. وبما ان فكره يتمحور حول المسيح عليه السلام ولكي يصل بهذه الشخصية إلى مراحل التقديس ثم الألوهية كان عليه ان يعمل فكره فيها، وساعده على ذلك تعدد مناهج التفكير التي كان يحملها في رأسه، وتصطبغ بها شخصيته، ومن هذه المناهج الفكرية:

---

[1] جوزيف هولزنز، بولس الرسول، ص448.

[2] الفلسفة الهلنستية، ص300.

[3] الرسالة إلى مؤمني فيلبي 3: 10-15.

[4] كورنثوس الأولى 9: 19-21.

أ- الخلفية اليهودية التي ولد ونشأ عليها

لقد كان والده ((فريسياً شديد الصرامة في الاتجاهات الدينية والوطنية، فأدخل ابنه إلى أسرار لغة الكتاب الأصلية المقدسة التي تعلمها في المدرسة وفي الترجمة السبعينية))[1] وساعده على التمسك بالدين ان العائلات اليهودية في طرسوس كانت تشكل مستعمرات عنصرية مغلقة، إلا أنها كانت تتمتع بكامل الحقوق التي كان يتمتع بها الرومان[2] ويبدو ان بولس انتقل إلى أورشليم ليكمل هناك دراسة الشريعة اليهودية، بعد ان تلقى علومه في المجمع الديني اليهودي القائم في طرسوس، وفي أورشليم تعلم على يد غملائيل* حفيد هلل* الذي كان رئيساً للسنهدرين[3]، وفي ذلك الزمان ((كان اللاهوتيون في أورشليم ينقسمون إلى اتجاهين، اتجاه متساهل لين يعرف ان يجد مخرجاً لقساوة الشريعة ويتزعمه هلل، واتجاه آخر يقوم على التعصب ويفسر الشريعة حرفياً ويتزعمه ساماي*))[4]، وساعده قربه إلى غملائيل بان يكون مقرباً من الكهنة لذلك فانهم كانوا يعتمدون عليه في قمع التلاميذ[5] واحباط دعوتهم[6].

---

[1] جوزيف هولزنز، بولس الرسول، ص28.

[2] م. ن ص27.

* غملائيل: فريسي شهير، كان معلماً لبولس وعضواً في المجلس اليهودي الأعلى (السنهدرين)، كان الجميع يحترمونه ويقدرونه كخبير في الشريعة الدينية اليهودية، ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2352؛ موسوعة الكتاب المقدس، ص228.

* هلل (هليل): من اشهر الحاخامات اليهود في فترة معلمي المشناة (التنائيم) في بابل، تعلم ودرس على يد معلمين فريسيين، ويعد من أهم المعلقين على العهد القديم ومن أهم مفسري التراث الديني اليهودي، كان صاحب مدرسة في التفسير أطلق عليها (بيت هليل) اتسمت بالمرونه، ينظر د. شمعون يوسف موبال، التلمود أصله وتسلسله وآدابه، مطبعة العرب، مقر القاهرة، 1909م، ص31-34.

[3] ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج11)، ص250؛ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص2335.

* ساماي (شاماي): حاخام فريسي من معلمي المشناة (التنائيم) تراس مع هلل السنهدرين له مدرسة في تفسير التراث الديني اليهودي أطلق عليها (بيت شماي) اشتهرت بتعصبها، ينظر د. شمعون موبال، التلمود أصله تسلسله آدابه، ص32.

[4] جوزيف هولزنز، بولس الرسول، ص33.

[5] أعمال الرسل 8: 1-3.

[6] م. ن 9: 1-3.

لقد كان بولس مهيأً تماماً لمخاطبة اليهود المنتشرين في بقاع الأرض المختلفة، فقد كان يمتاز بالمقدرة على تقديم معتقداته بوضوح وإقناع، فقد كان معلماً يهودياً تعلم وتتلمذ على يدي أفضل علماء عصره، كما أنه قضى الجزء الأكبر من حياته في التفكير والتأمل في الأسفار المقدسة[1]. ويقول جوزيف هولنز[2]: ((كان بولس يحفظ الكتاب المقدس بلغتيه العبرية واليونانية كما كان يعرف السبعينية عندما كان في طرسوس، وكان لابد له من حفظه لصعوبة حملة في رحلاته بسبب ضخامة مخطوطاته، وكانت رسائله تتبع بآيات من العهد القديم. .. لقد أحصوا ما يقرب من مئتي آيه مذكورة في رسائله)) ان أفكاراً مهمة من التراث اليهودي والعقائد المشمولة قد استقر في ذهنه نتيجة لدراسته الكتب الدينية التي كانت تحوي على التراث اليهودي الممتد إلى مئات السنين، والتي كانت تحاول ان تروي تاريخ بني إسرائيل وعلاقتهم بالآله وبالأقوام المجاورة لهم، واستطاع ان يصوغ هذه الأفكار صياغة جديدة، لا تختلف عن سابقتها إلا من حيث بقاؤها وتمسك الناس بها على أنها دين، ومنهج خلاص للبشرية، ومن هذه الأفكار، فكره الخطيئة التي كانت تلح على التفكير الإسرائيلي الذي انحط حين انحرف عن تعاليم موسى والأنبياء، فانهم كانوا يرون بتحميل الأبناء أوزار الآباء، فجاءهم النذير والتبكيت وحياً من الله تعالى وعلى لسان حزقيال عليه السلام[3]، وكذلك أفكار التضحية بالأبناء تكفيراً عن الخطايا وإرضاءً للآلهة[4]، فلقد ورث بنو إسرائيل هذه العقيدة من جملة ما ورثوه عن جيرانهم من القبائل الوثنية التي التصق اليهود بها وصاهروها ونقلوا عنها كل رجس بما في ذلك معبوداتهم الوثنية التي قدموا لها القرابين ومن بينها إحراق أولادهم في النار إطفاء لغضبها[5].

فاستغل بولس هذا التراث اليهودي الزاخر بالتعاليم الوثنية ليحوله إلى عقائد يتعبد بها وساعده على ذلك خياله الخصب، ومقدرته على تطويع الأفكار لصالحة مع ما كان يحمله من انفتاح فكره على عقائد الأمم المختلفة.

---

[1] التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2335.

[2] بولس الرسول، ص36.

[3] حزقيال 18: 4–32.

[4] سفر الملوك الثاني 17: 9–18.

[5] ينظر، أحمد عبد الوهاب، اختلافات وتناقضات في تراجم الكتاب المقدس، ص96–98.

ب- خلفية فلسفية

كان للأفكار الفلسفية والمحيط الهيليني الذي عاش فيه في مدينة طرسوس الأثر الأكبر في هذا التكوين الفكري لذلك يقول جوزيف هولزنز[1]: ((مدينتان لعبتا دوراً حاسماً في تطوره، طرسوس وأورشليم)) وجاء هذا التأثير في كونهما ((مكاناً قديماً جداً ذو مواصلات عالمية، وحدود بين حضارتين اليونانية والرومانية الغربيتين، والبابلية الشرقية. .. وكانت وسطاً يونانياً برزت فيه الحضارة اليونانية بروزاً ظاهراً فأثرت تأثيراً عميقاً حتى في يهود الشتات القاطنين فيها بكثرة))[2]، ومن المسلم به ان العقلية والنهج اليوناني في الحياة قد أثرا تأثيراً عظيماً عليه، بدليل إن إقامته الطويلة في طرسوس جعلت منه مفكراً على طريقة التفكير اليوناني، فقد كان يكتب لغتها كما يكتب بلغته الأم، بينما كان بطرس بحاجة لمن يترجم له عند خروجه من فلسطين للبشارة، وعلى الأخص عندها كان يريد ان يكتب رسائله[3]. ومن الأفكار التي استقاها في طرسوس والتي استقرت في أذهانه منذ صغره، فلم يستطع محوها من وجدانه، ما كان يشاهده من مظاهر لعبادة الآلهه وتقديم النذور لها ((فقد كان فيها إله يسمونه بعل طرسوس – سيد طرسوس – أو (جوبتير) أو (ذيّا) يتصل بالعالم الخارجي عن طريق وزرائه، ومنهم سانتان إله الحقول، وكانت عبادة سانتان تصل إلى أوجها في العيد التذكاري للنار، أي موت وبعث إله الخصب، وهذه الفكرة موجودة في كل الديانات الشرقية آنذاك، وبعد الاحتفال بالموت يبدأ عيد الحياة، وهو تمجيد لقيامه الإله الظافرة ويحتفل به في العربذة والمجون والغرق في الإثم والقذارة))[4]، وكان يوجد في طرسوس أيضاً اتباع العقائد الخفية الذين يعتقدون ان الله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره، وانه إذا دعى بإيمان حق وصحب الدعاء الطقوس الصحيحة استجاب لهم وأنجاهم من الجحيم وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة، وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس، وأعدت بولس لدعوة اليونان[5].

---

[1] بولس ورسائله، ص19.

[2] جوزيف هولزنز، بولس الرسول، ص19.

[3] م. ن ص21.

[4] م. ن ص22.

[5] ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص250.

إن تأثر بولس بالفكر اليوناني كان واضحاً وجلياً في رسائله لذلك يقول عثمان أمين[1]: ((ومن المشهور لدى الباحثين في الإلهيات المسيحية ان رسائل (بولس الرسول) هي في لهجتها ومضمونها قريبة الشبه برسائل (سنغا) ومقالات (ابكتيتوس) وتعليل ذلك ما هو معلوم من نشأته في بلاد طرسوس في وسط قد شاعت فيه الأفكار الرواقية)) ويستدل على هذا التأثير في مفهوم بولس لعقيدة التثليث فيقول ((ان النظرية المسيحية التي تذهب إلى ان الله واحد ومتعدد في وقت واحد هي نظرة تمتد إلى الفلسفة الرواقية بسبب وثيق، ان عقيدة (الثالوث المقدس) المعروفة ترجع في تخطيط أصولها إلى بولس الرسول، ولكنا نلاحظ ان هذه الأصول مبسوطة فيما كتب (سنغا) لأول عهده بالكتابة إذ نراه يقول: شيئان يصحباننا أين ما توجهنا: نصيبنا في السماء ذات النجوم من فوقنا والأرض من تحتنا ثم حقنا من النزعات الأخلاقية التي في صدورنا وتلك من نعم القوة العظمى التي أبدعت الكون وهذه القوة نسميها تارة (الله المسيطر) وتارة (الحكمة اللاجسمانية) التي تخلق جليل الأعمال وتارة أخرى نسميها (الروح الإلهية) التي تجوس خلال الأشياء عظيمها وحقيرها))[2]، ويعلق على هذا الأمر باحث آخر، وهو ول ديورانت[3] فيقول: ((ومن حقنا ان نعتقد ان بعض المبادئ الدينية، والأخلاقية الرواقية قد انتقلت من البيئة المدرسية في طرسوس إلى مسيحية بولس فهو يستعمل اللفظ الرواقي (نيوما) (neuma) أي النفس للدلالة على المعنى الذي يستعمل فيه مترجموه الإنجليز لفظ (الروح) (spirit)))،وهذا الأمر نفسه يرد في استخدامه لمصطلحي (الكلمة) و (روح القدس) اللذين كانا شائعي الاستخدام في المدرسة الرواقية خلال العهود المسيحية الأولى[4].

إن صعوبة فهم هذه المصطلحات الفلسفية من قبل الناس البسطاء، لاسيما ان التوراة والإنجيل لا يساعدانه على تقرير هذه الفلسفات، قد حدا ببولس إلى التأكيد في الكثير من وصاياه على قبول هذه الفلسفات بدون فهم ولا مناقشة[5]،

---

[1] الفلسفة الرواقية، ص274.

[2] الفلسفة الرواقية، ص278.

[3] قصة الحضارة، ج11، ص250.

[4] ينظر، عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، ص278.

[5] ينظر، كورنثوس الأولى 1: 17.

وفي أحيان كثيرة حين يسأل عن هذه الفلسفات أسئلة مربكة فانه كان في وسعه إيجاد الأجوبة لها، فعند سؤاله فيما إذا كان المسيح إلها حقاً فَلِمَ رضي أن يقتل فقال: ((إن المسيح قد قتل ليفتدي بموته العالم الذي استحوذ عليه الشيطان بسبب خطيئة آدم فكان لابد ان يموت ليحطم أغلال الموت، ويفتح أبواب السماء لكل من نال رضوان الله)) [1]، وبذلك استطاع بولس ان يصوغ العديد من الأفكار والفلسفات ويحولها إلى آراء دينية كان يحاجج بها خصومه الكثر.

ج - خلفية دينية مسيحية

والتي استقى ينابيعها من مصدرين:

الأول: الخلفية التي استمدها من الحواريين والتلاميذ الآخرين بعد تعميده، ولقائه بهم في رحلاته.

الثاني: الخلفية التي رسم المسيحيون الهيلينيون معالمها في انطاكيا وغيرها من المدن.

إن أول تماس لبولس مع المسيحيين اليهود كان قد جرى في دمشق حين عمده حنانيا[2]، ثم انه بقي مع التلاميذ في دمشق أياماً كما يخبر سفر الأعمال[3]، وبعدها كان يدعو اليهود للإيمان بان عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر من قبلهم[4]، وكما كان يؤمن به المسيحيون الأولون، ثم انه جاء إلى أورشليم والتقى هناك بالتلاميذ وبقي معهم خمسة عشر يوماً[5]، إلى ان حاول اليهود قتله فأرسله التلاميذ إلى طرسوس، ليبقى فيها لحين مجيء برنابا إليه ليأخذه إلى انطاكيا القاعدة الجديدة لدعوته وليلتقي هناك بالتلاميذ الهيلينيين، الذين لم يكونوا ينظرون إلى المسيح عليه السلام وأعماله مثل نظرة اليهود المسيحيين الذين كانوا في أورشليم.

وساعدته نشأته في الوسط الهيليني على تَقَبُل المسيحيين الهيلنيين والاندماج معهم وتقربه إليهم أكثر من تقربه إلى الحواريين اتباع المسيح عليه السلام، ليفضل انطاكيا

---

[1] ينظر، ول ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص265.

[2] سفر أعمال الرسل 9: 18.

[3] م. ن 9: 19.

[4] م: ن 9: 22.

[5] رسالة بولس إلى غلاطية 1: 18-19.

في النهاية على أورشليم وهيكلها وليجعل منها مركزاً لانطلاقه في رحلاته التبشيرية وأفكاره اللاهوتية، وليبقى على ديدنه هذا مبشراً بالمسيح كما كان يفهمه المسيحيون الهيلينيون في انطاكيا والذين كان يستقي منهم معلوماته، ومعترفاً بأنه لم يكن معروفاً عند كنائس المسيحيين اليهود[1]، وهذا يدل على انه كان قد قام بالتبشير بعيداً عن هذه الكنائس التي كانت توحيدية في منهجها العام، ورافضه لتعاليم المسيحيين الهيلينين الدينية.

وبعد غياب طويل عن أورشليم دام أربع عشرة سنة[2] عاد إليها لسبب يرويه في رسالته إلى غلاطية فيقول: ((وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي اكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً))[3]، فبعد كل هذه السنين عاد بولس إلى أورشليم، ليس ليلتقي بالحواريين ليتعلم منهم دعوة المسيح الحقيقية، وهم الذين عاشوا معه ورافقوه في نبوته، وإنما ليعرض عليهم إنجيله الخاص به الذي كان يبشر به في الأمم المختلفة، ومن الطبيعي ان إنجيله هذا لم يتلقه من الحواريين ولم يسمعه منهم، وإنما – كما يدعي – تلقاه من المسيح مباشرة[4]، وان المسيح قد منحه صفة الرسالة فيقول: ((بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان بل بيسوع المسيح))[5]، ومما يدعو للشك والريبة ما جرى من لقاء بين بولس ومجموعة من التلاميذ المعتبرين وعلى انفراد[6] وذلك لكي يعرض عليهم انجيله الذي كان يختلف عن إنجيل المسيح الحقيقي، والذي كان التلاميذ يبشرون به لذلك نراه يقول عن هذا اللقاء: ((وأما المعتبرون انهم شيء مهما كانوا لا فرق عندي، الله لا يأخذ بوجه إنسان، فان هؤلاء المعتبرين لم يشيروا علي بشيء بل بالعكس إذ رأوا اني أؤتمنت على إنجيل الغرلة كما بطرس

---

[1] م. ن 1: 21.

[2] رسالة بولس إلى غلاطية 2: 1.

[3] م. ن، 2: 2.

[4] م. ن 1: 11-12.

[5] م. ن 1: 1.

[6] عن انفراد بولس بالتلاميذ ينظر، أبو المعالي إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت478هـ)، شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تقديم وتحقيق وتعليق، د. أحمد حجازي السقا مكتبة الكليات الأزهرية، (ط1)، مصر، رمضان 1398هـ – أغسطس 1978م، ص68.

على إنجيل الختان، فان الذي عمل لرسالة الختان عمل في أيضاً للأمم))[1]، فتمسك التلاميذ بتعاليم المسيح حول الختان وغيرها ولم يقبلوا ان يغيروها على حساب تبشير الأمم، وهو عكس ما كان يراه بولس والهيلينيين، ونتيجة لهذا الإصرار أدى هذا الأمر إلى الافتراق بين الشعبتين، ولينفرد بولس فيما بعد في دعوته للأمم وفق فهمه الهيليني لرسالة المسيح عليه السلام.

3- آثاره

لقد ترك بولس من خلفه آثاراً عديدة رسمت خطوط النصرانية من بعده، وصاغت هذه العقيدة حسب ما خطط لها في آرائه ورسائله، فلكي يصل إلى هدفه في فرض هذه العقائد كان عليه أولاً ان يلغي العمل بالشريعة الموسوية التي دعا المسيح إلى التمسك بها[2]، فأبتدأ يهاجمها في الكثير من رسائله وخطبه التي كان يلقيها فيقول: ((فانه يصير إبطال الوصية السابقة من اجل ضعفها وعدم نفعها، إذ الناموس لم يكمل شيء ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله))[3] ويقول أيضاً: ((وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال))[4]، ويبرر التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[5] عمل بولس هذا فيقول: ((لم يكن مقصوداً من الناموس ان يخلص الناس بل ان يشير إلى الخطيئة، ولن يشير نحو المسيح يسوع ويوجه الأنظار إليه، أما الخلاص فبالمسيح وحده الذي بذبيحته ننال الخلاص))، ثم أكد على أهمية إلغاء الشريعة الموسوية وعدم العمل بها، فيوصي أهل كولوسي في رسالته إليهم فيقول: ((فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي في ضل الأمور العتيدة أما الجسد فللمسيح))[6]، وكذلك أباح لهم الأطعمة التي كانت محرمة عليهم في الشريعة الموسوية وحسب نص سفر التثنية[7]، ففي رسالته إلى

---

[1] غلاطية 2: 6-8.
[2] متى 7: 19، 23: 1-3.
[3] عبرانيين 7: 18-19.
[4] م. ن 8: 13، وينظر، غلاطية 3: 10، 5: 4، 2: 21.
[5] ص2652.
[6] كولوسي 2: 16-17 وينظر: رومية 7: 7-9، 3: 27، افسس 2: 14-15، غلاطية 3: 13، 2: 16، 5: 4، 2: 21.
[7] سفر التثنية 14: 1-24.

أهل رومية يقول: ((اني عالم ومتيقن في الرب يسوع ان ليس شيئاً نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس))[1] وفي رسالته إلى تيطس* يقول: ((لا يصغون إلى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن الحق، كل شيء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شيء طاهر بل قد تنجس ذهنهم أيضاً وضميرهم))[2]، وأكد كذلك على أهمية إلغاء الختان[3]، فيقول في رسالته إلى غلاطية: ((ها أنا بولس أقول لكم انه ان اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيء))[4] ويقول أيضاً: ((لانه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة))[5]، وكان أحياناً ينسب آراءه إلى المسيح ﷺ، وأحيانا يعترف بأنه يشرع من عنده هو وبرأيه الخاص[6] وفي ذلك يقول: ((أما المتزوجون فأوجههم لا أنا بل الرب ألا تفارق المرأة زوجها ... وأما الباقون فأقول لهم أنا لا الرب. .. وأما العذارى فليس عندي أمر من الرب فيهن ولكن أعطي رأياً))[7].

((ان اخطر ما قاله بولس هو ان جعل كل الناس مشتركين في خطيئة أبيهم آدم الأولى[8] حين عصى وأكل من الشجرة وعوقب على ذلك بالطرد فوراً من الجنة وان تلك الخطيئة هي سبب الموت الجسدي الذي يحل بالإنسان))[9] وان هذا القول فتح الباب واسعاً له بان يضفي عقائد الصلب والقيام في المسيحية[10]،

---

[1] رومية 14: 14.

* تيطس: مسيحي من أصل غير يهودي (أممي) كان صديقاً ومعاوناً لبولس، رافق بولس في إحدى زياراته إلى أورشليم، وجه له بولس رسالة باسمه أدخلت ضمن كتب العهد الجديد، ينظر موسوعة الكتاب المقدس، ص94.

[2] تيطس 1: 14-15 وينظر أيضاً 1 ثيموثاوس 4: 4، رومية 14: 14.

[3] عن مسألة إلغائه للختان، ينظر، أحمد علي عجيبة، موسوعة العقائد والأديان، الرهبانية المسيحية وموقف الاسلام منها، دار الأفاق العربية، (ط1)، القاهرة، مصر، 2004م، ص59.

[4] غلاطية 5: 2.

[5] م. ن 6: 15.

[6] احمد شلبي، المسيحية، ص123.

[7] 1 كورنثوس 7: 10، 12، 25.

[8] روميه 5: 12-14.

[9] أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص95.

[10] ينظر رومية 6: 6، 1 كورنثوس 1: 23، 15: 4-8.

لكي يخلص الناس عن طريق موت الإله وقيامه لمحو هذه الخطيئة ((ولم يكن هذا الحديث بالذي لا يتأثر به اليونانيون بل كان لابد ان يثير عواطفهم، وقد ركز بولس على مسألة الصلب تركيزاً شديداً لانه وجد أنها تستهوي الوثنيين، فقد كان عنصر تأليه المسيح ثم صلبه الجذب الحقيقي للوثنيين إلى العقيدة المسيحية، وان بولس هو أول من يتحمل مسؤولية القول به واستثماره على أوسع نطاق لضرب العقيدة الأصلية، أو لنشر فلسفته الخاصة، أو لتحقيق الغاية التي صادفت هوى في نفوس الاباطره الوثنيين في روما))[1] ثم ليقرر في رسائله ان المسيح ابن الله[2]، وانه هو الله نفسه تجسد ونزل إلى الأرض[3]، وبعد صلبه وقيامه صعد إلى السماء وجلس عن يمين الله[4]، وانه سوف يعود مرة ثانية إلى الأرض[5]، ويحاسب الأحياء والأموات[6]. واستطاع بولس ان يلغي مسألة العمل وكسب الحسنات عن طريقه، فلقد حث المسيح عليه السلام على العمل الصالح وبين ان الإيمان وحده لا يكفي[7]، ولكن بولس خالف ذلك وجعل نوال البر والخلاص رهناً على الإيمان[8]، فساعد هذا على دخول الكثير من الأمميين في مسيحية بولس، وضعف الدخول إلى مسيحية الحقيقية التي كانت تحمل في طياتها الختان، والتمسك بالشريعة اليهودية، والتراث اليهودي، فكان من الطبيعي على الأمميين ان يختاروا ما هو أسهل لهم وأقرب إلى معتقداتهم الوثنية، فلذلك بدأت المسيحية اليهودية في الضعف والانحسار تدريجيا مقابل مسيحية بولس والهيلينيين، ولاسيما بعد إعلانه عن عالمية الدعوة المسيحية وأنها للناس جميعاً[9]، وعلى عكس ما كان يدعو إليه السيد المسيح عليه السلام وتلاميذه من بعده في حسر هذه الدعوة باليهود فقط، مما

---

[1] شارل جنيبر، المسيحية نشأتها وتطورها، ص138.

[2] عبرانين 1: 5، 4: 14.

[3] 2 كولوسي 2: 9.

[4] عبرانين 1: 3، 13 8: 1.

[5] 1 تسالونيكي 4: 15.

[6] 2 كورنثوس 5: 10، 2 تسالونيكي 1: 7-9.

[7] لوقا 6: 47-49.

[8] ينظر غلاطية 2: 16 رومية 1: 17، 3: 22، 28، 4: 4 فيلبي 3: 9.

[9] ينظر رومية 1: 5، 14-16، كورنثوس 1: 13 غلاطية 3: 26-29.

حدا بالتلاميذ ان يدافعوا عن رسالة السيد المسيح الحقيقية، ويرفضوا تعاليم بولس في الكثير من المواقف[1].

---

[1] عن رفض التلاميذ لمسيحية بولس، ينظر، 2 ثيموثاوس 1: 15، 4: 9-16، غلاطية 2: 13،1 ثيموثاوس 1: 3-7، ا ثيموثاوس 1: 3-7، 6: 3-5، 2: 23، فيلبي 2: 19-31.

المبحث الثاني

الاضطهاد الديني وأثره

تبدأ سلسلة الاضطهاد الديني للمسيحيين وكما يذكر سفر أعمال الرسل بعد رجم استفانوس أحد المسيحيين في أورشليم ويسمى السفر هذا الاضطهاد بالاضطهاد العظيم[1]، وكانت بدايته بالسطو على ما كانت تملكه تلك الجماعة المسيحية الأولى، ودخول بيوتهم عنوة وجر الرجال والنساء إلى السجون مما اضطرهم إلى الهروب إلى المدن المختلفة، ثم توالت أنواع هذه الاضطهادات التي كانت تسير في اتجاهين:

الأول: الاضطهاد اليهودي لهذه الفئة، والذي تمثل بمحاربة السيد المسيح عليه السلام ودعوته، ثم لينتقل هذا العداء إلى تلاميذه وأتباعه، خصوصاً الهيلينستيين وليتأجج بالأفكار الهيلينية التي تبناها وطورها الاميون، وكانت بطبيعة الحال تخالف العقيدة اليهودية، فبوادر هذا الاضطهاد الأول للمسيحيين هو ديني يهودي بعد محاولة انشقاق هذه الطائفة الصغيرة – في حينها – عن المعبد والديانة اليهودية عن طريق تبني الهيلينستيين آراء جديدة عن الديانة اليهودية، لذلك يقول د. لاسي اوليري[2] ((ويبدو ان عداء اليهودية للمسيحية كان سبباً رئيسياً لكثير من الاضطهادات التي قامت بالمسيحية في عصرها الأول ان لم تكن كلها)) وبقي هذا العداء اليهودي للمسيحيين الذين كانوا يعدون خارجين عن الدين اليهودي يأخذ طابع الوشاية وعدم الارتياح[3].

والاتجاه الثاني: كان رومانياً حيث ان الرومان أنزلوا بهذه الطائفة الكثير من العذاب، ويرى جان لوريمر[4] ان سبب هذا الاضطهاد هو: ((ان السلطات الرومانية لم تعرف بالضبط هدف الطقوس والعقائد المسيحية، ولانهم رأوا في

---

[1] سفر أعمال الرسل 8: 3.

[2] علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ص54؛ وينظر، محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص29؛ ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية في حياة المسيح، ص51.

[3] ينظر، د. لاسي اوليري، علوم اليونان، ص54.

[4] تاريخ الكنيسة، ص89.

عدم عبادتهم للأباطرة خيانة للدولة، فهذه العبادة هي الطريقة المثلى لتوحيد الإمبراطورية المترامية الأطراف غير المتجانسة، لا حضارياً، ولا دينياً، ولا لغوياً)) إلا أن هناك من يرى ان اضطهادات الرومان للمسيحيين كانت في أغلبها تحريضات من اليهود على هذه الطائفة بدليل اضطهاد نيرون للمسيحيين سنة 64م، يقول د.لاسي اوليري[1]: ((فالاضطهاد الحقيقي الأول الذي وقع على المسيحيين باعتبارهم طائفة معينه حدث في روما في عهد الإمبراطور نيرون، وكان اليهود ولاشك محرضين عليه إذ كانوا أصحاب نفوذ قوي في البلاط. وحدثت اضطرابات كثيرة كانوا هم مسؤولين عنها)) وقصة اضطهاد نيرون للمسيحيين تبدأ سنة 64م ((حيث نشبت النار في روما واستمرت أسبوعاً ملتهمة عشرة من أحياء روما الأربعة عشر، ومخربه ثلاثة منها تخريباً تاماً. ويكاد يجمع المؤرخون على ان نيرون هو الذي بدأ الحرق. ولأجل تحويل كره الشعب أشار عليه مستشاروه بإلصاق تهمة حرق روما بالمسيحيين فأخذ في اضطهادهم بعد ان أدانتهم المحاكم بإشاعة الفوضى ومحاولة قلب نظام الحكم))[2] فأخذ نيرون يُعذب المسيحيين، وتفنن هو وأتباعه في تعذيبهم حتى وضع بعضهم في جلود الحيوانات وطرحههم للكلاب لتنهشهم، وصلب البعض وألبس البعض الآخر ثياباً مطلية بالقار فضلاً عن ذلك جعلوا منهم مشاعل يستضاء بها، فكان نيرون نفسه يسير في ضوء تلك المشاعل الإنسانية،[3] ثم تلاه بعد سنين تمرد الجالية اليهودية في فلسطين سنة 66م ضد السلطة الرومانية، وكان الرومان قد أعفوهم من الخدمة العسكرية، وعبادة الإمبراطور ولكنهم سئموا من دفع الجزية للرومان ففي سنة 66م استثنى حاكم فلسطين الروماني اليهود من الجنسية الرومانية، وحدث ان هجم الإغريق في قيصرية على اليهود فيها واعملوا ذبحاً فيهم، ولما سار القائد الروماني في سوريا لإخماد التمرد قاومه اليهود فأرسل نيرون قائده فيسبيثيان مع ما يزيد على 150 ألف جندي لقمع الثورة، وتمكن من القضاء على المتمردين لولا

---

[1] د. لاسي اوليري، علوم اليونان، ص54؛ وينظر، ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، ص51.

[2] ينظر، د. سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1988م، ص160.

[3] عن تعذيب نيرون للمسيحيين، ينظر، محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص59 ؛ جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ص91 ؛ جان كمبي، تاريخ الكنيسة، ص58.

وصول الأخبار بوفاة نيرون فتوقف بانتظار أوامر الاستمرار بالقتال من الإمبراطور الجديد ولما غادر إلى الإسكندرية ترك القيادة إلى ولده تيتوس الذي قضى على الثورة حيث حاصر القدس لمدة سبعة أشهر ودخلها سنة 70م[1]. وتروي الأخبار التاريخية كيف كان حال المدينة تحت الحصار حيث نفذ الطعام في المدينة، وكان الناس يقتحمون المنازل ليفتشوا عن الطعام فإذا وجدوا فيها شيئاً يؤكل عذبوا أصحابها على أساس انهم أنكروا ان عندهم شيئاً، وان لم يجدوا فيها شيئاً عذبوهم على أساس انهم خبئوه بمنتهى الدقة والحرص.. وتبدد أمام اليهود كل أمل للنجاة، واشتدت المجاعة، وامتلأت الغرف بجثث النساء، والأولاد، وغصت طرقات المدينة بجثث الشيوخ، وأحصى المؤرخون عدد القتلى فقالوا ان مليون ومائة ألف هلكوا نتيجة المجاعة والسيف [2]، وتكررت اضطهادات الرومان للمسيحيين فكانت على أشدها في زمن دوميتيان سنة 95م، واضطهاد بيثينيه في زمن تراجان في 112م بسبب خلو المعابد الوثنية من الناس، وإهمالها فأرجعوا سبب ذلك إلى المسيحيين فقتلوهم، وعذبوهم لكي يعودوا إلى وثنيتهم، ومعابدهم[3].

وخلال هذه الحقبة قتل الكثير من الحواريين، والتلاميذ، والمسيحيين، فقتل بطرس، ويعقوب، وبولس، ((واستمرت هذه الاضطهادات في عصر الإمبراطور ماركوس اوريليوس (161-180م) حيث أصدر أمراً بشرعية السيطرة على كل أملاك المسيحيين فأصبحت أملاكهم مشاعة وتعطى لمن يقتل صاحبها المسيحي، وكان المسيحي من مواطني روما يعاقب بقطع الرأس أما الأجانب فكانوا يرمون إلى الوحوش الضارية، وكانت جثث القتلى المسيحيين تحرق ويرمى رمادها في نهر الرون))[4] ويسمي النصارى الحقبة الممتدة من سنه (249-285م) بعهد الاضطهادات الكبرى، ومن سنة (303-312م) بعهد الاضطهادات العظيم[5]. إلى ان

---

[1] ينظر سامي سعيد الأحمد، تاريخ الرومان، ص173؛ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2141.

[2] ينظر، يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، ص121 وما بعدها .

[3] جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ص92.

[4] سعدون الساموك ورشدي عليان، تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص95.

[5] ينظر، أسد رستم، كنيسة الله العظمى انطاكيا، ص100 وما بعدها .

جاء قسطنطين وأصدر سنة 313م مرسوم ميلانو الذي عد المسيحية إحدى الأديان المسموح بممارستها[1].

وكان القياصرة في كل تلك الاضطهادات يتفننون في التنكيل بالمسيحيين، وبالتمثيل بهم، فصلب البعض وطليت بالزفت أجساد آخرين، وأعمل فيها النيران فكانت تتقد كأنها مشاعل لتضيء في الليل، ونشر آخرون بالمنشار، وشوي قسم كبير بالمقالي وأدخلت تحت أظافر كثيرين قصب حاد ثم صبٌ عليه رصاص وذوب فضلاً عن ذلك أهانتهم والحطّ من كرامتهم، مثل مصادرة الأموال، وإثقال الجزية عليهم، وقد بلغ سوء الأخلاق، والانحطاط عند بعض القياصرة ان انتزعوا من راقت لهم من النساء من أزواجهن والبنات من آبائهن وقد آثر معظمهن الموت على الفضيحة فكن يطرحن أنفسهن من أعالي السطوح إلى الأسفل أو يرمين بأنفسهن في البحر وغير ذلك[2].

إلا إن هذه الاضطهادات كانت من الجانب الآخر في صالح الدين الجديد حيث أنها ساعدت على نشر المسيحية في المناطق المختلفة عندما تركوا أورشليم، وانتقالهم إلى مدن ثانية، وخصوصاً انطاكيا ثم منها إلى باقي المدن، وعند اضطهادهم في أي مدينة، كانوا ينتقلون إلى مدن أخرى هرباً من هذا الاضطهاد ليقوموا عندها بنشر هذه العقيدة لذلك يقول د. لاسي اوليري[3] ((ولم يكن الاضطهاد هو السبب الوحيد في انتشار المسيحية ولكنه كان سبباً من أسباب انتشارها، ولعله كان من أهم الأسباب)) ويضيف أيضاً: ((لقد كان الاضطهاد يقع بين الحين والحين ولا يدوم الا فترة وجيزة، وكانت تثيره عادة دوافع لا تتصل بالدين ولكن كان هناك دائماً احتمال وقوع الاضطهاد، وهذا ولاشك ما حدا ببعض المسيحيين إلى النزوح خارج نطاق الإمبراطورية الرومانية أو على الأقل الانتقال إلى ولاية كان الاضطهاد فيها نادراً نسبياً. ان الكنيسة الإنجليزية ترجع

---

[1] ينظر، منصور المخلصي، الكنيسة عبر التاريخ، كلية الفلسفة واللاهوت، المركز الثقافي، 1997م، ص55

[2] إسحاق ساكا، كنيستي السريانية، ص44.

[3] د. لاسي اوليري، علوم اليونان، ص54.

في نشأتها الأولى فيما يبدو إلى اللاجئين الهاربين من الاضطهاد في بلاد الغال وليست الكنيسة الوحيدة المدينة بنشأتها الأولى للاجئين))[1].

ولا يقتصر الأمر في أهميتة على هذا النحو فقط ذلك ان الأناجيل الأربعة، وأعمال الرسل، ورسائل التلاميذ جميعها قد كتبت في ضل هذا الجو المشحون بالاضطهاد والعذاب، فكان من الطبيعي ان يتحدث المسيحيون عن الخلاص وعن مخلص يخلصهم من الاضطهاد، وان يُمنّوا النفس بعودة الإله لمعاقبة الظالمين الذين يضطهدون اتباعه، ويطرحهم في الهاوية، ولكي تكتمل صورة المخلص كان يجب ان يكون من نوع الهي ينزله الإله الذي هو مماثل له، لأنه الوحيد الذي يستطيع ان يخلص شعبه من مآسيهم، ونتيجة لتلك الضغوط النفسية دونت هذه العقيدة في الأناجيل وأعمال الرسل ورسائل التلاميذ.

---

[1] م.ن، ص56

المبحث الثالث

ظهور الكنيسة ومحاربتها للأفكار المخالفة لها

1- نشأة الكنيسة المسيحية

يعرف المسيحيون الكنيسة بأنها ((لفظة سريانية معناها: جماعة فالكنيسة أذن بحسب تعريفها الحقيقي والعام هي جماعة المؤمنين بالمسيح))[1] ويرى الأب متّى المسكين[2] ((ان الكنيسة شخصية حية، جامعة قوامها جسد المسيح السري وأعضاؤها المؤمنون بالروح والحق)) بينما يضيف المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني[3] إلى هذه التعاريف قوله: ((ان الكنيسة هي جماعة البشر الذين يعتنقون الديانة التي أوصى بها المسيح بكاملها ويمارسونها ضمن مجتمع المسيح تحت سلطة بطرس))[4].

وينسب تأسيس هذه الكنيسة إلى السيد المسيح عليه السلام، الذي أمد الكنيسة بما يوفر لها البقاء فأرسل إليهم الروح القدس، وذلك بعد عشرة أيام من صعوده إلى السماء[5]، حين حل على التلاميذ في اليوم الخمسين من صلب السيد المسيح والمسمى يوم العنصرة*، والذي ابتدأت به حياة الكنيسة[6]، ثم تسلم الرسل سلطة إدارة الكنيسة من المسيح[7]، وسلم الرسل السلطة إلى تلاميذهم من بعدهم وجعلوا منهم خلفاء على هذه الكنائس، ويورد المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني[8] ((ان

---

(1) الياس الجميل، اللاهوت النظري، (ط2)، بدون دار ولا تاريخ طبع، ص214.

(2) الكنيسة الخالدة، مطبعة دير القديس أنبا مقار،(ط3)، وادي النطرون، القاهرة، 1960م ص11.

(3) ص28.

(4) ينظر الياس الجميل، اللاهوت النظري، ص226.

(5) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2270.

* العنصرة: يوم العنصرة أو عيد العنصرة ويسمى أيضاً عيد الأسابيع أو عيد الحصاد، وهو أحد الأعياد السنوية الثلاثة الكبرى عند اليهود، قصد به ان يكون احتفال شكر على حصاد المحاصيل، ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2269.

(6) جان كمبي، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص23.

(7) ينظر الأب زكريا الشوملي، من ظلمة الشك إلى نور اليقين، ص66.

(8) ص 75.

الأساقفه قد تقلدوا خدمة الجماعة المسيحية يمارسونها بمساعدة الكهنة الشماسة، انهم يرأسون بمقام الله القطيع الذين يرعون كمعلمي العقيدة، وكهنة العبادة المقدسة، وولاة التدبير وكما تدوم المهمة التي أوكلها الرب بنوع خاص إلى بطرس هامة الرسل، والتي يجب ان تنتقل إلى خلفائه كذلك تدوم المهمة التي حوّل بها الرسل في ان يكونوا رعاة الكنيسة)).

ويرى المسيحيون ان المسيح يعصم الكنيسة من الوقوع في الغلط[1] ويمنح الرسل سلطة مغفرة الخطايا ويعلل لودويغ أوث[2] هذا الأمر فيقول: ((لم يقلد المسيح رسله سلطه مغفرة الخطايا هذه امتيازاً شخصياً بل سلمه إلى الكنيسة وظيفة دائمة يجب ان تنتقل من سلف إلى خلف على غرار التبشير والتعميد والتقديس لأن وجود الخطيئة التي هي سبب إنشاء هذه السلطة وانتقالها يجعل ضرورياً دوامها كل الأزمنة)). ويوجز خليل اده اليسوعي[3] المفهوم المسيحي العام حول الكنيسة بالقول: ((ان الكنيسة مملكه المسيح على الأرض، مملكة منظمة نظاماً يليق بمؤسسها الإلهي ويديرها المسيح بروحه القدوس ونوابه على الأرض، وهم الرسل، وخلفاؤهم الأساقفة تحت رئاسة بطرس وخلفائه))، فهل يوجد تعارض بين عمل كل واحد من هؤلاء داخل الكنيسة فيجيب على هذا التساؤل الآب رتشرد يوسف[4] بالقول: ((ان المسيح هو رأس الكنيسة لانه الرئيس الوحيد الذي يسوس الكنيسة بحكمه المنظور وغير المنظور عليها، أما غير المنظور فهو حكمه الذي به يرشد ويدبر الكنيسة إرشاداً شخصياً وتدبيراً مباشراً، وهو ما يفعله المسيح من عرشه على يمين الآب، بنعمته، وعنايته، وإلهاماته غير المنظورة، أما حكمه المنظور فهو الذي يقوم به بواسطة نائبه خليفة بطرس وبواسطة الأساقفة خلفاء الرسل مع ذلك ليس لجسد الكنيسة إلا رأس واحد هو يسوع المسيح، والبابا ليس برأس ثانٍ بل هو رأس الكنيسة من حيث يمثل المسيح تمثيلاً منظوراً أما قوة البابا وأوامره وأعماله الرسمية فهي قوة المسيح وأوامر المسيح وأعماله المسيح)). وبهذه السلطات المطلقة التي منحت للأساقفة ثم للبابا أصبح

---

(1) شارل ده فوكو، كتابات روحية، ص53.

(2) مختصر في علم اللاهوت العقائدي، نقله إلى العربية، الأب جرجس المارديني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1965م، ص128.

(3) الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1935م، ص268.

(4) من كلام الحياة، بدون دار طبع، بيروت، لبنان، 1964، ص74.

من السهل جدا تبني الفكر اللاهوتي التثليثي ورفض التوحيد القائم على فهم المسيح عليه السلام وتلاميذه من بعده.

ان بدايات تشكيل الكنيسة وتنظيماتها الإدارية لا يعود إلى زمن المسيح عليه السلام ولا إلى تلاميذه من بعده، وذلك لأنهم كانوا متمسكين في العبادة بالهيكل واستمر التلاميذ على منوال سيدهم حتى بعد رفعه عليه السلام، ويرى البروتستانتيون والبرهانيون ان المسيح لم يؤسس الكنيسة لتكون جماعة حقيقية أي مؤلفة من رؤساء و مرؤوسين يسوسونها ويديرون شؤونها، ولكن لتكون مؤلفة من جميع الناس المتحدين معه بالإيمان خلواً من كل رئاسة وسلطة تسوسهم وتعلمهم حقائق الإيمان[1]، وهناك من يرى ان المسيح لم يؤسس الكنيسة بنفسه رأساً وحقيقة بل ان ما فعله كان مجرد مثال خيالي لهذه الكنيسة أنشأه في ذهنه ولم يحققه بالعمل[2].

وعلى مدى القرنين الأول والثاني الميلادي كانت هناك تنظيمات بسيطة في الكنيسة لان المسيحيين كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت كان يتصف بكبر السن وباسم مستعار من الإغريقية، وهو (presbys) أي الرجل الشيخ ((The old Man))[3] ثم ان هذه الرئاسات المتعددة أدت إلى تنوع في الآراء داخل هذه الكنائس، وجعلتهم شيعاً، ومللاً متنوعة، وعديدة متحارية فيما بينها، ومتباغضة، وأصبحت الكنائس تسمى كل واحدة باسم موجدها الذي يعبد الله كما تصوره له طاقات عقله[4]. ويوضح عوض سمعان[5] هذا الأمر فيقول: ((ان رجال الدين لم يحافظوا بكل أسف على وحدة الكنيسة أو على وحدة روابط المحبة بين أفرادها، لأنهم منذ تولوا رئاسة اجتماعات العبادة أخذ كل فريق منهم في تشكيلها حسب ما أستحسنه من نظم خاصة، كما أخذ في وضع عقائد دينية تتفق مع ما ذهب إليه من تفسير لبعض الآيات الكتابية أو ما عرفه من الآراء الفلسفية واليهودية، وبذلك تكونت طوائف مختلفة لكل منها رئيسها الخاص)).

---

[1] ينظر، الياس الجميل، اللاهوت النظري، ص226.

[2] م. ن، ص217.

[3] أحمد شلبي، المسيحية، ص88.

[4] يوحنا الفم الذهبي، ان الله لا يمكن إدراكه، مقدمة الكتاب، ص10.

[5] الكهنوت الطقسي، هذا الكتاب حمل من موقع (كلمة الحياة).

ويعزى كثرة هذه الكنائس، واستقلالها إلى ضعف كنيسة أورشليم بعد سقوط القدس فأخذت هذه الكنائس تمارس سلطاتها مستقلة عن الكنيسة الأم وعن بعضها البعض، ((بالمقابل أخذ كرسي روما يزداد قوة على قوة في كل عقد من العقود التالية رغم تجاوزه حقوقه في فترة، ونكوصه في فترة أخرى، وكان ثراؤه، وكثرة صداقاته العامة قد رفع من مكانته، وكان العالم المسيحي بأجمعه يستشيره في كل ما يصادفه من المشاكل الخطيرة، وكان يقدم من تلقاء نفسه على تحريم البدع، والضلالات ومقاومتها، وعلى تحديد ما يجب الاعتراف به من الأسفار المقدسة))[1]، إلا ان ازدياد قوة كرسي روما لم يكن يأخذ طابع الهيمنة فقد جوبه بالكثير من المعارضة من الكنائس الشرقية.

إن ابتداء الخلاف بين هاتين الكنيستين (روما – الشرقية) ابتدأ تحديداً حول تحديد اليوم الذي يحتفل به بذكرى صلب المسيح فكانت كنيسة روما ترى ان الاحتفال بيوم الصلب يبدأ في 14 نيسان العبري والقيامة في يوم 16 منه، أما الكنائس الشرقية فكانت ترى في المحافظة على الأيام عينها في الأسبوع التي تمت فيه هذه الأحداث لا في موعدها من الشهر العبري، بمعنى أنها كانت ترى ان يكون الاحتفال بيوم الصلب في يوم الجمعة، والقيامة يوم الأحد، وكثيراً ما جاء يوم 14 و 16 نيسان العبري بخلاف هذين اليومين، وكان أساقفة روما وأورشليم وأنطاكيا يسيرون بحسب هذه القاعدة[2]، ثم ان هذه الخلافات جَرّتّ الكنائس إلى التعصب، والانفراد بالرأي واضطهاد الآخرين، ومن صورها ان الكنيسة الكاثوليكية كانت تبشر بنظرية مؤداها ان الخلاص لا سبيل إليه إلا عن طريق الكنيسة الكاثوليكية وحدها دون غيرها، وروجوا لهذا الأمر بان الذين لا يستسلمون للكنيسة، ويعتقدون بصحة نظريتها تحيق به اللعنة الأبدية لا محالة[3].

ان هذه الاختلافات العقائدية والفكرية، وتعدد مناهج التفكير في الكنائس تثبت عدم صحة إدعاء النصارى في قيادة المسيح عليه السلام لهذه الكنائس، فلا يعقل ان يقود السيد المسيح هذه الكنائس إلى الاختلاف، والتناحر، وتكفير بعضها البعض، والصحيح أن إصابة هذه الكنائس بهذه الانتكاسات يعود إلى ابتعادها عن منهجه عليه السلام.

---

[1] ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج11-12)، ص318.

[2] ينظر، ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، ص146.

[3] ينظر، الدكتور توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة مصر، (ط2)، 1958م، ص80.

2- الفرق والأفكار المخالفة للكنيسة

يتفق غالبية علماء المسيحية على ان الكنيسة الأولى لم يكن لها صياغات لاهوتية، وان هذه الصياغات قد جاءت في مراحل متأخرة، ويعزون هذا إلى أسباب عدة منها: اشتهار المسيحية السريع في أوساط متنوعة ومتعددة، وتغيير الظروف، وظهور شخصيات بارزة في المسيحية أخذت على عاتقها نشر هذه الأفكار الفلسفية[1] لقد قدر للمسيحية اليونانية ((مسيحية بولس)) بنوع خاص ان يطغى عليها سيل من البدع الدينية نتيجة لتأثير طابع العقل اليوناني الميتافيزيقي المولع بالنقاش والجدل، وإذا أضفنا إلى ذلك ((إدخال بولس الرسول الفلسفة اليونانية وقواعد المنطق في ثنيات الشريعة اليهودية قد أدى إلى حصول اجتهادات أخرى، وظهور رسل ومجتهدين آخرين، فكان التلاميذ تقليداً لأستاذهم بولس وجدوا في أنفسهم القدرة على التأويل، والتفسير والتبشير، و وضع الرسائل، والمواعظ لذلك كثرت الرسائل والأناجيل عن سيرة السيد المسيح عليه السلام وتعاليمه، وظهرت فرق، وطوائف، ومبتدعون، وكل واحدة منها تخطيء وتكفر الأخرى وتعد تعاليمها هرطقة، وظهرت المخاصمات، واشتدت المنازعات، كل منها يعتقد في ذات المسيح، ولاهوته، وناسوته، وأزليته، وانبثاقه مالا يعتقد الآخرون، ومن بين هذه المعتقدات المتضارية انبثق علم الكلام المسيحي أو «علم اللاهوت»))[2] ومن بين هذه الأفكار التي عدتها الكنيسة هرطقات، الأفكار التي تحتوي على طابع التوحيد مع الكثيرة الكثيرة من الأفكار الوثنية، والفلسفية المنتشرة في تلك الحقبة ومنها:

أ- الابيونيون (Ebion)

فرقة يهودية كانت تقر بجميع شرائع موسى عليه السلام وتعدّ عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم، و تنكر ألوهية المسيح، وتعتبره مجرد بشر رسول، وكان لهذه الفرقة إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية بنت عقائدها من خلاله، انقرضت هذه الفرقة في القرن الرابع الميلادي[3].

---

[1] ينظر، الأب لويس ساكو، الآباء الأوائل، آباء الكنيسة الرسوليون والمدافعون، مطبعة الطيف، بغداد، 1999م، ص5.

[2] فاروق الدملوجي، حياة السيد المسيح، ص215.

[3] ينظر، د. رشدي عليان، د. سعدون الساموك، تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص133؛ جورج سابا، على عتبة الكتاب المقدس، ص244.

ب- بولس السيمساطي (paul de somosate)

كان أسقفاً لانطاكيا سنة 260م، انكر ألوهية السيد المسيح وقال انه عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر وانه إنسان لا ألوهية فيه، وكان يقول لا ادري ما الكلمة (أي الابن) ولا (روح القدس)، وقد عقد في انطاكيا في سنة 264-269 م ثلاثة مجامع للنظر في شأنه، وانتهى الأمر بحرمانه، وطرده، وقد بقي لمذهبه اتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي[1].

جـ- الدوسيتية (Docetism)

كانت تعد واحدة من الهرطقات المبكرة الظهور في المسيحية، تأتي تسميتها من اللفظة اليونانية (ΔoKEo Dokeo) أي يظهر، كانت ترى بأن المسيح لم يكن بشراً حقيقياً ولكنه بدا كذلك، وقد جاء هذا المفهوم من الفكر الفلسفي الثنائي الذي ينفر من اختلاط الروحي بالمادي، والإلهي بالإنساني، ولهذا فانهم يرون ان المسيح ظهر لتلاميذه كأن له عظاماً ولحماً، وكأنه يجوع ويعطش، يشعر بالألم والحزن، وهو لم يكن كذلك، لذلك نزهوه عن التجسد الحقيقي، ورفضوا مسألة صلبه، ويرى بعضهم ان الذي صلب بدلاً عن المسيح هو سمعان القيرواني[2].

د- المارسيونية (marcuionism)

يعد مارسيون (مارقيون) من أكثر الهراطقة الذين اتعبوا الكنيسة (البولسية) في القرن الميلادي الثاني ولد في مدينة سينوب (sinope) التي تقع على الشاطئ الجنوبي للبحر الأسود بآسيا الصغرى سنة(85م) كان أبوه أسقفاً واسع الثراء، أخذ يتشكك في قيمة العهد القديم، وعلى الأخص في الطريقة المجازية التي كانوا يفسرونه بها، وكان يرى أن قصص العهد القديم لم تبق على معناها التأريخي بل أعطوها معنى روحياً لا يمكن ان يفهم إلا في ضوء العهد الجديد، بعكس ما كان ينادي به مارسيون من ان يفسره تفسيراً حرفياً تأريخياً، وعند دراسته للعهد القديم هاله ما رأى فأستنتج ان العهد القديم ما هو إلا تاريخ الأمة اليهودية، ولا

---

[1] ينظر، لويس غادرية، جورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، (ج2)، ص283-284 ؛ سعدون الساموك، د. رشدي عليان، تاريخ الديانتين، ص134.

[2] ينظر، جان لوريمر، تاريخ الكنيسة، ص102-103 ؛ لويس ساكو، الآباء الأوائل، ص8.

يمكن ان يرقى إلى مستوى العهد الجديد. وتوصل إلى جملة أمور أهمها: ان اله العهد القديم كان على الأقل ضعيفاً وليس في المستوى الإلهي المطلوب، إذ لم يكن شديداً، خلق البشر ودفعهم دفعاً إلى الخطيئة ثم عاقبهم عليها، وانه متحيز يتجاوز عن خطايا وسقطات مريديه ولكنه يعاقب الأبرياء دون سبب ما.

وبسبب هذه الأفكار حرمته الكنيسة إلا ان معارضيه ظلوا يحترمونه بل ان هناك من كان يعده من المصلحين، واستطاع أن يؤسس كنيسة ضمت في عضويتها أناساً كثيرين في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، كان طابعها التقشف فلا خمر، ولا لحم، ولا معاشرة نساء، ولا زواج، لهذا كانت كنيسته تنمو عن طريق من يدخلونها من الخارج وليس عن طريق تكاثر أعضائها طبيعياً، توفي مارسيون سنة (160م) إلا أن كنيسته وأفكارها بقيت إلى القرن الخامس الميلادي[1].

هـ- المونتانية (Montanism)

يعود اصل هذه الفرقة إلى شخص يدعى مونتانس (Montannus)، أعلن عند معموديته أنه نال تدبيراً خاصاً من الروح القدس وتنبأ عن عودة المسيح السريعة إلى الأرض، ورحب كثيرون بهذا الإعلان لأن انتظار المسيح كان قد ضعف منذ نهاية القرن الميلادي الأول، كما كان هناك اعتقاد عام بان نهاية العالم قد اقتربت، وأعلن سنة (156م) ان الروح القدس يتكلم إليه وحده مباشرة، وكان ينطق بعبارات مثل ((هوذا الإنسان وكأنه قيثارة وأنا (الله) العب على أوتارها ... الإنسان ينام وأنا استيقظ هوذا الرب، لاملاك. . لا رسول. . إنما أنا آتي بنفسي)). وعد مونتانوس نفسه القناة الوحيدة لاعلان الله، وربما أعطى الله بعض الناس مواهب خاصة، ولكن سلطان النبوة المطلق أعطي لشخص واحد هو (مونتانوس) الذي انضمت إليه بعد فترة وجيزه نبيتان هما بريسكا و ماكسيميلا اللتان قالتا بعودة المسيح الثاني، وأمرتا المسيحيين بالاستعداد لهذه العودة بأن يزيدوا من أوقات الصيام ويمتنعوا عن شرب الخمر والأطعمة الشهية، حتى ان أسقفا من سوريا قاد كل أعضاء كنيسته ليقابلوا المسيح في الصحراء[2].

---

[1] ينظر جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ص114-115؛ لويس ساكو، الآباء الأوائل، ص9.

[2] ينظر، جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ص120-121 ؛ لويس ساكو، الآباء الأوائل، ص9؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج11)، ص210.

3- آباء الكنيسة ودورهم في الدفاع عن اللاهوت المسيحي

ظهر في الكنيسة ومنذ القرون الأولى مفكرون استطاعوا ان يقودوا الكنيسة بما كانوا يحملونه من أفكار وعقائد، وحفظت الكنيسة لأولئك الآباء هذا الدور الذي لعبوه في صياغة العقائد المسيحية من جهة وفي دفاعهم عن هذه العقائد من جهة أخرى فسمتهم ((آباء الكنيسة))[1]، يقول جان كمبي[2] ((نحن لا نهتم بهؤلاء الأشخاص لمجرد أنهم يوفرون لنا معلومات تأريخية فحسب، بل لانهم حتى اليوم يلعبون أيضاً دوراً حاسماً في إيماننا ووجودنا المسيحي)).

ولم يخرج هؤلاء الآباء عن الفهم العام للاهوت المسيحي المتأثر بالفكر الهيليني والذي اختطه لهم بولس وأساتذته الهيلينيون، وإذا أضفنا إلى ذلك ان الأدب اللاتيني وعلوم اللغة بوجه عام كانت مادة مهمة يستقي منها آباء الكنيسة والفلاسفة في العصر المسيحي الأول أفكارهم لأنها كانت جزءً من ثقافة ذلك العصر[3]، لذلك نرى سهولة انتشار المسيحية في الأمم الأوربية الهيلينية، والتي تشبعت بأفكار الفلسفة اليونانية، والرومانية، والأساطير الإلهية بينما واجهت صعوبات كثيرة في آسيا التي كانت لديها ديانات توحيدية، وديانات وثنية كالزرادشتية، والبرهمية، والبوذية[4]. ومن أهم هؤلاء الآباء وأكثرهم تأثيراً في المسيحية.

أ- جاستن مارتر (100-165م) (Justin Martyr)

عاش جاستن مارتر في النصف الأول من القرن الثاني الميلادي، فقد ولد من والدين غير مسيحيين في بلدة شكيم (نابلس) في السامرة، ثم إنتقل في صغره إلى افسس وعاش فيها ودرس الفلسفة اليونانية دراسة عميقة متأثراً بفلسفة أفلاطون، دخل المسيحية متأثراً بآرائها الفلسفية العقدية، زار روما ومات فيها سنة(65م)، عدَّ جاتسن مارتر نفسه فيلسوفاً مسيحياً فأخذ يدافع عن المسيحية،

---

[1] يقسم الأب د. لويس ساكو آباء الكنيسة إلى قسمين 1-الآباء الرسوليون (90-150)، 2- الآباء المدافعون الذين دافعوا عن المسيحية (150-250م)، ينظر الكنيسة الأولى مسيرة إيمان بدايات لاهوت، شركة التايمس للطباعة والنشر، بغداد، 1990م، ص26-27.

[2] دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص65.

[3] نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، أوغسطين، أنسليم، توما الاكويني، ترجمة وتقديم وتعليق د. حسن حنفي حسنين، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (ط2)، 1978، ص13.

[4] ينظر، فاروق الدملوجي، حياة السيد المسيح، ص214.

وبين ان المسيحية قريبة من الفلسفة اليونانية، وكان يرى ان كل فلسفة، وكل ديانة يجب ان تبرهن على نفسها برهنة عقلية، وان اعظم ما ينطبق عليها البرهان العقلي انطباقاً كاملاً هي المسيحية، وهكذا فتح الباب واسعاً بوضعه منهجاً عقلياً لكل الذين جاءوا من بعده من المفكرين المسيحيين كي يشرحوا ديانتهم في عبارات فلسفية ومنطقية.

ان أهم دفاع استخدمه جاتسن مارتر عن المسيحية كان في استخدامه أحد عناصر الفلسفة الأفلاطونية، والذي ترك أثره على كل الأجيال التالية، وهذا العنصر أو الفكرة سميت بعقيدة المسيح ككلمة (Logos Christology) أو ((لاهوت الكلمة)) (Logos Theology) وكان يرى ان المسيح هو الفيلسوف الكامل لأن الكلمة أو الإلهام الإلهي حل فيه بكل كماله وسموه، فالكلمة من أجلنا صار جسداً وعقلاً وروحاً، إلا انه طبق هذا المفهوم في اتجاهات متعددة دون تمييز: فهو القوة التي عمل بها اله العبرانيين اله السماء والأرض، وهو الواسطة الإلهية في تاريخ إعلان الله عن نفسه، وهو العقل العام الذي قامت عليه الفلسفة الرواقية والأفلاطونية، إنه الحق الذي يعلن نفسه في قلب كل إنسان كحقيقة مطلقة ولكنه في الأساس هو يسوع المسيح الناصري[1].

ب- ايريانوس (140-208م).

ولد بمدينة ازمير بتركيا، تعرف على بوليكربوس أسقف المدينة الذي تتلمذ على يديه، وبلكيربوس هذا هو تلميذ يوحنا الرسول كاتب الإنجيل الرابع، أصبح ايريانوس كاهناً في مدينة ليون الفرنسية في عهد الإمبراطور الروماني مرقس اوريليوس الذي ملك من سنة (161–180م)، ثم أصبح أسقفاً لليون بعد موت الأسقف السابق، ويقال انه مات شهيداً عام 208م لم يصل من مؤلفاته العديدة سوى كتابين باللغة اليونانية هما: ضد البدع، وعرض التعليم الرسولي.

كان يرى ان الكنيسة تسلمت من الرسل وتلاميذه الإيمان بآله واحد، الأب القادر على كل شيء الذي صنع السماء، والأرض، والبحار وكل ما فيها وبيسوع المسيح الواحد ابن الله المتجسد من اجل خلاصنا، وبالروح القدس الواحد الذي سبق ونطق بالأنبياء عن تدبير الحبيب يسوع المسيح، ومجيئه، ومولده من العذراء،

---

[1] ينظر، جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ص98–99؛

وعن الآمه وقيامته من بين الأموات، وصعوده بالجسد إلى السماوات ورجوعه أيضاً عندما ينزل من السماء بمجد الآب ليخلص كل شيء، ويبعث كل جسد بشري عندئذ أمام يسوع المسيح ربنا إلهنا ومخلصنا وملكنا كما شاء الآب غير المنظور، تجثو كل ركبه في السماء، والأرض، والجحيم ويعترف به كل لسان، إذ ذاك يدين الجميع بالعدل فيرحل إلى النار الأبدية الأرواح الشريرة، والملائكة المخالفين المجدفين أما الصالحون، والأبرار، والذين حفظوا وصاياه، وثبتوا في حجته، سواء في بدء حياتهم أم منذ ارتدادهم، فهؤلاء يعطيهم الحياة، ويمنحهم الخلود، ويوزع عليهم عدم الفساد، ويحيطهم بالمجد الأبدي[1].

جـ - اقليمس السكندري (150-215م)

ولد تيطس فلافيوس اقليمس من والدين وثنيين في أثينا التي نشأ وترعرع فيها، وذهب البعض إلى انه ولد بالإسكندرية فنسب إليها، وقيل انه لقب بالإسكندري تمييزاً له عن اقليمس الروماني*، تفرغ منذ حداثته لدراسة الفلسفة فتضلع في الفلسفتين الرواقية والأفلاطونية، وإذ لم يجد فيها ما تصبو إليه نفسه سعى بطلب الحقيقة فزار بلاد اليونان، وإيطاليا، وآسيا الصغرى، ومصر، وخالط المعلمين النصارى فأثر فيه فكر المدرسة اللاهوتية في الإسكندرية فاهتدى إلى النصرانية، واصبح فيما بعد مديراً لهذه المدرسة، توفي في الإسكندرية سنة (215م)، بقي من مؤلفاته ثلاثة كتب: تحريفات على اليونانيين، المربي، متنوعات.

يرى الباحثون ان هذا القديس يمتاز من بين آباء الكنيسة بتضلعه في الفلسفة اليونانية ومحبته لها، وكان يعدُ الفلسفة علماً إلهياً والفلاسفة أنبياء الوثنية، لذلك استخدم الفلسفة اليونانية في بلورة معطيات الإيمان المسيحي، وتعميقها، وعدّها

---

[1] ينظر، الأب الدكتور لويس ساكو، آباؤنا في الإيمان، مطبعة أوفسيت المشرق، بغداد، ص51-52؛ الأب منصور المخلّصي، الكنيسة عبر التاريخ، ص40-41 ؛ الأب الدكتور لويس ساكو، الكنيسة الأولى، ص98.

* اقليمس الروماني: وهو من أصل يهودي هيليني أغلب الظن من سوريا كان رابع أساقفة روما من سنة (92-101م) بعد بطرس وليوس واناكليتس، كان يحسن معرفة العهد القديم والفلسفة اليونانية، ويعد معاوناً لبولس، ورد ذكره في رسالة بولس إلى أهل فيلبي، عن حياته، ينظر ؛ سلسلة آباء الكنيسة، الآباء الرسوليون، عربية من اليونانية مطران حلب، الياس معوض، منشورات النور، 1970، ص17 وما بعدها.

العمود الفقري الذي عليه يرتكز جسم البشرية، وكان يسعى بكل جوارحه لإقامة منهج لاهوتي يكون أساسه ونقطة انطلاقه نظرية ((اللوغوس)) فيرى ان الكلمة: قطب الدائرة، وخالق العالم، وكاشف سر الله في ناموس العهد القديم، وفي فلسفة اليونان، وفي تجسده في ملء الزمان، وهو أحد الثالوث مع الآب، والروح، وبه نعرف الله، وأن الآب لا يحده اسم، ولا أسماء، وهو ليس جنساً، ولا نوعاً، ولا عدداً، ولا عرضاً، ولا موضوعاً في أعراض، ولا كلياً من الكليات، ولا ينبغي البحث فيه عن تركيب وكثرة إذ لا قيمة في الواحد، وان قلنا عنه انه لامتناه فليس معنى ذلك انه كمية لا تعبر بل انه مالا امتداد له، ولا شكل ولا اسم مطلقاً، والكلمة هو العقل الإلهي، معلم العالم، ومعطي الشرائع، وهو أيضاً مخلص البشر، ويجب علينا أن نعبد الكلمة ونكرمها لأننا واثقون أنها هي المخلص، ونعبد الآب بواسطتها، وكان يرى ان النفس الإنسانية مادية ولكنها لطيفة حتى لا يقال أنها لا جسمية، وهي فوق الماديات لما تمتاز به من مكر وإرادة يؤهلانها لإدراك الله ومحبته[1].

د- اوريجونس (185-253م)

وهو أشهر علماء الكنيسة في قرونها الثلاثة الأولى، ولد في بيت مسيحي في الإسكندرية، أخذ مبادئ العلوم عن والده ليونيذاس وعن اقليمس السكندري، ويعد من أخصب المفكرين وأكثرهم إنتاجاً ممن عرفهم التأريخ المسيحي، وهناك من أوصل مؤلفاته إلى ستة آلاف بينها المجلدات الضخمة[2]، وهو أول العاملين على إقامة صرح الفلسفة النصرانية مع تطبيقات على عقائد الإيمان المسيحي، لذلك يعد زعيم الاتجاه العقلي في المسيحية.

تأثر أوريجونس بمنهج فيلون السكندري، وبطروحات الغنوصيين، فجاءت بعض آرائه غامضة وملتبسة لذلك قامت بعد وفاته مناقشات حادة حول تعاليمه، من ذلك مفهوم الثالوث المسيحي يأخذ في كتاباته طابع المد والجزر، ويشوبه

---

[1] ينظر، الأب الدكتور لويس ساكو، آباؤنا في الإيمان، ص58 ؛ الأب الدكتور لويس ساكو، الكنيسة الأولى، ص 104؛ الشماس منسي القمص، تاريخ الكنيسة القبطية، (ط3)، بدون دار طبع، 1982 ص 43؛ أسد رستم، آباء الكنيسة، القرون الثلاثة الأول، منشورات النور، 1983م، ص119-120.

[2] ينظر، متوديوس زهيراتي قب، لوحات من تأريخ الكنيسة، (ج2)، بدون دار طبع، حلب، سوريه 1963م، ص22.

الغموض والارتباك، فيرى ان الله وحده في ذاته هو الله، وان الابن منبثق منه صورة صلاحه أزلي مساوٍ له في الجوهر، ولكنه أدنى منه مرتبة، وان الروح القدس هو أدنى من الابن، ويستنتج انهما الاثنان وسيطان بين الله الآب والخليقة، ويحاول ربط معطيات الإنجيل بنظرية اللوغوس (الكلمة) وذلك من خلال فكرة استنبطها، وهي الوجود السابق لنفس المسيح وراح يربط بين الكلمة الأزلي وجسد المسيح الفاني الذي أخذه من أمه البتول بفعل الروح القدس، والله عند أوريجونس روح محض لا يشبهه في ذلك مخلوق، ولو كان جسماً لكان متحيزاً، ولو كانت روحانيته من جنس روحانيتنا لكان ناقصاً، فهو أذن روح عاقل حر غير منظور اسطع من الشمس واكمل من عقلنا، وهو مستقل عن الزمان والمكان وكل حد مادي، وهو خالق من الأزل، ويرى اوريجونس قدم المادة كي لا يكون حدوث العالم حدوثاً وتغيراً في الله، أما مشيئة الله فيرى أنها قديمة بقدم الله ولكن مفعولاتها هي الحادثة، ولم يرَ ان قدم المادة يعني وجودها دون فعل الله (مادة غير مخلوقة) كما كان يرى فلاسفة اليونان، بل إنها مخلوقة من العدم دون ابتداء.

والنفس الإنسانية عند أوريجونس لا مادية ويتبين ذلك بموضوعات الفكر وكيفية إدراكها فلو لم تكن لنا نفس روحية فكيف كنا ندرك الأمور السامية، وكيف كنا نحكم عليها، ويرى ان المسيح المتجسد هو روح يسوع الموجودة منذ الأزل الوسيط بين الإله الكلمة واللامتناهي وبين جسد المسيح المحدود، ولما كانت طبيعة الله لا تتمازج مع جسم بدون أداة وسيطة وكانت مادة روح يسوع وسطاً بين الله والجسد، ولد الإله الإنسان، ويعود الفضل لأوريجونس في استنباط المصطلحات اللاهوتية المسيحية مثل (جوهر، شخص، إله، إنسان)[1].

---

[1] ينظر، أسد رستم، آباء الكنيسة، ص140 ؛ متوديوس زهيراتي قب، لوحات من تأريخ الكنيسة، ص23-24 ؛ الشماس منسي القمص، تاريخ الكنيسة القبطية، ص44-45 ؛ لويس ساكو، آباؤنا في الإيمان، ص63-64 ؛ د. محمد البهي، الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (ط4)، القاهرة، مصر، 1967م.

المبحث الرابع

تبني آباء الكنيسة للأسفار المقدسة

1- الأسفار المقدسة ومراحل تكوينها

يعد الكتاب المقدس الأساس الجوهري للتفكير المسيحي لذلك يعتقد الإنجيليون انه يحتوي على كلمة الله وطريق الخلاص[1]، إلا أن هذا الكتاب مر بفترات متعاقبة إلى ان أخذ صورته النهائية[2]، والحال نفسه يقال عن الأناجيل الأربعة، ويستشف من الأناجيل[3] ان السيد المسيح كان يبشر بالإنجيل في فلسطين[4]، وبعد رفعه أخذ تلاميذه ينقلون هذه البشارة شفوياً إلى الناس بينما أخذ البعض منهم تدوين بعض أقواله، وأمثاله ومعجزاته عليه السلام، وينقل الشيخ محمد أبو زهرة[5] عن اكهارن قوله: ((انه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز ان يقال إنها هي الإنجيل الأصلي، والغالب ان هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب))، وحين اقبل الإنجيليون الأربعة على تدوين أناجيلهم اختاروا بعضاً من النقول الشفوية أو المكتوبة وصاغوا البعض الآخر بطريقة موجزة[6]، ومع ذلك لم ينقلوا كلام السيد المسيح كله فلقد استشهد بولس في سفر الأعمال بكلام للسيد المسيح قال فيه ((مغبوط هو العطاء أكثر من

---

[1] ينظر، د. القس فريد عودة و إبراهيم مطر، التراث الإنجيلي، المطبعة الامريكانية، بيروت، 1955م، ص49.

[2] ينظر، القس بطرس حداد، البشرى السارة مقدمة الإنجيل الشريف، مطبعة الأديب البغدادية، ب.ت، ص11.

[3] ينظر متّى 4: 32-33 وأكد القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ سورة الحديد: من الآية27.

[4] عن تبشير السيد المسيح عليه السلام بإنجيله في فلسطين، ينظر، محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص55.

[5] م. ن، ص56.

[6] ينظر جورج سابا، على عتبة الكتاب المقدس، منشورات المكتبة البولسية، جونية، لبنان، 1987م، ص110.

الأخذ))[1] ويعلل ذلك التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[2] ((لم تسجل الأناجيل كلمات يسوع هذه والواضح ان كلام يسوع لم يكن يسجل كله)).

ثم استنسخت هذه الأناجيل والأسفار إلى نسخ عدة ((وهذه الطريقة كانت تعرض النص إلى أخطار عديدة لدى كل نسخ جديد فمن النساخ من قد يكون مهملاً، أو جاهلاً، أو راغباً في تحسين الأصل ليأتي بعمل أصلح، ومنهم من كان من وقت إلى آخر يعمل على إعادة النص إلى أصله الأول فيقع في أغلاط أخرى بدافع الجراءة الخالية من الفطنة، أو سبب عدم تفهمه المعنى الأصيل، وعليه فكلما طال الزمن على نص قديم جداً قل حظنا بالحصول عليه في الأصل الذي وضع فيه))[3] لذلك يعترف النصارى بأنهم لا يملكون نصاً واحداً من الكتاب المقدس بخط صاحبه الأصلي، وان كل الذي يملكونه عبارة عن نسخ مخطوطة للعهد الجديد[4].

إلا أن هذه النسخ تزخر بالكثير من الاختلافات فيما بينها، ففي أواخر القرن الثاني بدأ المسيحيون يقلقون من أمر الاختلافات الظاهرة بين المخطوطات فقاموا في الإسكندرية بتحقيق حاولوا من خلاله ان يصلوا إلى نص واحد يغلب على ظنهم انه أقربها إلى ما كانوا يعتقدون انه النص الأصلي، وانتشر هذا التحقيق الإسكندري في الإمبراطورية الرومانية بأجمعها، وفي القرن الخامس قاموا في بيزنطة بتحقيق جديد عمَّ جميع الكنائس الناطقة باليونانية، وقاموا أيضاً بتوحيد النص المترجم[5]، ولقد قدر علماء المسيحية ان هذا النسخ الحاصل للكتب المقدسة المسيحية، وأصولها لا يتجاوز ثلاثة إلى أربعة قرون[6]، ان تأثير هذه الحقبة الطويلة التي دونت فيها أسفار العهد يبدوا واضحاً حين نعلم ان عدد القراءات المختلفة للعهد الجديد يبلغ (150.000) (مائة وخمسين ألف) قراءة[7]، ويحاول جوش ماكدويل[1] التقليل

---

[1] سفر الأعمال 20: 35.

[2] ص2348، ويوضح إنجيل يوحنا ذلك في 21: 25.

[3] دانيال رويسن، ماهو الكتاب المقدس، تعريب مخايل الرجي، دار المكشوف، (ط1)، بيروت، لبنان، 1959م، ص25-26.

[4] م. ن، ص16.

[5] سقط الدومنيكي، دليل إلى قراءة الأناجيل الأربعة، ص13-14.

[6] دانيال رويسن، ما هو الكتاب المقدس، ص25.

[7] جوش ماكدويل، كتاب وقرار، بحث دراسي ومنطقي في صحة الكتاب المقدس، ترجمة الدكتور القس منيس عبد النور، ب. ت، ص40.

من أهمية هذه الأرقام فيقول: ((ولكن الحقيقة ان 95٪ من هذه القراءات المختلفة تعوزها الأدلة وضعيفة ولا تستحق القبول، وهذا يترك لنا (7500) قراءة مختلفة، 95٪ منها لا تؤثر على المعنى لأنها إملائية في التهجئة أو نحوية أو في ترتيب الكلمات، وهذا يترك لنا نحو 400 قراءة مختلفة قد تؤثر على المعنى تأثيراً طفيفاً تتضمن إضافة كلمة أو كلمات، أو حذفها، والقليل جداً منها يمكن ان يعد هاماً)).

لقد اختارت الكنيسة أسفار العهد الجديد على ما فيها من علات وعدتها اسفاراً مقدسة وذلك في مجمع نيقية سنة 325م، إلا أن هناك بعض الأسفار لم تعط القانونية الكاملة في هذا المجمع وهي رسائل بطرس ويوحنا، وبقيت أسفاراً غير معترف بصحتها إلى سنة 364م حيث منحت القانونية الشرعية وعدت كتباً مقدسة[2]، ثم تم تقسيم الأسفار إلى إصحاحات في القرن الثالث عشر الميلادي على يد الكاردنيال (هيوغرة)، ثم رقمت فقرات كل إصحاح عام (1551م)[3].

واستمرت الكنيسة على مدار السنين في رفض الكتب التي تخالف عقيدة الصلب وألوهية السيد المسيح، وكان الصراع الدائر بين اليهودية المسيحية، واليهودية البولسية قد أثر تأثيراً كبيراً في تكوين هذه الأسفار، حيث يقول موريس بوكاي[4]: ((إن خروج النصوص التي نملكها اليوم إلى النور قد بدأ عام (70م) بعد تعديلات في المصادر وهي الفترة التي كانت الجماعتان المتنافستان (اليهودية المسيحية ومسيحية بولس) في أوج صراعهما، وكانت السيادة في ذلك الوضع لليهود المسيحيين ولكن الموقف انقلب تماماً بسبب حرب السبعين وسقوط القدس)) ولترفض الكنيسة الكثير من الكتب وعدها كتباً منحولة وسمتها (ابوكريفيا)* وعدت منها رسالة برنابا (70-79م) والرسالة إلى أهل كورنثوس (96م) ورسالة اكلميندس الثانية (120-140م)، وراعي هرماس (115-140م)

---

[1] م.ن ص40.

[2] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص79.

[3] منتقد بن محمود السقار، هل العهد الجديد كلمة الله، ص3.

[4] دراسة في الكتب المقدسة، ص71.

* أبو كريفيا: كلمة يونانية كانت تستخدم أساساً عن الشيء السري أو الخفي لكنها بمرور الزمن أصبحت تدل على ما تحوم الشكوك حول صحته، ينظر، الدكتور القس عبد المسيح اسطفانوس، تقديم الكتاب المقدس للقارئ العربي، دور الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1994م ص34.

وتعاليم الأثني عشر (100-120م) ورؤيا بطرس (150م)، وأعمال بولس وتكلا (170م) والرسالة إلى أهل لادوكية (القرن الرابع الميلادي) وإنجيل العبرانيين (65-100م) ورسالة بوليكاريوس لأهل فيلبي (108م) ورسائل اغناطيوس السبع (100م) وكتابات أخرى غيرها كثير لم تقبلها الكنيسة كأسفار قانونية[1]، إلا ان هناك من الكنائس من قبل بعض هذه الأسفار، وتعرف عندها باسم الأسفار القانونية الثانية إلا أن هنالك كنائس أخرى لا تقبلها ضمن الكتاب المقدس وترفضها[2]، ويوضح الأب جورج سابا[3] مصادر هذه الكتب فيقول: ((يعتقد الأخصائيون ان معظم هذه الكتب قد نشأ في بيئة جماعات يدعون اليهود المتنصرين أو أنها تعكس على الأقل عقلية هذه البيئة. . وان الكثير منهم كانوا قد أنشؤوا كنيسة الختانه المؤمنة بالمسيح. . وقد حاولت الكنيسة الأم (التي تقودها المسيحية البولسية) القضاء على تلك المدعوة كنيسة الختانة)) ليخلص في النهاية من ارتباط هذه الكتب بأوساط كنيسة الختانة ويستدل على ذلك بالعديد من الحفريات التي جرت في مواقع مختلفة من مدن القدس، والناصره، وكفر ناحوم[4] مع ما يستشف في سفر الأعمال من إيمان هذه المجموعات بالسيد المسيح[5]، فكان من الطبيعي ان تختار الكنيسة ما يوافق عقائدها اللاهوتية من الأناجيل والرسائل وترفض غيرها، الا ان هذه الأناجيل فيها الكثير من الاختلافات والتناقضات ((فالذين كتبوا الأناجيل الأربعة اختلفوا في أشياء كثيرة وذلك دليل على عدم دقتهم فلو كانوا على حق ما اختلفوا في شيء))[6] وهذا الاختلاف يسحب على الأناجيل

---

(1) عن الكتب المنحولة ينظر، أ. جوزيف مزي و أ. الياس خليفة، الأناجيل المنحوله، دير سيده النصر غوسطا، لبنان، 1999م ؛ جيمس بنتلي، اكتشافات الكتاب المقدس قيامه المسيح في سيناء، ترجمة آسيا محمد الطريحي، دار سيناء للنشر، (ط1)، مصر، القاهرة، 1995م، ص153-160؛ جوش ماكدويل، كتاب وقرار، ص37.

(2) القس عبد المسيح اسطفانوس، تقديم الكتاب المقدس للقارئ العربي، ص33.

(3) على عتبة الكتاب المقدس، ص240-241.

(4) م. ن، ص242.

(5) ينظر الإصحاحات، 6: 7، 15: 5، 2: 46، 3: 1، 15: 5.

(6) عبد الله الترجمان، تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تعليق وتقديم د. طاهر المعموري، دار أبو سلامه للطباعة والنشر والتوزيع، (ط4)، تونس، 1983م، ص22.

الازائية*، وهذه الأناجيل التي اختارتها الكنيسة ورفضت غيرها هي:

أ- إنجيل* مرقس[1]

ينسب هذا الإنجيل إلى مرقس (يوحنا) الذي عاش في القدس حيث كان المسيحيون الأولون يجتمعون في بيت أمه مريم، ورافق فيما بعد بولس وبرنابا في رحلتهما التبشيرية الأولى، ويقال انه كان أحد السبعين الذين أرسلهم المسيح عليه السلام للتبشير بالنصرانية[2]، أصله من اليهود وكان يسافر من مصر أحياناً إلى روما وأحياناً إلى شمال أفريقية ولكن مصر كانت المستقر الأمين له فاستقر بها إلى ان ائتمر به الوثنيون فقتلوه بعد ان سجنوه، وعذبوه وكان ذلك سنة 62 من الميلاد[3].

إلا ان هناك من يشكك بنسبة الإنجيل إلى مرقس حيث يقول ميريل تيني[4] ((نحن لا نعرف الا القليل جداً عن جامع هذا الإنجيل، ولا نعرف شيئاً عن شخصيته، ولا هويته، ولا عن الدافع من وراء جمعه هذا الإنجيل)). ويذكر علماء النصارى ان بطرس هو الذي زود مرقس بالأخبار المتعلقة بالمسيح لكتابة إنجيله[5]، واختلفوا في اللغة الأصلية التي كتب بها الانجيل فقد ((قال بعضهم انه كتب باللغة اللاتينية تم ترجم بعد ذلك إلى اليونانية وقال بعضهم الآخر ان هذا الإنجيل كتب أساساً باللغة اليونانية))[6].

---

* الأناجيل الازائية: وهي أناجيل (متّى ومرقس ولوقا) حيث يعتقد ان إنجيل مرقس أولها تأليفاً وأخذ منه الاثنان الآخران معلوماتها حول السيد المسيح، عن الأناجيل الازائية، ينظر، سقط الدومنيكي، دليل إلى قراءة الأناجيل الأربعة، ص112.

* الإنجيل: كلمة الإنجيل معربه عن الكلمة اليونانية (إفانجيليون) ومعناها البشارة أو الخير السار. ينظر القس بطرس حداد، البشرى السارة مقدمة الإنجيل الشريف، ص7.

[1] سنقتصر في هذه الدراسة على الأناجيل فقط، لأن أغلب ما ورد في الرسائل وسفر الأعمال ورؤيا يوحنا مشابهة لمادة الأناجيل.

[2] محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة، ص11.

[3] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص11.

[4] دراسة شاملة لأسفار العهد الجديد، نقلاً عن كتاب د. عزية علي طه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دراسة مقارنه، دار البحوث العلمية، (ط1)، الكويت، 1407هـ-1987م، ص160.

[5] موسوعة الكتاب المقدس، ص291.

[6] د. عزية علي طه، منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، ص160.

إلا انهم اتفقوا على ان الإنجيل الأصلي لمرقس كان خالياً من قصة بعث المسيح مرة أخرى، وان هذه الرواية أدخلت إلى هذا الإنجيل في عصور متأخرة، وأنها من بنات أفكار الأجيال المتأخرة التي أعقبت وفاة المسيح، وقد تكون من أقوال شُرّاح هذا الإنجيل، وان الأقوال التي جمعت والحق بعضها بالبعض الآخر لتكوين هذا الإنجيل كانت أقوالاً متناثرة هنا وهناك بل ان النسخة الأصلية لهذا الإنجيل قد وجدت في صحف قد تمزق بعضها ومحيت كتابات بعضها الآخر وغالب الظن ان تلك الأقوال قد جمعها المتأخرون ونسبوها إلى مرقس[1].

ب- إنجيل متّى:

ينسب هذا الإنجيل إلى متّى أحد حواري المسيح عليه السلام الاثني عشر، ويعزون هذا الاستدلال إلى رواية (بابياس)* الذي يقول ((ان متّى ألف إنجيله بالعبرية وكل شخص فسره حسب قدرته))[2]، ولتحليل هذا النص المهم يلاحظ انه يقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: في نسبة الإنجيل إلى متّى العشار

عند مطالعة نصوص الإنجيل يلاحظ أن كاتبه يتحدث بصيغة الغائب لا بصيغة المتكلم، ((فلو كان الكاتب هو متّى الحواري فانه على أقل الاحتمالات سوف يذكر ولو نصاً واحداً يذكر فيه صيغة واحدة تدل على وجوده في الأحداث التي يرويها لاسيما وانه كان موجوداً بوصفه أحد التلاميذ))[3]، وأدل شيء على ذلك ما يرويه الإنجيل حول دعوة المسيح لمتّى الحواري كي يكون له تلميذاً حيث يقول كاتب السفر ((وفيما يسوع مجتازاً من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متّى فقال له اتبعني فقام وتبعه))[4]، فلو كان متّى الحواري هو نفسه كاتب الإنجيل لقال حين دعاه المسيح: فقال لي اتبعني فقمت وتبعته، لذلك لا يوجد

---

[1] ينظر، م. ن، ص162.

* بابياس: أسقف كنيسة هيرا بوليس في أسيا الصغرى في القرن الثاني الميلادي توفي عام (130م).

[2] محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، دار الثقافة، (ط1)، قطر، 1985م، ص15، وينظر، دانيال روبسن، ما هو الكتاب المقدس، ص21.

[3] موريس بوكاي، دراسة في الكتب المقدسة، ص81.

[4] إنجيل متّى 9: 9.

في الإنجيل عبارات مثل (رأيت، سمعت، كنت)[1]. ويؤكد النصارى على ان إنجيل مرقس أول الأناجيل الأربعة تأليفاً، جاء في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[2] ((كان إنجيل مرقس أول ما كتب من الأناجيل وقد ورد كل ما جاء فيه في الأناجيل الأخرى))، لذلك فان هناك من يرى ان كاتب إنجيل متّى قد أخذ من إنجيل مرقس ما يقارب 90٪ من إنجيله[3]، فهل يعقل ان يأخذ أحد حواري المسيح الذي صاحبه وسمع منه محتوى إنجيله من مرقس الذي لا يعد من الحواريين بل هو على أقوى الأقوال انه قد رافق بولس في رحلته التبشيرية الأولى[4] ؟.

هذه الأسباب وغيرها جعلت البعض من علماء النصارى يشككون في نسبة هذا الإنجيل، فيقول موريس بوكاي[5] ((ما هي شخصية متّى ؟ لنقل بصراحة أنه لم يعد مقبولاً اليوم القول أنه أحد حواري المسيح))، وينقل محمد السعيدي[6] عن كاتب الموسوعة البريطانية قوله: ((إن إنجيل متّى كتب بالتأكيد من اجل كنيسة يهودية مسيحية في محيط يهودي قوي، لكن كون متّى هو مؤلف الإنجيل أمر مشكوك فيه بجد))، ويرى ول ديورانت[7] ((ان النقاد ينكرون نسبة هذا الإنجيل الحالي إلى متّى الحواري وينسبونه إلى أحد اتباعه الذي وضع عليه اسم متّى تلميذ عيسى عليه السلام ليطمئن الناس إليه ويقبلوه بوصفه أحد الذين عايشوا عيسى عليه السلام وشاهدوا أحواله)).

القسم الثاني: حول نسخة الإنجيل الأصلية

يلاحظ من كلام الأسقف (بابياس) ان كتابة الإنجيل كانت باللغة العبرية، وان اقدم النسخ الموجودة الآن هي النسخة اليونانية،[8] والتي ترجمت عن النسخة العبرية فهي إذاً مترجمة عن النسخة الأصلية للإنجيل، ومع فقدان النسخة الأصلية للإنجيل، والجهل التام بالمترجم الذي ترجمها إلى اليونانية، وعدم معرفة

---

[1] ينظر، محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة، ص15.

[2] ص1974.

[3] محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة، ص17.

[4] سفر أعمال الرسل 13: 13.

[5] دراسة في الكتب المقدسة، ص80.

[6] دراسة في الأناجيل الأربعة، ص16.

[7] قصة الحضارة، (ج11-12)، ص208.

[8] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص42.

حاله وهل هو موضع ثقة كي يأمن على النص من التلاعب به، وهل هو عالم متضلع في الترجمة حتى تقبل ترجمته هذه، كل هذه الأسئلة التي لا يمتلك لها علماء النصارى جواباً تجعل من هذه النسخة موضع عدم قبول في نسبتها إلى متّى الحواري.

والقسم الثالث: حول التفسيرات العديدة لهذا الإنجيل

حيث يدل كلام الأسقف على ان كل شخص فسر هذا الإنجيل على حسب ما يفهم من نصوصه، ومن تلك التفسيرات ما كان يذهب إليه بولس والهيلينون من تأليه المسيح على وفق ما كانوا يفسرون من ظواهر النصوص، وهذا يوضح سبب كثرة الأناجيل في تلك الحقبة، ومع مرور الأيام اختفت النسخة الأصلية للإنجيل والتي كتبت باللغة العبرية لتظهر النسخة اليونانية، والتي من المرجح أنها احتوت على الكثير من التفاسير التي اخبر عنها الأسقف بابياس لتأخذ مكانها في الإنجيل على أنها نصوص من إنجيل متّى الحقيقي.

جـ - إنجيل لوقا

ينسب النصارى هذا الإنجيل إلى لوقا، وهو كما قيل عنه طبيب يوناني[1] من المسيحيين الأمميين (ليس من أصل يهودي) ويقول عن ذلك التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[2] ((انه الأممي الوحيد الذي أرشده الروح القدس ليكتب إنجيلاً من أناجيل العهد الجديد الأربعة)).

لم يعرف عنه انه أحد تلاميذ المسيح عليه السلام، أو حتى تلميذ للحواريين، وغاية ما روي عنه انه كان صديقاً لبولس ورافقه في بعض سفراته حيث يرد أسمه في رسائل بولس إلى كولوسي[3]، وتيموثاس[4]، وفليمون[5]، وبالرغم من ذلك فإن أفكار بولس لا تجد لها مكاناً في إنجيل لوقا وان هنالك اختلافات عديدة في وجهات النظر بين كتاباتهما، لهذا استنتج كاتبوا الموسوعة البريطانية أن مؤلف هذا

---

(1) موسوعة الكتاب المقدس، ص279.

(2) ص2051.

(3) كولوسي 4: 14.

(4) ثيموثاوس 4: 11.

(5) فليمون 1: 24.

الإنجيل يظل مجهولاً[1]. ويذهب الأستاذ أحمد عبد الوهاب[2] إلى ((ان مؤلف الإنجيل (الثالث) وأعمال الرسل هم شخصان مختلفان وذلك لان سفر أعمال الرسل يوجد به كثير من النقاط التي تتعارض تعارضاً تاماً مع التعاليم المذكورة في رسائل بولس ومن غير المعقول ان تكون هذه (التعاليم) قد سطرها شخص له معرفة مباشرة ببولس ورحلاته التبشيرية)) ويفتتح كاتب الإنجيل إنجيله بهذه العبارات ((إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأحوال بتدقيق أن اكتب أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي علمت به))[3]. وفي هذه المقدمة أمور مهمة عديدة منها، إن كاتب الإنجيل يوجه خطابه هذا إلى شخص يدعى ثاوفيلس فهو هنا يكتب رسالة شخصية وليست إنجيلاً ثم انه يوجهه إلى شخص واحد بعينه وليس إلى جميع النصارى مع تقريره انه يكتب على التوالي حسب ما تتوفر له من معلومات، أو وقت، أو أدوات كتابه مع ان الكاتب لا يقرر انه كتبها بالهام الروح القدس أو لأنها الحق، بل هو يصرح بأنه جمع هذه المعلومات من الناس[4]. فمن هو ثاوفليس؟ ((لقد حاول العلماء معرفة ثاوفيلس ذلك الذي وجه إليه لوقا رسائله لكن جهودهم في هذا السبيل لم تصل إلى نتيجة محققه، ولم يتعد الأمر سوى تقديم بعض الفروض والتخمينات حول شخصية ثاوفليس تماماً مثل شخصية لوقا نفسه))[5]، لذلك يقول محمد أبو زهرة[6] ((هناك من يقول ان ثاوفيلس هذا كان مصرياً لا يونانياً فهو (الإنجيل) قد كتب للمصريين لا لليونانيين)).

د- إنجيل يوحنا:

ينسب النصارى هذا الإنجيل إلى يوحنا الرسول أخي يعقوب ابْنَي زبدي المدعو (ابن الرعد)[7]، ((بشر في افسس غرب تركيا، ويقال انه ألف إنجيله هناك، ومات

---

[1] ينظر محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة، ص19.
[2] المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص65.
[3] لوقا 1: 1-4.
[4] أحمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص62.
[5] م. ن، ص63.
[6] محاضرات في النصرانية، ص49.
[7] ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2164.

فيها شيخاً هرماً في نهاية القرن الميلادي الأول))[1]، على ان هناك من أنكر ان يكون كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا الحواري بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة روحية، وان ذلك الإنكار لم يكن من ابتكار هذه الأجيال بل ابتدأ في القرن الثاني الميلادي، ذلك ان علماء المسيحية في القرن الثاني الميلادي أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري، ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة، فلو كانت صحيحة لعلم بذلك تلميذه بوليكارب حقاً ولأعلم هذا تلميذه ارينيوس، ولأعلن تلك النسبة عندها شاع إنكارها[2]، وان هناك إنكاراً آخر ((جاء عن طريق دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفهما خمسمائة من علماء النصارى التي قالوا فيها، أما إنجيل يوحنا فانه لا مرية ولاشك انه كتاب مزور أراد صاحبه مضادة أثنين من الحواريين بعضهما البعض، وهما القديسان يوحنا ومتّى وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب انه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري، ووضعت اسمه على الكتاب مع ان صاحبه غير يوحنا يقيناً))[3]، ومن بين أسباب الإنكار هذا ذلك التضارب الصارخ بينه وبين الأناجيل الثلاثة المتشابهة فهذه الأخيرة تسير حسب رواية مرقس للتسلسل التأريخي للأحداث فتجعل منطقة الجليل هي المحل الرئيسي لرسالة المسيح عليه السلام بينما يقرر إنجيل يوحنا ان ولاية اليهودية كانت المركز الرئيسي[4]، مع انه الإنجيل الوحيد الذي أثار مسألة لاهوت المسيح التي لم توردها الأناجيل الثلاثة الأخرى ((لذلك يقول يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره (من تحفه الجبل) أن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس أسيا وغيرها والسبب انه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متّى ومرقس ولوقا في أناجيلهم))[5]، فهل يعقل ان يهمل ثلاثة من كتبه الأناجيل مسألة مهمة بحجم مسألة لاهوت المسيح، ولكي يُسد هذا الخلل تم تاليف إنجيل يوحنا! الذي يختلف مع الأناجيل الباقية في تحديد يوم صلب المسيح حيث يذكر ان الصلب حدث

---

[1] محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة، ص12.

[2] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص50.

[3] م. ن، ص50.

[4] احمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص72.

[5] محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص53.

في 14 نيسان بينما يفهم من بقية الأناجيل ان الصلب كان يوم 15 نيسان مع عدم ذكره في إنجيله رواية القربان* المقدس أو العشاء الأخير، ولا حادثة العماد التي عمد فيها يوحنا المعمدان المسيح عليه السلام وغيرهما من الاختلافات الجوهرية[1].

بقي ان يُعرف أن يوحنا كان صائد سمك، ورجلاً أمياً لا يعرف القراءة والكتابة حيث يروي سفر الأعمال ان أعضاء مجلس اليهود ((لما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا انهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع))[2]، فحاول علماء النصارى ان يحلوا هذا الإشكال بالقول: ((فربما تمت كتابة هذا الإنجيل على يد كاتب أملاه عليه يوحنا))[3]، وهذا التعليل لا يعطي هذا الإنجيل قانونية الصحة والقبول خصوصاً ان علماءهم لا يذكرون من هو هذا الكاتب مع جهلهم التام بحاله، وثقته، وعلمه مع ان التفسير التطبيقي للكتاب المقدس[4] يذكر في موضع آخر ((ان يوحنا قد كتب بإرشاد الروح القدس إنجيل يوحنا ورسائله الثلاث وسفر الرؤ يا))، ولم يذكر التفسير كيف كتب يوحنا الأناجيل، ورسائله الثلاث، وسفر الرؤية مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، فقد عُلِمَ من كتبهم المقدسة ان الروح القدس حين حلَّ على التلاميذ ابتدأوا يتكلمون بألسنة مختلفة[5]، إلا إنهم لم يذكروا ان الروح القدس قد جعلهم يعرفون القراءة والكتابة حتى يستطيعوا ان يدونوا أناجيلاً ورسائل إلى الكنائس !.

2- قدسية الأسفار المقدسة

أ- ادعاء الوحي

يرى كثير من النصارى ان الأسفار المقدسة قد أوحيت من قبل الله تعالى إلى أنبيائه ورسله ومن ثمَّ فإنها أسفار قانونية لذلك يقول جوش ماكدويل[6]: ((الأساس

---

* القربان المقدس: أي تناول الخبز والنبيذ تشبهاً بالعشاء الرباني الأخير الذي تناوله السيد المسيح مع تلاميذه والخبز يرمز إلى لحم المسيح والنبيذ إلى دمه، ينظر، د. رشدي عليان، د. سعدون الساموك، تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص132.

[1] عن الاختلافات بين الإنجيل الرابع والأناجيل الثلاثة الأخرى ينظر محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة، ص210.

[2] أعمال الرسل 4: 13.

[3] موسوعة الكتاب المقدس، ص354.

[4] ص1992.

[5] سفر أعمال الرسل 2: 4.

[6] كتاب وقرار بحث دراسي ومنطقي في صحة الكتاب المقدس، ص35.

الذي بني عليه قبول أسفار العهد الجديد كأسفار قانونية هو أنها من الرسل وموحى بها من الله))، ويذهب دانيال روبسن[1] إلى أبعد من هذا حين يقول: ((وإنها لعقيدة جوهرية في إيماننا تلك التي نعترف بان الكتاب المقدس بكامله كتاب منزل أي موحى به)). ويؤمن المسيحيون ان هذا الكتاب هو كلمة الله الموجهة إلى البشر بل هو كلمة الله المكتوبة[2]، ويستدلون على ذلك بما يرد في الكتاب المقدس من فقرات كثيرة تدل على ان الله تعالى هو الذي كلم موسى عليه السلام[3] وانه نطق بلسان الأنبياء[4]، وتكلم بفم النبي الملك داود[5]، وما ورد على لسان بولس[6]، وان الذين قاموا بكتابه أسفار الكتاب المقدس هم أناس الله القديسون، كتبوه وهم مسوقون من الروح القدس[7]، ويرى يوسف رياض[8] ((ان كل ما كتبه أولئك القديسون ليس هو كلامهم متضمناً أفكار الله، بل هو ذات كلمة الله))، وان هذه الكلمات قد أوحيت من الروح القدس إلى أولئك الكتبة لذلك يقول توما الاكويني: ((ان الروح القدس هو المؤلف الرئيسي للأسفار المقدسة وما الكتبة سوى الوسائل التي استخدمها))[9]، ولا يشترط ان يكون الكاتب رسولاً لكي تقبل هذه الأسفار بل ان تكون وعلى أقل تقدير قد حظيت بموافقة الرسل، ويعلل ذلك بأن سلطان الرسل لا يمكن فصله عن سلطان الرب.. وعندما يتحدث الرسل بسلطان يستمدونه من الرب نفسه[10].

وبموت آخر رسول من رسل المسيح فقد ختم الوحي، ولم يعد يزاد أي شيء على الأسفار المقدسة[11]، ويعلل النصارى ذلك الأمر بالقول، بما ان المسيح كامل الوحي والشريعة فيقتضي كون الشريعة والوحي المسيحيين كاملين وشاملين للحق

---

[1] ما هو الكتاب المقدس، ص49.

[2] م. ن، ص50.

[3] ينظر مرقس 12: 26، يوحنا 9: 29، أعمال الرسل 7: 44.

[4] ينظر لوقا 1: 70، أعمال 3: 18.

[5] أعمال الرسل 1: 16، 4: 25.

[6] 2 ثيموثاوس 3: 15-16.

[7] 2 بطرس 1: 21.

[8] وحي الكتاب المقدس، مركز المحبة، عمان، الأردن، ب.ت، ص2.

[9] نقلاً عن كتاب، دانيل روبسن، ماهو الكتاب المقدس، ص52.

[10] ينظر جوش ماكدويل، كتاب وقرار، ص35.

[11] الياس الجميّل، اللاهوت النظري، ص187.

والنعمة، فهما لا يحتاجان إلى ان يزاد فيهما شيء لتكميلهما، فالوحي المسيحي والشريعة الجديدة كاملان مكملان للشريعة القديمة الغير كاملة فيلزم ان يبقيا على حالهما كما علمها المسيح بواسطة الرسل[1].

ب – ادعاء الإلهام

يعرف النصارى الإلهام بأنه ((حركة خصوصية صادرة عن الروح القدس تحمل الكاتب على الكتابة وتدرب عقله بحيث لا تدعه يغلط، وتدعوه إلى ان يكتب ما يشاؤوه الله))[2]، لذلك يربط النصارى بين قدسية الأسفار في كونها من الله وبين عمل الروح القدس فيقول الياس الجميل[3] ((ان الكتاب المقدس كلام الله المكتوب ونعني به تلك الأسفار التي اعتبرتها الكنيسة مكتوبة بالهام الله ونظمتها في القانون وقدمتها لجميع المؤمنين معلنة أنها سليمة صحيحة مكتسبة بالهام الروح القدس))، ويتركون للروح القدس المساحة الكبيرة في عمل هذه الأسفار وذلك لكي يكتب لها قانونية القبول والقدسية.

فيرى جوش ماكدويل[4] ((ان الروح القدس هو الذي نسق الكتاب المقدس))، ويذهبون إلى أبعد من هذا بالقول: ((ان الروح القدس هو الذي يحرك الكاتب الذي يكتب الكتاب المقدس بكل كيانه فينيره، ويهديه، ويعينه في مدة عمله الفكري منذ الاندفاع في الكتابة مروراً بالفكرة الأصلية حتى الوضع الأدبي، وأحياناً صيغة التعبير ولكنه يدع للكاتب حرية فاعلية شخصيته البشرية على مؤلفه))[5].

ويقسم جورج سابا[6] الإلهام إلى ثلاثة أقسام فيقول: ((«الإلهام» هو نفحة روحية من روح الله تقيم رعاة على شعب الله أمثال موسى ويسمى هذا الإلهام الراعوي، أو تدفع بعضهم إلى الكلام أمثال أنبياء العهد القديم ورسل العهد الجديد، ويسمى هذا الإلهام النبوي أو الرسولي، أو تدفع إلى تدوين رسالة التي سبق وبلغت للناس بالعمل والكلام وهذا هو الإلهام الرسمّي)).

---

[1] م. ن، ص189.

[2] م. ن، ص191.

[3] م. ن، ص191 ؛ وينظر، جورج سابا، على عتبة الكتاب المقدس، ص137.

[4] كتاب وقرار، ص10.

[5] ينظر، دانيال روبسن، ما هو الكتاب المقدس، ص58.

[6] على عتبة الكتاب المقدس، ص133.

ويقر النصارى بعدم وجو دليل في العهد الجديد يثبت انه ملهم من الله[1]، أو أي دليل آخر يثبت رسالة من يسمونهم رسلاً[2] وانهم كتبوا بالهام حتى يعد كلامهم وحياً أوحي به ويجب تصديقه وقبوله[3]. مع ان الأناجيل والرسائل تورد الكثير من الفقرات التي توضح ان هذه المؤلفات هي مؤلفات بشرية ولا علاقة لها بالوحي والإلهام[4].

3- الردود على هذه الكتب

ان المطلع على أسفار العهد الجديد يلاحظ الاختلافات الكبيرة بين نسخ الأناجيل مع بعضها وبين ما يرد في الرسائل بحيث لا تكاد تتفق فيما بينها على روايات معينة مع ما تحتويه النصوص من تناقضات سافرة وروايات خاطئة مبالغ فيها، ولقد ورد في الفصل الأول الكثير من هذه الاختلافات بين نسخ الأناجيل الأربعة لذلك سنقتصر على تبيان التناقضات، والأغلاط في هذه لأناجيل، ومنها :

أ- تناقض روايات الأناجيل مع العهد القديم

لقد استشهد كتاب الأناجيل بنصوص من العهد القديم ليثبتوا ان نبوءات الأنبياء السابقين مطابقة لسيرة السيد المسيح عليه السلام وانه الذي بشر به الأنبياء من قبل، وذلك لاقناع اليهود بالأيمان برسالة السيد المسيح ولإضفاء الصفة الشرعية على ما ذهبوا إليه من عقيدة التثليث والصلب والفداء[5]. وعند مطالعة هذه النصوص، يلاحظ أنها تختلف في معانيها الأصلية وفي ألفاظها مع تفسيرها تفسيراً خاطئاً، منها ما جاء في إنجيل متّى ((لكي يتم ما قيل بأشعياء النبي القائل: هوذا فتاي الذي اخترته حبيبي الذي سرت به نفسي أضع روحي عليه فيخبر الأمم بالحق لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشارع صوته، قصبة مرضوضه

---

[1] جورج سابا، على عتبة الكتاب المقدس، ص136.

[2] بأستثناء بولس الذي يدعي ان المسيح هو الذي عينه وأرسله للناس.

[3] ينظر محمد أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص81.

[4] ينظر على سبيل المثال لا الحصر، يوحنا 2: 13، 3: 1-14، كورنثوس الأولى 16: 19-20 ثيموثاوس الثانية 4: 13-21، كورنثوس الأولى 7: 12، 7: 40 كورنثوس من الثانية 8: 8-10، 11: 1.

[5] محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة، ص39.

لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفئ حتى يخرج الحق إلى النصرة وعلى أسمه يكون رجاء الأمم))[1] وعند العودة إلى سفر أشعياء الذي نسب إليه متّى هذا النص فيقول ((هوذا عبدي الذي أعضده مختاري الذي سُرّت به نفسي، وضعت روحي عليه فيخرج الحق للأمم، لا يصيح، ولا يصرخ، ولا يسمع في الشارع صوته، قصبة مرضوضه لا يُقْصَف، وفتيلة خامدة لا يُطْفئ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل، ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته))[2]. وعند المقارنة بين النصين، يلاحظ ان كاتب إنجيل متّى حذف عبارة ((لا يكل ولا ينكسر)) لينسجم النص مع نهاية المسيح على الصليب.

وأورد كاتب إنجيل متّى النص الآتي ((وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: قم وخذ الصبي وأمه وأهرب إلى مصر، وكن هناك حتى أقول لك لأن هيرودس مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه، فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر وكان هنالك إلى وفاه هيرودس لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: من مصر دعوت ابني))[3]، وعند العودة إلى سفر هوشع نجد النص الآتي ((لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني))[4] فيلاحظ ان النص في سفر هوشع يتحدث عن محبة (يهوه) إله اليهود للشعب الإسرائيلي ودعوته له للخروج من مصر تحت قيادة النبي موسى عليه السلام ولا علاقة له البتة في مسألة عودة المسيح من مصر، وهذا ما يؤكده تفسير الكتاب المقدس[5] حيث يقول: ((يتحدث هوشع في الفصول الأربعة الأخيرة إلى موضوع حب الله الشديد لبني إسرائيل)) فيلاحظ ان كاتب الإنجيل اقتطع جزءاً من النص الأصلي، وفصله عما قبله ليثبت ان عيسى عليه السلام قد حقق نبؤات العهد القديم[6].

ب- اشتمال الأناجيل على أمور غير معقولة.

ورد في إنجيل يوحنا ان اليهود والجنود الذين جاؤا للقبض على المسيح لم

---

(1) متّى 12: 17-21.
(2) اشعيا 42: 1-4.
(3) متّى 2: 13-15.
(4) هوشع 11: 1.
(5) ص1732.
(6) ينظر، محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة، ص42.

يعرفوه لولا ان كشف لهم عن شخصيته[1]، وورد في بقية الأناجيل ان يهوذا أخبر اليهود والجنود ان الشخص الذي سوف يقبله سيكون هو المسيح[2] !!.

ان عدم معرفة كهنة اليهود والجنود بشخصية السيد المسيح عليه السلام أمر غير معقول لأنه عليه السلام كان يتردد مراراً على القدس، وتناظر مراراً مع الكهنة، وكانوا على معرفة تامة به، مع ان الأناجيل تحمل بين طيّاتها ما يؤيد ذلك، فقد ورد في إنجيل لوقا ان السيد المسيح قال لرؤساء الكهنة، وقادة حرس الهيكل، والشيوخ الذين جاؤا للقبض عليه ((كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصي إذ كنت معكم كل يوم في الهيكل لم تمروا على الأيادي))[3].

جـ - أغلاط في الأسماء

ورد في قائمة نسب السيد المسيح التي أوردها كاتب إنجيل متّى ((ويوشيا ولد يكنيا))[4] وهذا الكلام مغلوط لأن يكنيا* ابن يهوياقيم* ابن يوشيا*، فأراد كاتب إنجيل متّى إسقاط يهوياقيم من قائمة النسب لانه ملعون من قبل الرب على لسان النبي ارميا حيث قال: ((لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا إلا يكون له جالس على كرسي داود وتكون جثته مطروحة للحر نهاراً وللبرد ليلاً واعاقبه ونسله وعبيده))[5] فأراد كاتب الإنجيل إسقاطه من النسب حتى لا يكون السيد

---

[1] يوحنا 18: 3-8.

[2] مرقس 14: 44، لوقا 22: 48، متّى 26: 48.

[3] لوقا 22: 52-53.

[4] متّى 1: 11.

* يكنيا: ملك على مملكة يهوذا مدة ثلاثة أشهر في 597 ق.م رحله نبو خذ نصر إلى بابل وبعد سنين عدة فك أحد ملوك بابل أسره وولاه وظيفة في القصر، ينظر، موسوعة الكتاب المقدس، ص352.

* يهوياقيم: ابن يوشيا ملك يهوذا من 609-597 ق.م جعله الفرعون (نمو) ملكاً وكان عليه ان يؤدي الجزية إلى مصر ابطل جميع إنجازات أبيه، وكان طماعاً، وقاسياً، ينظر: موسوعة الكتاب المقدس، ص352.

* يوشيا: توج ملكاً على مملكة يهوذا وهو ابن ثمانية سنين بعد اغتيال أبيه آمون في سنة 640 ق.م، كان ملكاً قوياً وتمت في عهده إصلاحات كثيرة، قتل وهو في سن التاسعة والثلاثين في معركة ضد المصريين. ينظر: موسوعة الكتاب المقدس، ص357، وأخبارهم أيضاً موجودة في سفر الملوك الأول الإصحاح 13، وسفر الملوك الثاني الإصحاحات 21،24،27.

[5] ارميا 36: 30-31.

المسيح من ضمن الذين سوف تشملهم هذه العقوبة، وأورد كاتب الإنجيل في موضع آخر قوله: ((وشألتئيل ولدَ زربابل))[1] وهذا غير صحيح لأن زربابل* ابن فدايا* ابن شألتئيل[2]، فأسقط كاتب الإنجيل فدايا من النسب، وورد في قائمه نسب السيد المسيح في إنجيل متّى ان ((زربابل ولد ابيهود))[3] وهذا غلط أيضاً لأن زربابل لديه خمسة بنين[4]، وليس فيهم أحد مسمى بهذا الأسم، فيلاحظ ان الغلط وصل إلى قائمة نسب السيد المسيح، وقد استدرك الإمام ابن حزم[5] على هذه الأغلاط فقال: ((وهذا اختلاف في الأسماء ووحي الله تعالى لا يحتمل هذا فأحد النقلين كاذب ولاشك فأن صدقوا (النصارى) كتب اليهود وهم مصدقون بها، فقد كذب متّى وجهل، وان صدقوا متّى فإن كتب اليهود كاذبة لابد من أحد ذلك)).

د- أغلاط في الأرقام

أورد كاتب إنجيل متّى في قائمة نسب السيد المسيح ((فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً))[6]، ويعلم من إنجيل متّى ان قائمة نسب السيد المسيح تشتمل على ثلاثة أقسام، وكل قسم يحتوي على أربعة عشر جيلاً، وهذا غلط صريح لأن القسم الأول ينتهي إلى داود عليه السلام فإذا كان داود عليه السلام داخلاً فيه فانه سيكون خارجاً من القسم الثاني لا محالة، ويبتدئ القسم الثاني من سليمان عليه السلام وينتهي بيكنيا فإذا كان يكنيا داخلاً فيه فانه خارجاً من القسم الثالث الذي يبتدئ من شألتئيل وينتهي إلى المسيح عليه السلام، وفي هذا القسم لا يوجد

---

[1] متّى 11: 12.

* زربابل: حفيد الملك يهو ياقيم وقائد اليهود الذين عادوا من الأسر البابلي، أصبح حاكماً لملكة يهوذا، ينظر: موسوعة الكتاب المقدس، ص167.

* فدايا: وهو ابن شألتئيل وانجب زربابل وأخيه شمعي، ينظر: التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ص857.

[2] ينظر سفر أخبار الأيام الأول 3: 18.

[3] متّى 1: 13.

[4] أخبارهم موجودة في سفر أخبار الأيام الأول 3: 19-20.

[5] الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج1-2)، دار الندوة الجديدة، (ط1)، بيروت، لبنان، 1317هـ، ص11.

[6] متّى 1: 17.

إلا ثلاثة عشر جيلاً[1]، مع ان الأجيال في القسم الثاني من الأقسام الثلاثة هي ثمانية عشر لا أربعة عشر جيلاً كما ذكرها كاتب إنجيل متّى.

هـ - أغلاط في الزمان

أورد كاتب إنجيل متّى في قائمة نسب السيد المسيح ((ويوشيا ولد يكنيا وإخوته عن سبي بابل))[2] فيفهم من هذا الكلام ان يوشيا كان حياً عندما حصل هذا الجلاء، وهذا غلط بين لأن يوشيا ملك على يهوذا وهو ابن ثمان سنين بعد اغتيال أبيه آمون في سنة (640ق.م)، ومات وهو في التاسعة والثلاثين من عمره[3]. أي انه مات في سنة (609ق.م) وان الترحيل البابلي الأول لمدينة يهوذا كان في (597ق.م)[4] فبذلك يكون يوشيا قد توفي قبل الجلاء باثني عشر عاماً، فلقد جلس ابنه يهو آحاز خلفه على كرسي المملكة لمدة ثلاثة أشهر ثم جلس يهوياقيم ابنه الآخر لمدة أحدى عشرة سنة ثم جلس يكنيا ابن يهوياقيم ثلاثة أشهر ثم أسره نبوخذ نصر وأجلاه مع اليهود إلى بابل، وذلك سنة (597ق.م)[5]. ويورد كاتب الإنجيل ان يوشيا ولد يكنيا وإخوته ومن المعلوم ان يكنيا ليس بن يوشيا بل انه ابن يهوياقيم ابن يوشيا، ثم ان يكنيا لم يكن له اخوة حتى يلدوا معه بل انه الابن الوحيد ليهوياقيم، وانه كان ابن ثمانية عشر سنة عندما رحل إلى بابل[6]، بل انه كان ملكاً على يهوذا حينها فما معنى عبارة انه ولد عند سبي بابل.

و- أغلاط في المكان

أورد كاتب إنجيل يوحنا هذه العبارة على لسان السيد المسيح ((وليس أحد صعد إلى السماء الا الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء))[7]،

---

(1) ينظر رحمه الله الهندي، إظهار الحق، ص143.

(2) متّى 1: 11.

(3) ينظر سفر الملوك الأول 12: 2، سفر الملوك الثاني 21: 24.

(4) ينظر د. أحمد سوسه، مفصل تاريخ العرب واليهود في التاريخ،، من منشورات وزارة الثقافة والأعلام العراقية، دار الحرية للطباعة، (ط5)، 1981م، ص604-606.

(5) عن أخبارهم، ينظر، سفر الملوك الأول والثاني وأخبار الأيام الأول والثاني.

(6) الملوك الثاني 24: 8.

(7) يوحنا 3: 13.

وهذا غلط لأن اخنوخ (ادريس) وإيليا (الياس) «عليهما السلام» رفعا إلى السماء وصعدا إليها[1] كما هو معروف في عقيدة اليهود والنصارى[2].

---

[1] ينظر سفر التكوين 5: 24، الملوك الثاني 2: 1.

[2] عن الاختلافات والتناقضات في الكتاب المقدس، ينظر، احمد عبد الوهاب، المسيح في مصادر العقائد المسيحية، ص100 وما بعدها؛ رحمه الله الهندي، إظهار الحق، ص87- 123؛ محمد السعيدي، دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، ص66-86 ؛ ابن حزم الظاهري، (ج2)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ص15-76.

الفصل الرابع

المجامع المسيحية ودورها في تثبيت الفكر اللاهوتي المسيحي



لعبت المجامع المسيحية دوراً كبيراً في تثبيت الفكر اللاهوتي المسيحي وإقراره كعقيدة مقدسة، ولم يتم لهم ذلك إلا في مجمع نيقيه سنة ((325م)) وما بعدها من مجامع، فطوال الحقبة الممتدة ثلاثة قرون كانت العقائد المسيحية تتأرجح بين أخذ ورد تتجاذبها اعتراضات ورفض الموحدين من جهة، وتعدد مناهج الفكر اللاهوتي من جهة أخرى، مما استدعى عقد هذه المجامع والتي كانت في إطارها العام تعقد لسببين:

الأول: تنظيمي ينظم عمل الكنيسة مع الناس، ويبرز هذا في المجامع التي عقدت بسبب اختلاف الكنائس حول إعادة تعميد الهراطقة وقبول العائدين منهم إلى الكنيسة، حيث نشب خلاف بين كنائس روما التي كانت ترفض إعادة تعميدهم وبين كنائس المشرق التي ترى بان الذين قبلوا العماد من الكنيسة الارثوذوكسية عمادهم صحيح لا يعاد، وعقد كل فريق بعض المجامع لتدعيم رأيه وذلك في سنة (255م)، واستمر هذا الخلاف إلا أن حسم في مجمع نيقيه الذي أصدر قراره فيه[1]، وكذلك الأمر حول انعقاد مجامع القرن الثالث والتي كانت تنظر في قضية (الساقطين) أو العائدين إلى الكنيسة بعد انتهاء الاضطهادات الموجهة لهم، بعد إنكارهم الإيمان وهل يعاد تعميدهم من جديد.

السبب الثاني: بروز الخلافات العقائدية التي تخص الإيمان المسيحي: ويظهر هذا في انعقاد المجامع العديدة في الشرق والغرب لتحريم أشخاص كانت تحسبهم الكنائس مخالفون لتعاليم الإيمان الذي تلقوه عن الرسل، ومن ذلك انعقاد مجمع انطاكيا المنعقد سنة (**263**م) ضد تعاليم بولس السميساطي، أو المجامع التي عقدت لتحريم المونتانية، والأريوسية، والمجامع التي عقدت في سنة **264**م و **268**م في انطاكيا للنظر في مسألة التثليث المسيحي، وكذلك مجمع أنقرة سنة **324**م ومجمع انطاكيا سنة **325**م الذي كان يحضر لانعقاد مجمع نيقيه والذي نوقشت فيه مسألة السيدة مريم كونها (أم الله) ورفض عبارة (هوموزيون) أي من جوهر آلاب عينه أو مثله والتي كانت تستخدم لِتَدلّل على اللفظة اللاتينية: مساوٍ في الجوهر[2].

---

[1] عن هذا الخلاف، ينظر، ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، ص146-147.

[2] عن المجامع المسيحية وأسباب انعقادها ينظر، الاب الدكتور يوسف حبي، مجامع كنيسة المشرق، منشورات كلية اللاهوت الحبرية جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، 1999م، ص22 وما بعدها.

ومن أهم المجامع التي عقدت مجمعا نيقيه سنة 325م ومجمع القسطنطينية سنة 381م، الذي حدد فيهما المسيحيون صور الإيمان المسيحي، وألزمَ الناس بإتباعه وعدم الخروج عليه وعَدَّت الكنيسة كل من يخالف مقرراتها من الهراقطة، واستقرت العقائد المسيحية اللاهوتية التثليثية التي كانت متاحرة مع الموحدين والمخالفين من الوثنيين على صيغة التثليث في هذين المجمعين وهما على الترتيب:

أولاً: مجمع نيقيه (325 م)

لا يمكن الحديث عن مجمع نيقيه ونتائجه إلا بعد التحدث عن شخصيتين كان لهما الدور الأبرز في هذا المؤتمر وهما قسطنطين الإمبراطور الروماني الذي أمر بانعقاد المجمع وأريوس القس الموحد الذي كان السبب الرئيسي الذي عقد من أجله هذا المجمع فمن هو قسطنطين هذا:

قسطنطين: ولد فلافيوس فليريوس (قسطنطين) في مدينة نايس في ايليريا (يوغسلافيا السابقة) سنة 282م من أبيه قسطنطينوس كلوروس الذي كان قائداً للقوات الرومانية في بريطانيا، وهو ابن غير شرعي لقسطنطينوس من هيلانه المسيحية التي كانت خادمة في إحدى الحانات[1].

تزوج قسطنطين في سنة 317م من إحدى الفتيات والتي تدعى فوسته التي ولدت له ثلاثة أبناء: قسطنطين، قسطنطينوس، وقسطنس، ثم قتلها أحد أولادها فيما بعد بسبب علاقاتها غير اللائقة، وقتل معها أباها وإخوتها[2].

انتخب قيصراً في سنة 306م بعد وفاة أبيه، وكان قائداً عسكرياً استطاع السيطرة على الكثير من الأقاليم[3]. ابتدأ تحول قسطنطين إلى المسيحية في معركة جسر ميليفيو في السابع والعشرين من شهر اكتوبر – تشرين الأول – سنة 312م، التي التقى فيها قسطنطين ضد مكسنتوس في منطقة سكساربرا (Saxa Rubra) أي الصخور الحمراء والتي تبعد تسعة أميال عن روما من جهة الشمال، واستطاع بخططه الحديثة أن يرغم عدوه على أن يقاتل ونهر التيبر من ورائه، وليس له من طريق يسلكه إذا تقهقر إلا أن يعبر جسر ملفيوس، وفي الظهيرة رأى

---

[1] ينظر، منصور المخلصي، تاريخ الكنيسة، ص55؛ ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج11) ص382.

[2] ينظر منصور المخلصي، تاريخ الكنيسة، ص55.

[3] م. ن، ص55.

قسطنطين صليباً ملتهباً في السماء وعليه عبارة يونانية معناها بهذه العلامة إنتصر، ثم رأى في منامه أن صوتاً يأمره بان يرسم جنوده حرف (X) على دروعهم ثم خاض المعركة تحت هذه العلامة وانتصر على مكسنتيوس[1]، ويعلل ول ديورانت[2] هذا الأمر بالقول: ((أن عدد جنود قسطنطين المسيحيين كان كبيراً فأراد قسطنطين أن يكسب حماستهم بهذه العلامة)) ويضيف الدكتور أحمد شلبي[3] ((أن الأباطرة الرومانيين أخذوا يقدرون التأييد الضخم الذي يمكن أن يحصلوا عليه من المسيحين ليسندوا بذلك الجمهورية التي كانت تهتز وتتهاوى)).

ويعزو ابن حزم[4] سبب تنصره ((إلى أمه هيلانه التي كانت من النصارى والتي ربت ابنها على النصرانية سراً ومنذ صغره، فلما مات أبوه لم يستطع إظهار النصرانية إلا بعد أن رحل عن روما مسيره شهر، وذلك بعد ذهابه إلى القسطنطينية التي بناها لتكون عاصمة له، وانه كان أريوسياً منذ صغره يقول أن المسيح عبد مخلوق نبي لله تعالى فقط000 ثم لما ظهر دينه تنصر قسطنطين وأعلنها على الملأ)) وهذا الرأي لا يصح من وجوه عديدة منها: لا يتصور استطاعة هيلانة والده قسطنطين الحفاظ على سر تعليمه النصرانية وهو طفل صغير من دون أن يكتشف ذلك والده أو أحد رجال البلاط الملكي من خلال تصرفاته وسلوكه، ثم إن كان هذا الأمر صحيحاً فلماذا مال قسطنطين في مجمع نيقيه فيما بعد إلى جانب المؤلهين للسيد المسيح وهم أقلية في المجمع، وأهمل رأي الأكثرية الاريوسية الموحدة.

ويورد ابن الأثير[5] العديد من الآراء حول سبب تنصره منها: انه كان به برص وأراد نزعه فأشار عليه بعض وزرائه ممن كان يكتم النصرانية بإحداث دين يقاتل عليه ثم حسن له النصرانية ليساعده من دان به ففعل ذلك فتبعه النصارى من الروم مع أصحابه وخاصته فقوى بهم وقهر من خالفه، وقيل انه سير عساكر على

---

[1] ينظر، لومند الفرنسي، خلاصة تاريخ الكنيسة، ترجمة يوسف الخوري، (ج1)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1911م، ص58.

[2] قصة الحضارة، (ج11)، ص384.

[3] المسيحية، ص87.

[4] الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج2)، ص5.

[5] أبو الحسن علي ابن أبي الكرم المعروف بابن الأثير الجزري (ت630هـ)، الكامل في التأريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبه من العلماء، (ج1)، دار الكتاب العربي، (ط2)، بيروت، لبنان، 1387هـ - 1967م، ص189.

أسماء أصنامهم فانهزمت العساكر، وكان لهم سبعة أصنام على أسماء الكواكب السبعة على عادة الصابئين فأشار عليه وزيراً له يكتم النصرانية في هذا الأمر – الدخول بالنصرانية – فأجابه فظفر ودام ملكه وقيل غير ذلك[1].

ويرجح سبب تقرِيبه للمسيحيين، وذلك لكسب ودّهم، وتقوية أواصر الإمبراطورية الرومانية، وتحقق له هذا الغرض واستطاع أن يستفيد من تأييده للمسيحية باثني عشر فيلقاً من الجند المسيحيين الذين لاقى بهم أعداءه في حروبه، مع ما كان يجد من تنظيم المسيحيين لحياتهم وشعائرهم إذا قيسوا بغيرهم من سكان الإمبراطورية، يضاف إلى ذلك قرب المسيحية من العقائد الوثنية التي نشأ عليها، مع طاعة المسيحيين لرؤسائهم الدينيين، فمن المؤكد أن هذه الصفات كانت تروق لقسطنطين كي يقوي بها إمبراطوريته ويقرب المسيحيين إليه وبالأخص الأساقفة الذين جعلهم حاشيته وأعوانه السياسيين[2]، وحاول كسب رضاهم أكثر حين أصدر مرسوم ميلانو سنة 313م الذي منح الحرية الدينية للمسيحيين، حيث منحوا حرية الإيمان والممارسات الدينية، مع إعادة الأملاك المصادرة والمسروقة للأفراد والجماعات، وإطلاق سراح الأسرى، ورجوع المنفيين إلى مناصبهم، ومنحهم بعض الامتيازات القانونية حيث اعفي قادة المسيحيين الدينيين من الخدمة العسكرية والضرائب، ومنحوا إمكانية تحرير العبيد، وسمح لهم بتشكيل محكمة كنسية خاصة وقدمت الحكومة لهم مساعدات مالية من اجل الفقراء، وجعل عطلة الإمبراطورية يوم الأحد إكراماً لهم وغيرها[3].

فهل كان اعتناقه للمسيحية عن قناعه كاملة بها كدين متكامل متميز عن الوثنية التي كان عليها، أم انه كان حنكة سياسية بارعة استوحاها من الظروف المحيطة به ؟

يجيب عن هذا التساؤل اتجاهان: الأول يرى أن قسطنطين قد دخل إلى المسيحية بكامل قناعته وأنه الوسيط الإلهي بين الله والبشر أو الممثل الإلهي عند البشر، وهو رئيس الكهنة الأعلى، والمسؤول عن الدولة باسم الله نفسه، وهو حبر

---

[1] عن الأقوال المختلفة في سبب تنصر قسطنطين، ينظر، الرحالة ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس للطباعة والنشر، (ط1)، بيروت، لبنان، 1385هـ 1965م، ص352-353.

[2] ينظر، ول ديورانت، قصة الحضارة، (ج12)، ص288.

[3] ينظر، منصور المخلصي، الكنيسة عبر التاريخ، ص56.

روما الأعظم وكان يقول لرجال الكنيسة ((انتم أساقفة على من هم داخل الكنيسة وأنا أسقف بمشيئة الله على من هم في الخارج))[1].

والاتجاه الثاني يرى أن قسطنطين لم يكن يأبه بالدين المسيحي، وبطقوسه لذلك يقول ول ديورانت[2]: ((وقلما كان بعد اعتناقه دينه الجديد يخضع لما تتطلبه العبادات المسيحية من شعائر وطقوس، ويتضح من رسائله التي بعث بها إلى الأساقفة المسيحيين انه لم يكن يعني بالفروق اللاهوتية التي كانت تضطرب بها المسيحية. . ولو أنه كان مسيحياً حقاً لكان مسيحياً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين فكانت المسيحية عنده وسيله لا غاية)).

ويؤيد هذا الاتجاه أن قسطنطين لم يطلب العماد (علامة الدخول في المسيحية) طوال فترة حياته منذ دخوله المسيحية المزعوم لحين حضرته الوفاة فلو كان قد دخل المسيحية عن قناعة وإيمان لما تردد في طلب التعميد.

ويعلل أسد رستم[3] عدم معموديته إلا قبل وفاته بالقول: ((لعل السبب انه كان يشغل وظيفة إمبراطور الدولة وان عدداً كبيراً من الرومانيين كان لا يزال وثنياً متمسكاً بدين الآباء والأجداد فرأى قسطنطين أن مصلحة الدولة والكنيسة تقضي بان يظل حبر روما الأعظم ليتمكن من خدمة الأثنين معاً)) وهذا تعليل بعيد عن الواقع فقد كان باستطاعة قسطنطين أن يخدم الكنيسة والدولة أكثر لو انه دخل المسيحية، فبدخوله إليها كان من المؤكد انه سيجذب الكثير من الوثنيين معه، مع أن الإمبراطورية الرومانية كانت مستعدة لهذا الدخول وذلك لكثرة الأعمال والقوانين التي سنها قسطنطين إرضاءً للمسيحيين كما قدمنا، ولكن السبب الأكثر احتمالاً هو أن قسطنطين لم يكن مقتنعاً في بداية أمره بدخول المسيحية إلا انه وقبل أن تحضره الوفاة استطاع أن يهتدي إلى منهج التوحيد الذي كانت تحمله الاريوسية، ليعتمد على يد صديقه الأريوسي افسابيوس أسقف نيقوميذية، وفي الثاني والعشرين من أيار سنة 337م توفي قسطنطين ودفن في كنيسة الرسل في القسطنطينية[4]، ودامت سنوات حكمه ثلاثين سنة[1].

---

[1] ينظر، اسد رستم، انطاكيا ص189 ؛ منصور المخلصي، الكنيسة عبر التأريخ، ص56.

[2] قصة الحضارة، (ج11)، ص387.

[3] انطاكيا، ص189.

[4] عن وفاه قسطنطين ينظر، اسد رستم، انطاكيا ص215 ؛ المدخل إلى اللاهوت، نقله إلى العربية الأب حبيب هرمز النوفلي، كنيسة ماركوركيس الكلدانية، بغداد، 2002م، ص67.

أريوس: ولد اريوس سنة 256م في مدينة قيروان التابعة لكرسي الإسكندرية وهو ليبي الأصل[2] ولما كانت هذه المدينة مركزاً حضارياً نشأ اريوس محاطاً بجو العلوم والثقافة الهيلينية التي أطلع منها على التيارات الفلسفية العديدة[3].

كان اريوس محترماً في مدينته، نسب إليه الطهر، والتقشف، لطيف المعشر، وذا خلق جذاب، وعرف بنشاطه الديني الواسع[4].

تلقى العلم هو وصاحبه اوزيبيوس النيقوميذي على يد لوقيانوس الانطاكي، ((نال الرسامة الإنجيلية على يد البطريرك بطرس الإسكندري، ثم ما لبث أن انحاز إلى أنصار الحركة الانفصالية الذين صاروا هدفاً لعدة تدابير احترازية اتخذها تجاههم البطريرك المذكور.. فرشقه البطريرك بالحرم، وبعد فترة وجيزة عام (310م) توفي البطريرك بطرس وخلفه على كرسي الإسكندرية أخيلا، فعاد اريوس وطلب من البطريرك الجديد الصفح فعفى عنه ورَسمه كاهناً وعندما مات البطريرك أخيلا أنتخب الكاهن الكسندرس الى هذا المنصب))[5] وتقول الروايات ((أن اريوس نفسه هو الذي عمل على انتخاب الكسندروس للسدة البطريركية إذ وجه صوبه جميع الأصوات التي حصل عليها))[6].

لم يصل من كتب اريوس سوى مقتطعات من آثار ثلاثة تنسب إليه: بعض منشورات من كتابه ثاليا أي المائدة، تعمد فيه أسلوباً بجمع بين النثر والشعر ترويجاً لأقواله في أوساط الحرَفيّين وأهل الصناعات، ورسالتان: احداهما إلى صديقه اوزيبيوس النيقوميذي نحو سنة 321م، والأخرى إلى أسقف الإسكندرية قبيل انعقاد مجمع نيقيه[7].

---

[1] ينظر، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (م1-2)، (ج2)، ص26.

[2] ينظر، يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص20؛ جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، ص 26؛ لويس غاردية وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، (ج2)، ص286؛ ابن حزم، الفصل، (ج1)، ص48.

[3] يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص20.

[4] أحمد عبد الوهاب، اختلافات وتناقضات في الكتاب المقدس، ص105.

[5] يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص20.

[6] م. ن، ص20.

[7] ينظر لويس غارديه وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، (ج2)، ص 287 ؛ جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، ص26.

كان اريوس يرى ((أن الله واحد غير مولود لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لا شيء بإرادة الله ومشيئته أما الكلمة فهو وسط بين الله والعالم كان ولم يكن زمان، لكنه غير أزلي ولا قديم، بل كانت مدة لم يكن فيها الكلمة موجوداً فالكلمة "مخلوق"، بل مصنوع، وإذا قيل انه مولود فبمعنى أن الله تبناه، ويؤدي ذلك إلى أن الكلمة غير معصوم طبعاً، ولكن استقامته حفظته من كل خطأ وزلل، فهو دون الله مقاماً، ولو كان معجزة الأكوان خلقاً بلغ من الكمال مالا يستحيل معه شيء أكمل منه رتبه ومالاً))[1] فأنكر اريوس أن عيسى عليه السلام ابن الله ومساوٍ له على نحو ما كان يقول أصحاب المساواة بين الله والمسيح وقال عنه انه إنسان محض، قد وجدت فترة من الزمن قبل أن يخلق - أي انه إنسان حادث - وليس أزلياً، وعلل ذلك بقوله كيف تتفق دعوى إن الإله واحد مع جعل عيسى عليه السلام إلهاً أيضاً[2].

وينسب بعض علماء الإسلام إلى اريوس القول ((بأن الله الاب فوض إلى المسيح الكلمة كل شيء، فخلق الابن المسمى بالكلمة كل شيء في السماوات والأرض وما فيها))[3].

ولم أقف على هذا القول في كتابات علماء المسيحية، ولو كان هذا القول وارداً عنه لسارع المسيحيون إلى إظهاره والتمسك به، وغاية ما ورد عنه مخالف للتوحيد الذي يدعو إليه قوله في رسالته التي تنسب إليه، والتي وجهها إلى صديقه القديم افسيبيوس أسقف نيقوميذية التي يقول فيها: ((إن جرمنا بكامله يكمن في رفضنا الانضمام إلى معتقده الخاطئ (معتقد الكسندروس) والقول معه إن الله أزلي، والابن أزلي، وان آلاب والابن كانا معاً منذ الأزل وإلى الأبد، وان الابن مولود منذ الأزل، وان آلاب لا يسبق البته الابن، ولا بلحظة، ولا حتى بالفكر، هو الله على

---

[1] جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، ص26.

[2] ينظر محمد البهي، الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، ص107 ؛ محمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان، دار الكتاب العربي، مصر، ب. ت، ص43.

[3] ينظر، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت458هـ)، الملل والنحل، (م1)، (ج1-2)، دار الندوة الجديدة، (ط1)، بيروت، لبنان، 1317هـ (طبع بهامش الفصل) ص68-69 ؛ ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، ص150؛ محمد بن ابي بكر عبد الله (ت751هـ)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار النشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ب.ت، ص166.

الدوام، والابن على الدوام، وان الابن منبثق من الله بالذات. . أما فيما يخصنا فأننا نقول ونؤمن بما كنا قد علمناه سابقاً ولا نزال نعلمه الآن أيضاً: أن الابن قد وجد بإرادة الآب ومشورته قبل الأزمان والدهور، إلهاً وابناً وحيداً لا يقبل تغيراً ولكنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد أو يخلق، وقد اضطهدنا لأننا قلنا أن للأبن بدءاً، أما الله فلا بدء له، ويرتكب بحقنا أعمال فضيعه لأننا قلنا أن الابن قد خرج من العدم لانه ليس جزءاً من الله، ولا خرج من خليقة))[1]، إلا أن فحوى هذه الرسالة تخالف العقيدة التي جاء بها إلى مجمع نيقيه، والتي أوردها أمام مجمع الإسكندرية سنة (320م) والذي عقد لسماع آرائه اللاهوتية حول آلاب والمسيح فقال ((نعترف بإله واحد، هو وحده، غير مولود، وحده أزلي، وحده لا بدء له، وحده الإله الحق. . إله الناموس، والأنبياء، والعهد الجديد الذي ولد ابنه قبل الدهور والأزمان، والخلاصة التي تفقأ العيون وضوحاً أن الإله الحق الواحد والسرمدي هو الآب لكونه غير مولود، وغير ذي بدء في الزمن بخلاف الابن تماماً الذي وان دعي (رباً) في الكتابات الإنجيلية هو من جوهر مختلف لانه (مولود) وبادئ وجوده في زمن إلهي))[2] وهي تخالف أيضاً الرسالة التي بعثها إلى الإمبراطور قسطنطين وشرح فيها معتقده وذلك في سنة (330م) والتي يقول فيها: ((إن الله واحد فرد غير مولود لا يشاركه شيء في ذاته تعالى، فكل ما كان خارجاً عن الله الأحد إنما هو مخلوق من لاشيء بإرادة الله ومشيئته أما (الكلمة) فهو وسط بين الله والعالم كان ولم يكن زمان لكنه غير أزلي، ولا قديم بل كانت مدة لم يكن فيها الكلمة موجوداً (فالكلمة) مخلوق بل انه مصنوع، وإذا قيل انه مولود فبمعنى أن الله (تبناه)، ويؤدي ذلك إلى إن (الكلمة) غير معصوم طبعاً ولكن استقامته حفظته من كل خطأ وزلل فهو دون الله مقاماً))[3].

فاغلب الظن إن هذه الرسالة قد نسبت إليه بهتاناً وزوراً لمخالفتها ما ورد عنه من آراء تخالفها، أو قد أضيفت إليها عبارات غيرت من مفهومها العام.

وفي سنة (336م) توفي اريوس، لتتحول الآريه (الاريوسية) فيما بعد إلى القبائل الجرمانية في أوربا والتي حاولت الكنيسة الرومانية القضاء عليها، ثم

---

[1] يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص22.

[2] يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص31-32.

[3] لويس غاردي، فلسفة الفكر الديني، (ج2)، ص287.

لتتحول هذه القبائل حاملي عقيدة التوحيد في النهاية إلى الإسلام لانه امتداد لها[1].

1- أسباب انعقاد المجمع وقراراته

يعزى سبب الدعوة لهذا المجمع إلى انتشار الأفكار التي ينادى بها أريوس منذ سنة (319م) حول عقيدة التوحيد، والتي حاول أهل التثليث محاربتها وقمعها قبل أن تتغلغل وتنتشر في شتى الأنحاء، فجاء مجمع انطاكيا سنة (324م) والذي عقد في عاصمة النصرانية (انطاكيا) وحضره (65) أسقفاً للتشاور في أمر اريوس وعقيدته فاتخذوا قراراً جاء فيه انهم يؤكدون تمسكهم بالقول بإله فائق القدرة أزلي لا يتغير خلق السماء والأرض وكل ما يوجد، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من آلاب قبل كل الدهور، واقترح المجمع دعوة أساقفة الشرق، وآسيه الصغرى، ومصر، والغرب للالتقاء في مجمع مسكوني يجلس في أنقيرة (أنقرة الحالية) للبت في قضية آريوس، وإخراج الكنيسة من الورطة التي وقعت فيها[2].

فتبنى قسطنطين مسألة الإشراف على هذا المجمع بطلب من أساقفة الكنيسة، ويعلل الأب جورج خوام البولسي هذا الأمر بقوله[3]: ((إن الإمبراطور قسطنطين هو صاحب الباع الكبير والفضل الثمين باعتناق الديانة المسيحية من عقال الأسر الذي فرضه عليها الأباطرة الرومانيين السابقين لذلك كان لابد من تكريمه على صنيعه هذا، وأي تكريم أفضل من إظهار وصايته على الكنيسة الفتية بوضع المجمع الممثل الكنيسة كلها تحت إشرافه وفي عهدته، مع ما كان يدور ودون شك في سرائر المجتمعين من رغبة خفية دفعتهم إلى تبني هذه الخطوة، وتتلخص بتأمين غطاء مدني يمكنه أن يفرض بالقوة مقررات هذا المجمع، ويحبوها نفاذاً وفعالية كي تصبح سارية التطبيق لدى الفريق الاريوسي المعارض))، لكن هذا الأمر سوف يصبح فيما بعد وعن طريق الأباطرة المتعاقبين قيداً ثقيلاً على الكنيسة، إذ ستتحكم ميول الأباطرة بالكثير من هذه المجامع على حساب آراء رجال الدين المسيحيين، بل إن

---

[1] عن وفاة اريوس، ينظر، جورج خضر وآخرون، المسيحيون العرب دراسات ومناقشات، مؤسسة الأبحاث العربية، (ط1)، بيروت، لبنان، 1981م، ص18؛ شارل ف. سيبولد، سير الآباء البطاركة، لايوجد دار ولاسنة للطبع، ص 68.

[2] أسد رستم، انطاكيا، ص198.

[3] من مقدمة كتاب، يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص18.

البعض من الأباطرة اخذ يحدد ما يراه مناسباً من العقائد اللاهوتية ويفرض العمل بها على هواه، ويعين الأساقفة والبطاركة ويقيل من يعارض مشيئته[1].

وتمثل أول تدخل للإمبراطور قسطنطين في هذا المجمع في تغييره مكان انعقاده من (أنقيرا) حسب ما كان متفقاً بين الأساقفة في انطاكيا إلى نيقيه، ويعزى تغير المكان إلى أن مناخ نيقية الطف من مناخ انقيرا، وأنها أقرب إلى نيقوميذية (مقر حكم قسطنطين) وان الوصول إليها أسهل على أساقفة الغرب وأوربا[2].

ونيقيه هي العاصمة الثانية لولاية بثينية تقع في الشمال الغربي من أسيا الصغرى (تركيا الحالية) بالقرب من سلسلة جبال الألب، وقد تهدمت منذ زمن بعيد ولم يبق منها سوى إطلال باليه وفي موضعها الآن توجد قرية أسنيك التركية[3].

فأرسل قسطنطين رسائل إلى جميع الأساقفة يدعوهم إلى الحضور لهذا المجمع، وأمر أن يقدم لهم على نفقته مركبات لتقلهم وما يلزمهم من السفر[4].

ويروي المؤرخون أن ثمة اجتماعات جانبية كانت تعقد في الشوارع، والمنازل وتدور مباحثات، ومناقشات حول القضية الرئيسة التي سيعقد بسببها هذا المجمع، وهي العقيدة الاريوسية[5].

وانعقد هذا المجمع من (19 حزيران إلى 25 آب سنة 325م)[6] وتختلف المراجع في عدد الذين حظروا إلى المجمع[7] إلا انها تكاد تتفق على العدد (318) شخصاً.

وخصص للاجتماع الساحة الوسطى في القصر الملكي بالمدينة لاتساعها حيث أعدت فيها المقاعد الكثيرة كما وضع في الوسط كرسي من الذهب ليجلس عليه

---

[1] م. ن، ص18.
[2] ينظر أسد رستم، أنطاكيا، ص199.
[3] ينظر، ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، ص153.
[4] ينظر لومند الفرنسي، خلاصة تاريخ الكنيسة، ص177.
[5] ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، ص157.
[6] ينظر لويس غارديه، فلسفة الفكر الديني، (ج2)، ص274.
[7] يرى افستاثيوس أسقف انطاكيا ان عددهم (270 شخصاً)، ويقول اثاسيوس الإسكندري انهم (300)، ويرى لويس غاردية ان عددهم كان (118) شخصاً، وبعد سنة 360م جعل النصارى عددهم (318 شخصاً)، عن الخلاف حول عدد المجتمعين، ينظر، اسد رستم، أنطاكيا، ص199؛ لويس غاردية، فلسفة الفكر الديني، (ج2)، ص274.

الإمبراطور الذي رغب في حضور المجمع بنفسه[1]، ودخل قسطنطين مكان الاجتماع مرتدياً الأرجوان والذهب ووراءه بعض أفراد حاشيته من المسيحيين، وبعد إلقاء خطبته التي ترجمت من اللاتينية إلى اليونانية شرع المجتمعون في بحث القضايا الماثلة أمامهم[2]. وابتدأت النقاشات داخل المجمع وبرزت العديد من الآراء والعقائد والاتجاهات التي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة اتجاهات رئيسية وأخرى ثانوية وهي:

أ- الموحدون: المنكرون لألوهية السيد المسيح يتزعمهم اريوس و أوسابيوس أسقف نيقيوميذية وكان معهم أغلبية أعضاء المجمع.

ب- القائلون بان للمسيح وجوداً أزلياً مع آلاب وانه من ذات جوهره، وإن مثل اقنوماً مستقلاً عنه، وذكر هؤلاء بان المسيح لو لم يكن كذلك لما صح أن يكون مُخلّصاً، ومن القائلين بهذا الرأي أسقف الإسكندرية الكسندروس وشماسه اثناسيوس الذي كان له الفضل في صياغة قانون الإيمان فيما بعد، والذي عين اسقفاً للإسكندرية خلفاً للأسقف الكسندروس سنة 329م.

ج- وأراد بعضهم التوفيق بين الرأيين ومنهم أوسابيوس أسقف قيصارية حيث قال بان المسيح لم يخلق من العدم بل هو مولود من آلاب منذ الأزل، وعليه فان فيه عناصر مشابهة لطبيعة آلاب، ولا يخفى أن هذا الرأي الذي زعم التوفيق لا يكاد يختلف عن رأي اثناسيوس والكسندروس، مع وجود مجموعات كانت تتبنى آراء ضعيفة ليس لها مناصرون كثر مثل:

د - القائلين بألوهية السيدة مريم .

هـ - وأن الإله ثلاثة صالح وطالح وعدل.

و - ومنهم من يقول أن المسيح ومريم إلهان من دون الله.

ز - ومنهم من كان يقول أن المسيح من الأب بمنزله شعلة من نار تعلقت من شعلة نار فلم تنقص الأولى لإيقاد الثانية منها .

ح - ومنهم من كان يقول لم تحبل مريم لتسعة أشهر وإنما مر نور من بطن

---

[1] ينظر، ناصر المنشاوي، الجوانب الخفية من حياة المسيح، ص153.

[2] ينظر، أسد رستم، أنطاكيا، ص200-201 ؛ منصور المخلصي، الكنيسة عبر التأريخ، ص62.

مريم كما يمر الماء من الميزاب لأن كلمة الله دخلت من إذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها[1].

فأخذت الأصوات تعلو والمناقشات تأخذ طابع الحدة حتى صارت موضوع سخرية من قبل الوثنيين[2]. حتى إن قسطنطين كان يتدخل لفض المنازعات الكلامية بين المجتمعين.

واستطاع اريوس ان يشرح عقيدته في المجمع، واستمع المجمع إلى بعض ما جاء في كتابه الثاليه (المائدة)، وأيد اريوس الكثير من الأساقفه أشهرهم اوسابيوس أسقف نيقوميذية، وأوسابيوس أسقف قيصرية فلسطين، وثيودوتوس أسقف اللاذقية، واثناسيوس أسقف عين زربه، وغريغوريوس أسقف بيروت وغيرهم[3].

وهذا يدلل على مدى انتشار التوحيد في هذه الأماكن مع كل محاولات أهل التثليث لإسكاته واستئصاله، ولم يكتف أهل التوحيد بعرض عقيدتهم بل إن اوسابيوس أسقف قيصرية فلسطين (الموحد) عرض قانون إيمان كان يتلوه في كنيسته وترجى الحاضرين أن يقبلوه ويوافقوا عليه، ولكن الأساقفة المجتمعين رفضوا هذا القانون على صيغته المقترحة فأدخلوا عليه عبارات وأوجبوا القول بان ابن الله مولود من جوهر آلاب، وانه إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر[4]، فأذعن الأساقفة أجمعين لهذه الصيغة وذلك لأن قسطنطين استحسنها ووافق عليها، وهدد بالنفي جميع الأساقفة الذين يبقون على موقفهم المخالف لتلك الصيغة[5]، على أن هناك من يرى أن قسطنطين هو الذي اقترح

---

[1] ينظر: ابن تيمية الحراني (661هـ – 728م)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق د. علي حسن ناصر، د. عبد العزيز إبراهيم عسكر، د. حمدان محمد، (ج4)، دار العاصمة، (ط1)، الرياض، 1414هـ – 1993م، ص224؛ يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص25.

[2] المونسنيور اوتوموير، الحوار اللاهوتي، المداولة المسكونية غير الرسمية بين لاهوتيين في الكنائس الارثوذكسية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ترجمة مارسيل خوري طراقجي، مراجعة واعداد غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، (ط1)، حلب، سورية، 1997 م، ص52.

[3] اسد رستم، أنطاكيا، ص202.

[4] م. ن، ص202.

[5] ينظر، يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص54.

عبارة (المتساوي في الجوهر مع آلاب)[1] والتي استطاع أن يفرضها بالقوة على المجتمعين.

وهكذا اضطر أكثرية الآباء في المجمع مكرهين على قبول هذه الصيغة بعد مناقشات طويلة[2] ومضنية لتفرض في النهاية بالقوة عقيدة إلوهية السيد المسيح، وانه ابن الله حقيقة والتي تعد من أصعب العقائد قبولاً عند المسيحيين[3].

فكانت الصيغة النهائية لقانون الإيمان هي: ((نؤمن باله واحد آب ضابط الكل خالق كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من آلاب أي من جوهر آلاب، إله نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوٍ للآب في الجوهر الذي به كان كل شيء ما في السماء وما على الأرض الذي لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا نزل وتجسد، وتأنس، وتألم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وسيجيء ليدين الأحياء والأموات وبالروح القدس))[4].

ولكي يبعدوا الموحدين، ويعزلوهم الحق الأساقفة بهذا القانون العبارات التالية ((أما أولئك الذين يقولون انه كان زمن لم يكن فيه، وانه لم يكن قبل أن يولد وانه صار من العدم أو من اقنوم آخر أو جوهر آخر، أو إن ابن الله مخلوق، أو متغير، أو متحول فهؤلاء جميعهم تعزلهم الكنيسة))[5]، فحكم قسطنطين على أريوس وأتباعه بالنفي والإبعاد[6].

وتم في المجمع اختيار الأناجيل الأربعة، والتي توافق تلك العقيدة، ورفض غيرها من الأناجيل، والرسائل، والتي تعد بالمئات، وحاربت الكنيسة كل من يمتلك

---

(1) ينظر: منصور المخلصي، تاريخ الكنيسة، ص62.

(2) هنالك من يرى ان هذه المناقشات استمرت ثلاثة اشهر، ينظر د. منقذ بن محمود السقار، هل الله واحد أم ثلاثة، ص92.

(3) ينظر، د. كوبر، الإيمان الحق، تعريب عبد الفادي القاهراني، مطبعة النيل المسيحية، (ط1)، مصر، ب.ت، ص313.

(4) اسد رستم، أنطاكيا، ص203.

(5) م. ن، ص203.

(6) تنبأ المسيح عن هذا الأمر فقال ((سيخرجونكم من المجامع بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم انه يقدم خدمة الله وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا آلاب ولا عرفوني)) ينظر مرقس 13: 9، يوحنا 16: 2، 3.

إنجيلاً غير هذه الأناجيل، وأمرت بإحراق جميع الأناجيل الأخرى، وعدتها كفراً وهرطقة ومنعت من تداولها[1].

وفي ختام جلسات المجمع وقع جميع الآباء على قانون الإيمان، لكن اوسابيوس أسقف نيقوميذية الذي أذعن لمشيئة قسطنطين ومؤيدي العقيدة الجديدة، رغماً عنه كتب وهو يوقع على نص القانون العبارة اليونانية ((ďHotov6tos)) ((هُمُيّوسْيوس)) أي مشابه في الجوهر بدلاً عن عبارة ((ďHoov6tos)) ((هُمُؤسْيوس)) أي مساوٍ في الجوهر ممهداً بعمله هذا السبيل لخلافات حادة وتطورات سريعة سوف تجر الكنيسة فيما بعد إلى انقسامات واضطهادات عدة[2]، لذلك يرى الأب لويس ساكو[3]: ((إن هذه الخلافات والمشاكل اللاهوتية كان سببها بعض اللاهوتيين المنحدرين من الفلسفة اليونانية، الذين أرادوا التعبير عن السر الإلهي بلغة الفلسفة الميتافيزيقية، لكن هذه الكلمات لم تكن مهيأة كفاية للقيام بهذه المهمة، ولم تكن واضحة تماماً. .. وان أول من فتح الطريق أمام هذا التطور الجديد هو مجمع نيقيه سنة 325م الذي ادخل كلمات فلسفية في لب الإيمان للاعتراف بيسوع المسيح كلمة الله وابنه، متبعاً خطاً بيانياً للولادة، أي ان كل مولود حي هو من طبيعة الوالد و نوعه، لذا جاء التعبير (مساوياً للأب في الجوهر) ضد ادعاء اريوس بان الابن أدنى مرتبه من الأب، وخلق هذا التطور صدمة لبعض الكنائس التي شعرت وكان كلمات الكتاب المقدس المكرسة غير كافيه))، ويعزو الأب لويس ساكو[4] استخدام هذه الألفاظ الفلسفية في حينها إلى ((ان الفلسفة اليونانية في عصر الآباء كانت تعد الكائن العقلاني، وحسب المقياس الميتافيزيقي هي الكائن الحقيقي وحده، وتصور اللاهوتيين من هذا المنطلق ان هذه الفلسفة النظرية تمتلك الحقيقة كلها، وتقدر ان تنقلها إلى الناس رسالة مفهومة)).

وبهذا اختتم أول مجمع استطاعت فيه مسيحية بولس من السيطرة على السلطة السياسية لتفرض قراراً ضد التوحيد، ويعترف بالوهية السيد المسيح[5].

---

[1] ينظر عبد الأحد داود، الإنجيل والصليب، ص14.

[2] ينظر، لويس غاردية و جورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، (ج2)، ص288 ؛ يوحنا الفم الذهبي، من مقدمة كتاب إن الله لا يمكن إدراكه، ص45.

[3] كنيسة المشرق والوحدة، مجلة الفكر المسيحي، العدد 303 – 305، آذار – أيار 1995م، ص58

[4] م. ن، ص 59

[5] ينظر أحمد شلبي، المسيحية، ص195.

2- موقف الموحدين من انعقاد مجمع نيقية

حاول الموحدون الوقوف بوجه العقيدة الجديدة وبيان فسادها والدفاع عن التوحيد وذلك بعد الرجوع من مجمع نيقية، فتكلموا عن المساواة في الجوهر، وأوّلوا نص الإيمان النيقاوي، وكان زعيم هذا الاتجاه أسقف اللاذقية ثيودوتوس، ومن جهة أخرى استطاع الاريوسيون أن يصلوا إلى قسطنطين ويكسبوا وده واحترامه وساعدهم على ذلك نفوذهم الكبير في داخل البلاط الملكي حيث كان أحد الاريوسيين معلماً لأخت قسطنطين التي تسمى (قسطندية)، والتي أوصت أخاها بالاريوسيين وهي على فراش الموت، مع إن الإمبراطورة (هيلانه) أم قسطنطين كانت تقرب إليها اوسابيوس أسقف نيقوميذية وثيويغينس أسقف نيقية، والتي شفعت لهما عند ولدها بعد ما أمر بأبعادهما إلى مدينة (غاليه)، فأعادهما إلى مراكزهما[1].

وابتدأ الموحدون بالسيطرة على الكنائس الكبرى والتي كانت تدار من قبل القائلين بالوهية المسيح فكان لهم ذلك بالتدريج، فاستطاعوا السيطرة على كنيسة (انطاكيا) المهمة وذلك سنة (330م) وعينوا عليها الأسقف بافيلنوس، وعلى كنيسة الإسكندرية وتوابعها الأسقف بيستوس، وفي تلك الأثناء استطاع الاريوسيون أن يقنعوا قسطنطين بالعفو عن اريوس وعودته من منفاه فكان لهم ذلك في خريف سنة 334م[2].

وبذلك استطاع الموحدون عزل أساقفة المدن الكبرى والمهمة وإحلال أساقفة موحدين بدلاً عنهم، ولم يكتفوا بذلك بل استطاعوا أن يعقدوا العديد من المجامع: أولها كان في أنطاكيا سنة (329م) ثم مجمع قيصرية سنة (334م) والذي كان يحضر لانعقاد مجمع صور سنة (335م) الذي حضره كثير من الأساقفة الذين حضروا إلى مجمع نيقية المسكوني الأول سنة (325م)[3].

ويعزى سبب انعقاد مجمع صور إلى اشتداد الأزمة بين الاريوسيين

---

[1] أسد رستم، أنطاكيا، ص206 وما بعدها ؛ أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص107-108.

[2] أسد رستم، أنطاكيا، ص210.

[3] ينظر، أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص108.

واثناسيوس* بطريرك الإسكندرية والذي يعد من ألد أعداء الموحدين، ومن القائلين بألوهية السيد المسيح.

وجهت في هذا المجمع اتهامات عديدة لأثناسيوس أهمها: العبث بالمقدسات، وضغطه على رجال الدين، وعسفه، وجوره مع اتهامه بالفجور.

انعقد هذا المجمع بحضور ستين أسقفاً، ناقشوا الاتهامات الموجهة إلى اثناسيوس، فأتفقوا على تشكيل لجنة وإيفادها إلى مصر للتحقيق في الاتهامات، وهاج السكان ضد اثناسيوس وتوافدوا على قاعة الاجتماع متهمينه بالسحر، والقساوة، واعتدوا عليه بالضرب الشديد وحاولوا قتله[1]، ولكنه استطاع أن ينسل ويهرب إلى القسطنطينية محاولاً لقاء الإمبراطور الذي رفض أن يسمع منه، وكانت وجهة نظر الإمبراطور حول اثناسيوس بانه وقح، ومتعجرف، ومشاغب[2]، فحكم عليه بالجريمة ونفاه إلى تريف وهي مدينة كبيرة من أمصار غاليا في بلجيكا[3]، وقرر المجمع خلع اثناسيوس من رئاسة كنيسة الإسكندرية، وكتب المجتمعون بذلك إلى جميع الكنائس لحرمانه من الكنيسة، ولقد اعد المجتمعون العدة لدفن مقررات مجمع نيقية[4].

ثم أعقبه مجمع آخر في القسطنطينية سنة (336م)، وفي أنطاكيا سنة (340م) و (341م) حيث أصدر فيهن العديد من المقررات التي تتفق ومنهج التوحيد، ومجمع آرلس في فرنسا سنة (353م)، ومجمع ميلانو بايطاليا سنة (355م)، ومجمع سرميوم جنوب فرنسا سنة (357م) الذي وقع صيغة إيمان جديدة أنكر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر، وفي سنة (359م) عقد مجمعين، مجمع ريمني في الغرب، ومجمع سلوقية في سوريا، وأيد كلا المجمعين الاريوسية كل التأكيد وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها أريوسية موحدة، ولقد تسبب مجمع ريمني الغربي في تعديل صيغة مجمع نيقية وأعلن لواء الاريوسية في العالم المسيحي كله.

---

* اثناسيوس: كان شماساً في كنيسة الإسكندرية عند عقد مجمع نيقية وحضره بنفسه، استطاع ان يصل إلى رئاسة الكنيسة بعد وفاة البطريرك الكسندروس سنة (328م)، ينظر، منصور المخلصي، الكنيسة عبر التأريخ، ص62.

[1] أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص108.

[2] أسد رستم، أنطاكيا، ص215.

[3] لومند الفرنسي، خلاصة تاريخ الكنيسة، ص182.

[4] أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص108.

وفي سنة (361م) قام الاريوسيون بعقد مجمع أنطاكيا ووضعوا فيه صيغة إيمان جديد تعلم أن الابن غريب عن أبيه مختلف عنه في الجوهر والمشيئة، وقد ثبتت هذه العقيدة في مجمع انعقد بالقسطنطينية في نفس السنة وقام الاريوسيون بنشرها في أنحاء العالم ووضعوا (17) قانوناً للإيمان[1] تخالف قانون مجمع نيقية[2].

وبذلك استطاع الموحدون أن يسيطروا على الكنيسة، وينشروا التوحيد لذلك يقول ول ديورانت[3]: ((وأخرج الكهنة الذين استمسكوا بعقائد مجمع نيقية من كنائسهم، وكان الغوغاء في بعض الأحيان هم الذين يخرجونهم منها، واتى على المسيحية نصف قرن من الزمان لاح فيه أنها ستؤمن بالتوحيد وتتخلى عن عقيدة ألوهية المسيـح، وكان اثناسيوس في هذه الأيام العصيبة يقول عن نفسه انه يقف وحده في وجه العالم كله فقد كانت جميع قوى الدولة تقاومه)).

ثانياً: مجمع القسطنطينية سنة 381م.

استمرت سيطرة الأريوسيين على مقاليد الحكم السياسي وإدارة الكنائس المهمة في العالم المسيحي، إلى أن تولى الإمبراطور ثيودوسيوس الحكم سنة (378م) بعد مقتل الإمبراطور الاريوسي (فالنيوس) في إحدى المعارك، وابتدأ هذا الإمبراطور بمحاولة استئصال الفكر الاريوسي وإحلال فكر إلوهية السيد المسيح محله، فأصدر سنة (380م) قراراً جعل فيه العقيدة الكاثوليكية المؤلهة للمسيح هي دين الدولة الرسمي وجعل غريغوريوس النازيانزي أسقفاً للقسطنطينية بعد إقصاء جميع الأساقفة الموحدين في محاولة لتثبيت عقيدة مجمع نيقية[4].

ويعد غريغوريوس النازيانزي واحداً من أهم الآباء القبدوقيين الثلاثة*، الذين حاربوا الآريوسية وتمسكوا بعقيدة مجمع نيقيه، وأصدروا العديد من الكتب

---

(1) لم استطع أن أقف على هذه القوانين ومضامينهن وذلك لندرة هذه المصادر في المسيحية.

(2) ينظر، أحمد عبد الوهاب، اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، ص108-109؛ يوحنا الفم الذهبي، إن الله لا يمكن إدراكه، ص46.

(3) قصة الحضارة، (ج12)، ص20.

(4) ينظر، جان كمبي، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص122-123 (بتصرف).

* ينسب هؤلاء الآباء الثلاثة إلى مدينة قبدوقيه التي تقع شمال فلسطين وعاصمتها قيصرية، وهم:

والتعاليم التي تخالف الاريوسية، إلا أن أهم عمل قام به إمبراطور ثيودوسيوس هو دعوته لعقد مجمع القسطنطينية في العاصمة نفسها وذلك في سنة (381م).

ويعزو الدكتور أحمد شلبي سبب انعقاد المجمع إلى ((إن المجتمعين في نيقية بعد أن قرروا ألوهية المسيح، تركوا للناس الحرية في الاختلاف على الروح القدس، وفي ضوء الحرية وجد اتجاهان يتصارعان حول ذلك، تتزعم الكنيسة الإسكندرية أحدهما والذي يقول بالتثليث وان المسيطر على العالم قوى ثلاث، المكون الأول، والعقل (الابن)، والنفس العامة (الروح القدس)، ويتزعم الاتجاه الآخر بعض القساوسة وفي مقدمتهم رجل يدعى مقدونيوس* الذي أعلن أن الروح القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع))[1].

وأراد الإمبراطور ثيودوسيوس اقتفاء أثر الإمبراطور قسطنطين في عقده لهذا المجمع، فدعا جميع أساقفة الشرق للحضور إلى القسنطينية، ورتب من خزينته ما يلزم المجمع من النفقة والمأوى[2].

ولم يحضرمن الأساقفة سوى (150) أسقفاً فقط[1]، وغالب الظن أن جُلَّ الأساقفة الاريوسيين لم يحضروا إلى هذا المجمع، وكان حضورهم ضئيلاً جداً،

1- غريغوريوس النازيانزي: كان أبوه أسقفاً على مدينة نزينزا في قبدوقية سنة (329م)، ولد سنة (330م) وتوفي سنة (390م) أمعن في الدراسات اليونانية في المراكز الثقافية الكبرى، عين أسقفاً على قرية فلاحية تسمى سايمانية 372م.

2- باسيليوس الكبير: ولد سنة (339) وتوفي سنة (379م) تخرج من المدارس الفلسفية اليونانية في قيصرية، وأثينا، والقسطنطينية، عين أسقفاً على قيصرية سنة (370م) توفي وله من العمر (49) عاماً.

3- غريغوريوس النصي: وهو اخ باسيليوس ولد سنة (332م) وتوفي سنة (394م)، عين أسقفاً لمدينة صغيره تدعى (نصا) وله من العمر (30سنة) وحضر جمع القسطنطينية سنة (381م) وكان من المدافعين عن الإيمان النيقاوي فيه. ينظر، منصور المخلصي، الكنيسة عبر التأريخ، ص65 وما بعدها.

* مقدونيوس: كان أسقفاً للقسطنطينية من (342-346م) ثم (351-360م)، وهناك من يرى انه كان أسقفاً للإسكندرية، اريوسي العقيدة، كان ينكر ألوهية الروح القدس ويرى انه مخلوق وليس إله. ينظر: لويس غارديه وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، (ج2) ص281؛ لومند الفرنسي؛ خلاصة تاريخ الكنيسة: ص221.

[1] المسيحية، ص95.

[2] لومند الفرنسي، خلاصة تاريخ الكنيسة، ص229.

ويمكن أن يعزى سبب ذلك إلى أن بوادر توجهات الإمبراطور التثليثية كانت بارزة للعيان، وذلك من خلال إعلانه سنة (380م) أن دين الدولة الرسمي هو العقيدة الكاثوليكية المخالفة للاريوسية والمتناحرة معها[2].

فضلاً عن ذلك معرفة الاريوسيين المسبقة بأن مسألة ألوهية الروح القدس سوف تفرض بالقوة في هذا المجمع من دون نقاش، وأن مصير المعترضين سوف يكون أليماً وذلك لقساوة هذا الإمبراطور، وسطوته، وجبروته، ومثال ذلك ما حصل لمدينة تسالونيقيا التي رفعت راية العصيان بوجهه، وثار فيها شغب كبير أدى إلى مقتل واليها من قبله، وعندما وصله الخبر تَسَعَّرت نيران الغضب في أحشائه فأمر بقتل سكان هذه المدينة اجمعهم حتى شمل الأبرياء، فقتل منهم سبعة الآف شخص في يوم واحد[3].

وحضر الإمبراطور ثيودوسيوس جلسات المجمع بنفسه، وعين الأسقف ملاتيوس أسقف انطاكيا للتصدر وإدارة المجمع وكان الإمبراطور يحترمه ويجله لانه رآه في حلم فأراد إكرامه بذلك.

وافتتح المجمع بأحتفال كبير، وأراد الإمبراطور والمجتمعون إرجاع المقدونيين (اتباع مقدونيوس) عن آرائهم فأبوا ذلك وتركوا المجمع واجتماعاته فعاملهم المجمع معاملة الهراطقة والملحدين[4].

فقرر المجمع حرمان مقدونيوس وأتباعه الاريوسيين القائلين بخلق الروح القدس وتجريدهم من وظائفهم الكنيسة، مع تثبيت مقررات المجمع النيقاوي، وإثبات قانون إيمانه وعدل بعض الصيغ، منها ما كان حول تجسيد المسيح حيث أن القانون النيقاوي كان يقول ((نزل من السماء وتجسد وصار إنساناً وتألم وقام اليوم الثالث وصعد إلى السموات وسيأتي ليدين الأحياء والأموات: أما قانون المجمع القسطنطيني فقال: نزل من السموات وتجسد بالروح القدس من مريم العذراء وتأنس وصلب لأجلنا على عهد بيلاطوس البنطي وتألم، وقبر، وقام في

---

[1] ينظر، د. منقذ بن محمود السقار، الله واحد أم ثلاثة، ص75؛ لويس غاردية و جورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، (ج2)، ص274.

[2] ينظر، لومند الفرنسي، تاريخ الكنيسة، ص226

[3] عن مصير مدينة تسالونيقيا، ينظر، لومند الفرنسي، خلاصة تاريخ الكنيسة، ص229.

[4] ينظر: لومند الفرنسي، خلاصة تاريخ الكنيسة، ص226.

اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب وأيضاً يأتي بمجد عظيم ليدين الأحياء والأموات وليس لملكه انقضاء)).

وفيما يخص الروح القدس فان المجمع النيقاوي كان لفظه: نؤمن بروح القدس، أما المجمع القسطنطيني فأضاف إليها: نؤمن بروح القدس الرب المحي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن يسجد له ويمجد الناطق بالأنبياء[1]، وبذلك جعل الروح القدس هو الرب المسيحي الثالث من الاقانيم لذلك تجب عبادته مع الآب والابن، والزم ثيودوسيوس الناس على هذه المقررات بالقوة[2].

وبما ان هذا المجمع لم يكن الا مجمعاً محلياً ولم يحضره الا أساقفة الشرق، لذلك طلب من البابا التوقيع على مقرراته ليكون مجمعاً مسكونياً فتلزم مقرراته العالم المسيحي اجمع[3].

وبذلك اكتمل الثالوث المسيحي واستحدث قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني وأخذ صورته النهائية في النص الآتي: ((نؤمن بإله واحد، آب ضابط الكلّ، خالق السماء والأرض، كلّ ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور: إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، واحد مع الآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء، وصار إنساناً، وصُلب عنا، على عهد بيلاطس البنطيّ، وتألم وقُبر، وقام في اليوم الثالث، كما في الكتب وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الآب، وأيضاً يأتي بمجدٍ عظيم، ليدين الأحياء، والأموات، ولافناء لملكه، ونؤمن بالروح القدس، الرب المُحيي، المنبثق من الآب، الذي هو مع الآب والابن

---

[1] لم يكتمل قانون الإيمان المسيحي بهذا الشكل بل أضيفت إليه العديد من الفقرات وعدلت بعض عباراته، فقد أضاف إليه اللاتين في القرن الثامن الميلادي إلى النص عبارة ((والابن)) في قولهم عن الروح القدس ((المنبثق من الآب والابن)) والتي صارت هذه العبارة أحد أسباب انقسام الكنيسة اللاتينية والكنيسة اليونانية فيما بعد. ينظر جان كمبي، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص123.

[2] عن مقررات مجمع القسطنطينية، ينظر، د. منقذ السقار، الله واحد أم ثلاثة، ص75؛ لويس غارديه وجورج قنواتي، فلسفة الفكر الديني، (ج2)، ص289 ؛ لومند الفرنسي، خلاصة تاريخ الكنيسة، ص266.

[3] جورج قنواتي، المسيحية والحضارة العربية، ص26.

مسجود له وممجد، الناطق بالأنبياء، وبكنيسة واحدة، ومقدسة، جامعة، رسوليّة، ونعترف بمعمودية واحدةٍ لمغفرة الخطايا، ونترجى قيامه الموتى، والحياة في الدهر الآتي)).[1]

ويعترف المسيحيون أن هذا القانون ما صيغ من خلال مناظرات فكرية هادئة، بل غالباً من خلال المصادمات العنيفة، والتي كانت مصادمات شخصية، وثقافية، وإقليمية، رافقها أبعاد إلى المنفى، ومشاجرات دموية، وتدخلات عسكرية وبوليسية[2].

ثالثاً: الفهم المسيحي لطبيعة الثالوث

اكتمل الثالوث المسيحي واعترف به بعد انتهاء أعمال مجمع القسطنطينية المسكوني وإقراره ألوهية الروح القدس، وليصاغ قانون الإيمان المسيحي الذي يعترف المسيحيون بصعوبة فهمه ((فكثيرمن المسيحيين يجدون اليوم صعوبات في فهم هذا القانون.. فبعض التعابير مثل «مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر» وغيرها تبدو لهم غريبة، ومبهمة، ويرون أن تلك التعابير لم تعد تناسب تساؤلاتهم، وقد لا تعني لهم شيئاً، لذلك لا يقبلون أن يشاركوا في تلاوة قانون الإيمان الجماعي إلا بقدر ما يفهمونه ويقبلونه شخصياً))[3].

ويؤكد المطران كوركسي كرمو[4] على صعوبة فهم هذا القانون من قبل العقل الإنساني فيقول: ((لابد من الاعتراف بلا مواربة بان رغم كشف الله لنا عن ذاته بأنه واحد في جوهره ومثلث في اقانيمه فانه يبقى دوماً أمام عقلنا القاصر سراً لا يدرك كنهه، ولا يمكننا التعبير عنه بنوع واضح، ولا الإفصاح عنه بنوع عملي، لأنه موضوع إيمان يفوق عقلنا البشري)).

بينما يميز الأب مبارك أبي طربية[5] بين العقول التي تفهم هذا الإيمان فيقول: ((إن الكلام في سر التثليث هو غامض جداً على العقل البشري وحده، فكيف يستطيع العقل القاصر أن يتكلم في موضوع يفوق نطاقه، على انه وان كان

---

[1] فالتر كاسبر، المسيحية في عقائدها، ص14.

[2] ينظر، جان كمبي، دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، ص118.

[3] فالتر كاسبر، المسيحية في عقائدها، ص52.

[4] اللاهوت العقائدي، الإنسان والله، (ج1)، ص184.

[5] دراسات دينية، ص35.

هذا السر غامضاً على العقل البشري وحده فليس بغامض على العقل المتميز بالإيمان)).

ومع صعوبة فهم هذه العقيدة فان النصارى يتفقون على أن كلمة ((الثالوث)) لم ترد في الكتاب المقدس قط[1]، وان أقصى ما ذكر حول التثليث في الكتاب المقدس نصان ذكر فيهما عناصر التثليث وهما:

الأول: النص الذي أورده متى في إنجيله بقوله: ((فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً دفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعَمِّدُوهم باسم الآب والابن والروح القدس))[2].

الثاني: في الرسالة الأولى ليوحنا في قوله: ((فان الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة، الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد))[3].

فأنفرد متى من بين كتبة الأناجيل الأربعة بذكر هذه العبارة المهمة التي أهمل البقية ذكرها، مع أن كتبة الأناجيل الأربعة يتفقون على إيراد قصة دخول المسيح إلى أورشليم وهو راكباً على جحشٍ بينما لا يتفقوا على عبارة التثليث هذه ؟.

فهل يعقل أن يتمسك كتبة الأناجيل الثلاثة الآخرين (مرقس، لوقا، يوحنا) بعبارة ركوب المسيح على جحش ودخوله إلى أورشليم، ويهملون رواية الثالوث المقدس لديهم والتي تعد واحدة من أهم عقائد النصارى، إن هذا الأمر يقطع يقيناً أن هذه الرواية قد أضيفت إلى إنجيل متى في مراحل متأخرة خصوصاً – وكما قدمنا – أن هذه الأناجيل لم تأخذ قانونيتها النهائية إلا في مجمع نيقية سنة (325) أي بعد ما يقارب ثلاثة قرون من كتابتها لأول مرة.

ويستدل كذلك على عدم صحة هذه الفقرة ما ورد سابقاً من أن السيد المسيح بعث إلى بني إسرائيل فقط، وان تلاميذه ساروا على نهجه هذا، وان الذين تركوا القدس من تلاميذه الهيلينيين بعد مقتل استفانوس وأخذوا ينشرون تعاليمه

---

[1] ينظر، الأب توماس ميشيل اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية، محاضرات ألقيت في كلية الشريعة الإسلامية في انقرة، تركيا، دار المشرق، بيروت، 1993م، ص62؛ المطران كوركيس كرمو، اللاهوت العقائدي، ص184؛ الأب بولس ضاهر، أمضى من كل سيف، منشورات مجلة شربل لصيف، 1965م، ص70.

[2] متّى 28: 18-19.

[3] رسالة يوحنا الأولى 5: 7.

لم يكونوا يخاطبون إلا اليهود، وهذا يقطع بعدم صحة هذه العبارة وأنها أضيفت إلى الإنجيل لاحقاً لتأكيد مسألة الثالوث التي لا يرد ذكرها في الكتاب المقدس أجمع.

إما النص الثاني والذي أورده يوحنا في إحدى رسائله فهو نص لا يرد في إنجيل يوحنا الذي يعد واحداً من أهم الأناجيل الأربعة عند النصارى وذلك لأسلوبه الفلسفي وانه الإنجيل الوحيد الذي كان يؤكد على مسألة لاهوت المسيح فالسؤال الذي يرد إلى الذهن هنا: كيف يهمل يوحنا هذه العبارة المهمة في إنجيله الذي يؤكد على لاهوت المسيح، بينما تظهر هذه العبارة في إحدى رسائله، والتي لا يعرف النصارى لمن كتبها وإلى أين بعثها[1] ؟.

ويورد الدكتور منقذ بن محمود السقار[2] العديد من الطعون التي وجهت إلى هذا النص بالتحديد فيقول: ((إن هذا النص غير موجود في سائر المخطوطات القديمة للكتاب المقدس بل انه غير موجود في أول نص مطبوع فقد أضيف لاحقاً، واعترف بإضافته علماء النصرانية ومحققوها .. كما حذفته بعض التراجم العالمية من نصوصها لاعتقادها بعدم صحته)).

واستطاعت الكنيسة أن توجد الصياغة الفلسفية المناسبة لهذا اللاهوت من خلال كتابات آباء الكنيسة وليس عن طريق كلام السيد المسيح، ولا من خلال الكتب المقدسة ويوضح المطران كوركيس كرمو[3] هذا الأمر بقوله: ((إن الكلمات الفلسفية اللاهوتية التي تغلف هذا السر المعبود هي غير واردة في العهد الجديد، إنما الكنيسة واستناداً إلى مساواة الأقانيم الثلاثة في طبيعتهم الجوهرية أو ذاتهم الحقيقية ومطابقة الخواص والصفات على كل اقنوم استخرجت منها لاهوتاً بعد ملاحظتها بعض النصوص الصريحة التي تشير إلى ذلك)).

ويختلف النصارى في تحديد الشخص الذي أوجد هذا المصطلح (التثليث) فيرى البعض[4] إن ثاوفيلس الانطاكي أسقف أنطاكيا سنة (180م) هو أول من

---

[1] ينظر، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2717.

[2] الله واحد أم ثلاثة، ص84.

[3] اللاهوت العقائدي، ص184.

[4] توماس ميشيل، مدخل إلى العقيدة المسيحية، ص62؛ المطران كوركيس كرمو، اللاهوت العقائدي، ص184.

تكلم عن مصطلح الثالوث وذلك من خلال دفاعه عن المسيحية في كتاباته ضد الوثنيين وضد مرقيون، بينما يرى آخرون إن ترتليان* اللاهوتي قد سبق غيره من الآباء الغربيين إلى استعمال هذا اللفظ[1].

وأياً كان واضع هذا المصطلح فهو لا يخرج عن حقيقة أن هذا المصطلح اللاهوتي هو من وضع البشر، وليس من وضع نبي، ولا رسول، ولم يرد في أي كتاب مقدس بل انه من إعمال الفكر البشري القاصر لإدراك ذات الله تعالى، والذي استحسنته الكنيسة وخصوصاً أنها كانت تبحث عن مصطلح يجمع بين هذه المسميات الثلاثة، والتي كانت موجودة ومعروفة للناس قبل استحداثه، وذلك عن طريق احتكاك المسيحيين بالأمم المجاورة لهم والتي يحتوي تراثها الديني على الإله الذي يرمز إلى المعبود الثلاثي الأقانيم، وهذا ما نراه واضحاً في معبودات المصريين القدماء، والفرس والوثنيين الأغريق[2]. وما كان يعلم به سيمون الساحر وتلاميذه من بعده.

إن مفهوم الثالوث المسيحي يقوم على فكرة أن ذات الله عبارة عن ثلاثة اقانيم (الآب والابن وروح القدس) فالآب: هو الاقنوم الأول من الذات الإلهية مع كونه والد الاقنوم الثاني وهو مكون الكائنات والابن: هو الاقنوم الثاني وولد الاقنوم الأول وأبنه الوحيد وانه خلص العالم من الخطيئة بعد أن نزل وتجسد ومات على الصليب، والروح القدس هو الاقنوم الثالث من الثالوث، وهو يصدر عن ركني التثليث الآخرين بصورة دائمية وأبدية ومهمته إعطاء الحياة وإرشاد المسيحيين، وان هذه الاقانيم ليست ثلاثة آلهة بل هم يدعون وجود إله واحد باعتبار أن الواحد من الثلاثة وان الثلاثة واحد[3].

---

* ترتليان: لاهوتي من شمال أفريقيا من مواليد قرطاجنة في تونس سنة (150م)، كان محامياً قبل أن يهتدي إلى المسيحية سنة (195م) رسم كاهناً سنة (200م) اشتهر ببلاغته وصياغاته للمصطلحات اللاهوتية، عن حياته، ينظر، الآب لويس ساكو، الكنيسة الأولى، ص108.

[1] ينظر، أسد رستم، آباء الكنيسة، ص190 ؛ يوسف متّى، الإنجيل كما أوحي إلى القديس لوقا، ص23 ؛ لويس ساكو، الكنيسة الأولى، ص108.

[2] عن التثليث عند الأمم، ينظر، محمد طاهر التنير، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص35-38.

[3] ينظر عبد الأحد داود، الإنجيل والصليب، ص8-9 (بتصرف).

إن القول بتثليث في وحدة أي بإله واحد له اقانيم ثلاثة يقود إلى تساؤل مهم هو: كيف خرج أحد هذه الأقانيم الثلاثة ودخل رحم مريم العذراء ثم امتزج بالناسوت واصبح إنساناً في مظهره ؟ إن هذه الصيغة تدل على تعدد ظاهر في الذات الإلهية فكيف يعقل أن يخرج أحد هذه الأقانيم وينزل إلى الأرض ويبقى هناك على الأرض بينما الاقنومان الآخران في مكان آخر بعيدان عنه، ثم يصر النصارى على أن هؤلاء الثلاثة هم واحد ولا يتجزؤون إلى ثلاثة.

ويوضح ابن حزم[1] هذا الفهم فيقول: ((إن الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد هي غير الثلاثة التي هي عندكم (النصارى) بلا شك لأن الثلاثة التي تجمع الزوج والفرد ليست الفرد الذي هو فيها وهي جامعة له ولغيره، بل ولا هي بعض فالكل ليس هو الجزء والجزء ليس هو الكل، والفرد جزء لثلاثة، والثلاثة كل للفرد وللزوج معه، فالفرد غير الثلاثة والثلاثة غير الفرد)).

إن سبب التضارب في الفهم هو في إصرار النصارى على الجمع بين ضدين فالله واحد ولكن له وجوه ثلاثة، ولكننا حين نجمع (1+1+1=3) فان هذا يخالف المفهوم القائل ان الثالوث واحد، لذلك فان النصارى يرون ان الصيغة المثلى هي أن (1X1X1=3) وهذا لا يصح في الحساب، ولا في العقل لان الثالوث عند النصارى يقضي بتمايز واستقلال الاقانيم بعضها عن بعض، وان لكل واحد منهم عمله الخاص به لذلك يقول ناشد حنا[2]: ((إن الاقانيم الثلاثة متميزون أي إن لكل اقنوم بعض أعمال خاصة لا نستطيع نسبتها إلى الاقنومين الآخرين فهناك تميز واتحاد ولكن ليس هناك امتزاج، أي لا نستطيع أن نقول أن الابن هو الآب، ولا الآب هو الابن مع أن الابن والآب واحد.. ولا نستطيع أن ننسب إلى الابن ما اختص به الآب ولا ننسب إلى الآب ما أختص به الابن فنقول مثلاً إن الآب تجسد وأتى إلى العالم مولوداً، ومات على الصليب)).

ومما يفيد أيضاً المغايرة بين الاقانيم الثلاثة ما جاء على لسان بطرس قوله ((يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس والقوة الذي جال يصنع خيراً))[3]. فيفهم من النص أن الله مسح عيسى عليه السلام بالروح القدس فهم ثلاث

---

[1] الفصل في الملل، (ج1-2)، ص52-53.

[2] الله واحد في ثلاثة اقانيم، ص60.

[3] أعمال الرسل 10: 38.

شخصيات متمايزة منفصلة، وأكد بولس على خضوع المسيح في النهاية لله فقال: ((ومتى اخضع له الكل فحينئذ الابن نفسه أيضاً سيخضع للذي أخضع له الكل (أي الله) كي يكون الله الكل في الكل))[1]. فهو ولاشك دون الآب خاضع له وليس هو الآب فهل هذان اقنومان متساويان أم شخصان متغايران ؟.

وكذلك يتغاير الابن عن الروح القدس ولا يتساويان لذا يقول السيد المسيح ((ومن قال كلمة عن ابن الإنسان يغفر له وأما من قال عن الروح القدس فلن يغفر له لا في هذا العالم ولا في العالم الآتي))[2]، فدل النص على أن روح القدس أفضل من المسيح وهو أيضاً مخالف لترتيب صيغة التثليث التي تقدم المسيح على الروح القدس، ومما يؤكد المغايرة بين هذه الاقانيم وعدم تساويها تحريم الكنيسة أي تغيير في ترتيب الثالوث كالقول باسم الروح القدس والابن والآب وغيرها من الصيغ، إذ يعد هذا القول هرطقة وقد كان قولاً شائعاً في أوربا في العصور الوسطى، وقد حاربته الكنيسة حتى اندثر. فمنع هذه الصيغة دال على عدم التساوي والأمر بالمحافظة على الترتيب المشهور مشعر بأهمية بعض الأقانيم على بعض[3].

ثم لا تخلو من أن تكون الإلهة الثلاثة متساوية في العلم والقدرة والحكمة أو متفاضلة في ذلك فَيَعْلم وَيقْدر أحدهم على ما لا يعلمه ويقدره الآخران فان تساووا كان ما زاد على الواحد فضلاً غير محتاج إليه، وان تفاضلوا كان المفضول ناقصاً ولا يسوغ إدخال النقص على الإلهة[4].

وللاهوت خواص يمتاز بها يوجزها القس بولس سباط[5] فيقول: ((ولنا في الذات الإلهية ثلاثة اقانيم لكل واحد منها خاصية فخاصية الاقنوم الأول الوالدية، والثاني المولودية، والثالث الانبثاقية)) ويعرّف النصارى الاقانيم على أنها: ((كائن عاقل يكون وحده كلاً كاملاً أهل لإتيان أفعال خاصة به كالملاك أو الإنسان، ومن ذلك يخرج الحيوان من هذا المفهوم لانه غير عاقل، ولا النفس البشرية لأنها وان كانت عاقلة فليست كلاً كاملاً بل هي جزء من الكل الذي هو الإنسان))[6].

---

[1] كورنثوس الأولى 15: 28.

[2] متّى 12: 32.

[3] عن ذلك ينظر، د. منقذ بن محمود السقار، الله واحد أم ثلاثة، ص74.

[4] ينظر، نصر بن يحيى، النصيحة الإيمانية، ص63-64.

[5] المشرع، ص11.

[6] ينظر الأب مبارك أبي طربية، دراسات دينية، ص36.

ويعرّفه المطران كوركيس كرمو[1] على انه: ((جوهر فردي موجود في ذاته ولأجل ذاته، موجود في طبيعة عاقلة، وهو مرادف للشخص)).

وان لهذه الاقانيم الثلاثة طبيعة إلهية واحدة عامة للجميع ذات جوهر واحد يملكها كلها كل اقنوم من الاقانيم الثلاثة، دون قسمة، ولا تجزئة، وهي الطبيعة الإلهية[2].

أما كيف تتحد هذه الاقانيم الثلاثة فيما بينها ؟ فيجيب الأب مبارك أبي طربية[3] عن هذا التساؤل بالقول: ((لأن كل اقنوم منهم هو كله في الاقنومين الآخرين دون اختلاط، ولا امتزاج، بقوة وحدة الطبيعة)). وهذا الكلام مردود لما ذكر سابقاً حول التمييز الموجود بين هذه الاقانيم بعضها البعض والذي يعترف به المطران كوركيس[4] فيقول: ((رغم وحدة الطبيعة في الاقانيم إلا أن هناك تمييزاً حقيقياً بينهم بموجب الصدور، اعني نوع امتلاك الجوهر الإلهي من قبل كل اقنوم)).

ويرى المسيحيون أن عقيدة التثليث لا تخالف التوحيد فيقول يوسف متى[5]: ((لا تتعارض عقيدة الثالوث مع فكرة التوحيد فليست الصيغة (الآب والابن والروح القدس) عبارة عددية بل إنها تشير إلى شكل وجود الله)). ويؤكد ا.م هودجكن[6] على القول بـ لا إله إلا الله إلا انه يرى: ((أن الله ذو ثلاثة اقانيم متميزين فيما بينهم حقاً الآب والابن والروح القدس وهم مع ذلك متحدون بصلات الأصل اتحاداً جوهرياً بلاهوت واحد فالآب يلد الابن والآب والابن منهما ينبثق الروح القدس وكل من هؤلاء الاقانيم إله حق، ولكنهم ليسا ثلاثة آله بل هم جميعاً ولكل واحد منهم لاهوت واحد)).

ولا يتفق المسيحيون على كلمة الاقانيم للتعبير عن ذات الله تعالى، لذلك يرى الاب غستون ساليه[7] أن تبدل لفظة الاقانيم إلى أوجه فيقول: ((لماذا لا يكون

---

[1] الإنسان والله، ص185.

[2] الأب مبارك أبي طربية، دراسات دينية، ص37.

[3] الأب مبارك أبي طربية، دراسات دينية، ص41.

[4] الإنسان والله، ص185.

[5] الإنجيل قراءة شرقية، ص23.

[6] المسيح في جميع الكتب، دار منشورات النفير، (ط3)، بيروت، لبنان، 1980م، ص111.

[7] إيماننا المسيحي، عربه الأب جبرائيل عقيقي اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1955م، ص117

هؤلاء الثلاثة اقانيم ثلاثة أوجه مختلفة للدلالة على الاقنوم الإلهي الوحيد بحسب موقفه وفعله في حياتنا ؟ فالله الذي يخلقنا ويفيدنا وَيُبَرِّرَنا يكون اباً بصفته خالقاً، وابناً بصفته فادياً وروحاً بصفته مبرراً)).

ويرى ناشد حنا [1] ((إن بعض الترجمات الإنجليزية استعملت كلمة شخص للتعبير عن الاقنوم.. وان أقرب كلمة عربية لمدلول الاقانيم هي كلمة (تعينات)*))، ويرى عوض سمعان[2] ان استخدام مصطلح التعينات يدخل في الكثير من المشاكل فيقول: ((إن هذه الحقيقة تدخلنا في مشكلة من أدق المشكلات لان كل ماله تعين يوجد في مكان ما فأين يوجد الله ؟ إن قلنا انه في السماء فقط فقد أخطأنا لانه هو الذي خلقها وان كان مقره فيها وحدها فأين كان قبل خلقه إياها، وان قلنا انه في الأرض والسماء فحسب فقد أخطأنا لانه هو الذي خلقهما، وان كان مقره فيهما فقط فأين كان قبل خلقه لهما؟!)) ويحاول أن يجيب على هذا التساؤل بالقول: ((بما أن تعين الله لا يحده حد.. إذاً فهو أسمى من أن يحده مكان من الأمكنة أو كما كان يقول بعض علماء الدين: انه أسمى من أن تحده الفوقية أو التحتية أو اليمينية أو اليسارية)).

إن جميع هذه التصورات البشرية حول طبيعة الله تعالى جاءت لكي يمرروا فكرة أن الذات الإلهية متعددة الاقانيم، وبذلك فهي تقبل التجزئة، ومن ثمَّ تستطيع ان تتحدَ في الجسم البشري، وهي مقدمة لتدعيم فكرة أن ينزل الله ويتجسد في رحم امرأة ويولد ثم يعيش على الأرض ثم يضرب ويهان لتنتهي حياته على الصليب كما يقولون. ويرى القس بولس سباط[3] ((إن الولادة اسم مشترك يطلق على البسيط العقلي وعلى المركب الحسي، والله منزه عن التركيب والحس وهو قائم بذاته وعلة العلل.. فلا تكون ولادته معلولة بل كصدور النور من النار، والشعاع من الشمس، والنطق من النفس. . فنبوة الكلمة الأزلية إذاً هي النبوة

---

[1] الله واحد في ثلاثة اقانيم، هذا الكتاب حمل من موقع (كلمة الحياة)، ص42

* التعين: ما به امتياز الشيء عن غيره بحيث لا يشاركه فيه غيره. ينظر، الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، (ط3)، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م، ص62.

[2] الله بين الفلسفة والمسيحية، ص2، هذا الكتاب حمل من موقع (كلمة الحياة).

[3] المشرع، ص22.

المولودة من الآب قبل كل الدهور وهي فيه ومعه بلا تقدم، ولا تأخر، ولا انفصال، ولا زوال)).

ويشرح القمص إبراهيم لوقا[1] عملية الصدور هذه بالقول: ((لا سبيل إلى ذلك (الولادة) إلا سبيل التولد العقلي فالكلمة إذاً هي في الله العاقل لذاته أي إن الله تعالى معقول وموضوع عقله هو ذاته نفسها لان كل شيء في الله واحد، ولما كان عقله لا يخرج من القوة إلى الفعل فلا يطرأ عليه الحدث ولا يقع تحت عوامل العرض كان كلمته الذي منه أزلياً أبدياً موجوداً فيه مساوياً له المساواة التامة، ولما كان كلمة الله منه فهو إذاً ابنه على سبيل التولد العقلي))، ويرى الكاتب أن الله تعالى لم يخلق المسيح ابن مريم من العدم، بل انه أصلاً كان موجوداً في عقله الذي يعقل به كل شيء، وانه صدر عن العقل الإلهي دون أن يطرأ أي تغيير في عقله تعالى أو أن تمس المسألة عوامل العرض في ذاته وعقله تعالى[2].

ويشرح الأب بولس الياس اليسوعي[3]عملية الصدور داخل الذات الإلهية فيقول: ((كان صدور ابن الله المسيح عن أبيه باطنياً، ونعني بالصدور الباطني أن الصادر يبقى داخل مصدره كالفكرة التي تبقى داخل عقل المفكر وان كتبت على القرطاس بخلاف الصدور الخارجي الذي ينفصل فيه المعلول عن علته شأن الولد الذي ينفصل عن أبيه وعله كيانه فالخلائق صدرت عن الله الآب صدوراً خارجياً ولكنه ما يزال يحفظها في الوجود بقوته وان أهملها يوماً عادت إلى العدم)) .

إن التحدث عن الذات الإلهية لم يرد على لسان السيد المسيح ولا عن تلاميذه من بعده، وان هذه المصطلحات الفلسفية استحدثت لوضع قواعد اللاهوت المسيحي الذي وضع بعد السيد المسيح وَعَملت الفلسفة على إبرازه إلى العيان.

إن سبب نفي التولد عنه سبحانه لكونه منافياً للوحدانية المطلقة، ولإمتناع التولد من شيء واحد، وان التولد إنما يكون بين أثنين وهو سبحانه لا صاحبة له، وانه خلق كل شيء، وخلقه كل شيء يناقض أن يتولد عنه شيء، وهو بكل شيء عليم، وعلمه بكل شيء يستلزم أن يكون فاعلاً بإرادته فان الشعور فارق بين

---

[1] المسيحية في الإسلام، ص9، هذا الكتاب محل من موقع (كلمة الحياة).

[2] المسيحية في الإسلام، ص9

[3] خلاصة الدين المسيحي، المطبعة الكاثوليكية، (ط2)، بيروت، لبنان، 1986م، ص48.

الفاعل بالإرادة والفاعل بالطبع، فيمتنع مع كونه عالماً أن يكون كالأمور الطبيعة التي يتولد عنها الأشياء بلا شعور[1].

ويرى الأب منصور المخلصي[2] ((أن الله كشف عن ذاته عن طريق اللوغوس (الكلمة) وانه هو الوسيط الذي خلق العالم والذي سلم للبشر المعرفة الخلاصية بواسطة اللوغوس (الكلمة) المتجسد في المسيح)).

ويرى المسيحيون أن مفهوم (كلمة الله) هو المسيح نفسه لانه الكلمة الكائن مع الآب منذ الأزل وقد تجسدت الكلمة بظهور المسيح على الأرض، وهذه الكلمة المتجسدة هي أساس الكنيسة[3].

ويعلل الدكتور يوسف متى[4] ظهور الكلمة بالقول: ((الله روح لذلك فهو خفي وبعيد عنا ولكي نعرفه حق معرفته فقد كشف لنا عن فكره، لذلك دعي سيدنا عيسى المسيح (الكلمة) لانه فكر الله المعلن... إنه كلمة الله الأزلية المنطوقة في الوجود البشري))، ويرى أن إرسال هذه الكلمة كان ضرورياً فيقول ((إن الإنسان ومنذ بداية التأريخ البشري خاب في اتباع الله بصورة كاملة فأرسل الله أنبياءه إليه جيل بعد جيل غير انهم رفضوا وأُسيِءَ فهمهم، ولم تُطَع كلمة الله طاعة كاملة، وفي النهاية أرسل الله كلمته الأزلية الواضحة على نحو تام ليتحدث إلى التأريخ البشري))[5].

إلا ان إرسال الكلمة الإلهية والاقنوم الإلهي الثاني إلى الأرض لم يأتِ بشيءٍ جديد، حيث انه كان يبشر بظهور ملكوت الله، ولقد سبقه يوحنا المعمدان (يحيى) عليه السلام، في هذه الدعوة[6]، وانتهت حياة المسيح بالموت على الصليب (كما يدعون)، كما قتل قبله من الأنبياء على أيدي اليهود، فما هي الحكمة إذن من إرسال الله لكلمته الأزلية وهو لم يخرج عن نطاق الأنبياء السابقين ؟!.

---

[1] ينظر، ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (ج1)، ص219

[2] الكنيسة عبر التاريخ، ص58.

[3] ينظر القس فريد عودة و الأستاذ إبراهيم مطر، التراث الإنجيلي، ص49

[4] الإنجيل قراءة شرقية، ص19-20.

[5] م. ن، ص20.

[6] ينظر، متّى 3: 2.

ويرى الدكتور جورج رشيد خوري[1] ((أن اقنوم الابن الذي هو كلمة الله[2] وروحه كان موجوداً على مدار مراحل التاريخ البشري، فقد رآه العالم قديماً وحديثاً وتحدث معه الأنبياء، وسمع صوته البشر، وانه كان يستعير أجساداً في هيئة ملائكة أو رجال فيظهر لشعبه وأنبيائه فيتكلم معهم ويرسلهم في مهام مختلفة، فهو الاقنوم الذي سار مع شعبه العبراني طوال الطريق، حتى أن موسى نبي الله دعي من الآباء جميعاً كليم الله لكثرة ما ظهر له هذا الاقنوم الإلهي وتكلم معه، وانه الذي تكلم مع إبراهيم وطلب منه أن يقدم ابنه ذبيحة، ولقد رأته هاجر وسمعت صوته ليس هو الله الآب بل إنما هو شخص المسيح ابن الله وكلمته)).

إن مسألة ابن الله والتي ترد بقوة في المفهوم التثليثي لم ترد على لسان السيد المسيح في الأناجيل سوى مرة واحدة[3]، وما سوى ذلك فكلها كانت ترد على لسان معاصريه وتلاميذه، ثم إن هذه النصوص التي تصف السيد المسيح انه ابن الله معارضة بثلاثة وثمانين نصاً من النصوص التي أطلقت على السيد المسيح ﷺ لقب (ابن الإنسان) فلئن كانت تلك التي أسمته ابن الله داله على إلوهيته فان هذه مؤكدة لبشريته ﷺ ، وصارفه تلك الأخرى إلى المعنى المجازي[4].

ثم إن لفظ البنوة الذي أطلق على السيد المسيح ﷺ أطلق على كثيرين غيره ولم يقتض ذلك الوهيتهم[5] ويؤكد عوض سمعان[6] على هذا المعنى فيقول: ((إن المراد باصطلاح (ابن الله) ليس المعنى الحرفي بل المعنى الروحي لأن الله لا يلد ولم يولد)).

---

[1] شخصية يسوع المسيح وجامعية الله الواحدة،، (ط5)، بدون دار طبع، 2001م، ص2 وما بعدها.

[2] يرى المسلمون أن عيسى ﷺ بالكلمة كان وليس هو الكلمة، وان الله قال له كن فكان عيسى ﷺ بكن، وليس هو الكن، ولكن بكلمة الكن كان، ينظر ابن تيمية، الجواب الصحيح، (ج2)، ص18-19.

[3] يوحنا 10: 37.

[4] ينظر، د. منقذ بن محمود السقار، الله واحد أم ثلاثة، ص21 ؛ أحمد حجازي السقا، اقانيم النصارى، ص25.

[5] ينظر لوقا 3: 83، أخبار الأيام الأول 17: 12-13، مزمور 2: 7، لوقا 20: 36، يوحنا 20: 17.

[6] قيامه المسيح والأدلة على صدقها، ص176.

ويؤكد يوسف[1] متى على هذا الأمر فيقول: ((إن عبارة (ابن الله الوحيد) تدل على أن لسيدنا عيسى المسيح كلمة الله مقاماً مميزاً وجليلاً عند الله)).

ويعتقد النصارى إن للمسيح مهام يقوم بها كإقنوم إلهي، يتميز عن الاقنومين الآخرين بها وهي:

1- خلق العوالم التي لا ترى من الملائكة ورؤساء الملائكة وعروشهم[2].

2- خلق العوالم التي ترى وما عليها من مخلوقات[3].

3- دخول بيت القوي (الشيطان)[4].

4- تقديم حياته في الجسد مثالاً للبشرية جمعاء[5].

5- إظهار اسم الآب السماوي[6].

6- الموت على الصليب[7].

7- إرسال الروح القدس[8].

والاقنوم الإلهي الثالث من الثالوث المسيحي: (الروح القدس) الذي يعرفه الآب ميشيل الحايك[9] بالقول: ((سمي الاقنوم الثالث بالروح لانه روح محض لا جسم له، ولا يقع تحت الحواس، وسمي القدس لأنه هو القداسة بالذات، وهو قدوس القديسين لاحدً لقَداسته، ولا نقصان، وليس هذا الروح مخلوقاً كالملائكة والبشر، انه إله قد انبثق مَنذ الأزل من الآب والابن)).

بينما يرى فالتر كاسبر[10] ((إن الأصل من استعمال كلمة الروح في اللغة الكتابية الريح، والهواء، والعاصفة ثم النفس علامة الحياة، فالروح القدس هو إذاً

---

[1] الإنجيل قراءة شرقية، ص22.

[2] ينظر اشعيا 48: 12، كولوسي 1: 16.

[3] كولوسي 1: 16.

[4] متّى 12: 29، لوقا 11: 21.

[5] رسالة بطرس الأولى 2: 21، يوحنا 17: 15.

[6] مزمور 22: 22، يوحنا 1: 18، يوحنا 5: 37.

[7] يوحنا 19: 28.

[8] م. ن، 16: 7، 15: 26.

[9] شرح التعليم المسيحي، (ج1)، العقائد الإلهية، مطبعة الاحسان، حلب، سورية، 1952م، ص169.

[10] المسيحية في عقائدها، ص92.

الريح العاصفة ونفس الحياة، انه الذي يخلق كل شيء، ويحمل كل شيء، ويحفظ كل شيء، وهو أولاً الذي يعمل في التأريخ، ويخلق الجديد)).

ويُفَصّل الفيلسوف اليهودي سبينوزا[1] في ذلك فيقول: ((إن كلمة روح في اللغة العبرية تعني اشتقاقياً (ريح)، نسمة، نفس، نفخ، تنفس، قوة، طاقة، إستعداد، قيمة، رأي، إرادة، رغبه، دافع. .الخ. كما تستعمل للتعبير عن الانفعالات مثل التواضع، والغرور، والمحبة، والكراهية، وتقلب المزاج، والطبيعة، كما تستعمل أيضاً للدلالة على روح الإنسان، ومناطق العالم، وهذه كلها مجازية صرفه)).

ويؤكد الدكتور أحمد حجازي السقا[2] على هذه المعاني بالقول: ((تدل الكلمة العبرية (رواه) في معناها الأصلي على الريح هكذا يقول اليهود، وهكذا يقول البعض من النصارى)).

ويتمسك النصارى في تأليه الروح القدس بما جاء في إنجيل يوحنا قوله: ((إن الله روح))[3] كما انهم يرونه الروح الموجودة منذ بدء الخليقة ((في البدء خلق الله لسموات والأرض.. وروح الله يرف على وجه الماء))[4] وفي الكتاب المقدس الكثير من النصوص التي تتحدث عن الروح، أو روح الله، أو روح القدس[5].

ويشرح سبينوزا[6] سبب استخدام هذه المعاني المجازية بالقول: ((كانوا يعتبرون الجسد مصدر الشر، والروح مصدر الخير، وقد استعملت هذه المعاني المجازية كتشبيهات على طريقة التوراة التي لا يمكنها التعبير عن الحقائق الإلهية إلا بالصور الإنسانية، فعندما يذكر الكتاب إن روح الله كان في النبي، أو أن الله أنزل روحه على البشر فان ذلك يعني أن الأنبياء كانوا بشراً ممتازين يؤمنون بالله إيماناً صادقاً، ويعبدونه عن حق، ويستطيعون أدراك الأحكام الإلهية إذ تدل الروح على النشاط الذهني أو على الحكم لذلك سميت الشريعة روح الله، وكذلك يمكن

---

(1) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص44-45.

(2) اقانيم النصارى، ص42.

(3) يوحنا 4: 24.

(4) تكوين 1: 21.

(5) ينظر د. منقذ السقار، الله واحد أم ثلاثة، ص75؛ التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ص2183.

(6) رسالة في اللاهوت والسياسة، ص44.

تسميه خيال النبي فكر الله)). وعلى وفق هذا المفهوم يمكن أن يقال: المسيح ابن الله وغيرها.

والروح القدس في المفهوم المسيحي يمتاز بالكثير من الصفات ((فهو عطية الحياة الجديدة، يرسله الآب والابن، وهو ليس عطية إلهية للمؤمنين فقط بل هو أيضاً معط. . و يوزع مواهبه كما يشاء[1]، يعلم، ويتذكر[2]. وينطق[3]، ويمكن أن يحزن[4] في بعض الحالات[5]، وانه مساوٍ للاب والابن في الألوهية، والقدرة، والسلطة، ولا ينقصه شيء قطعياً، فهو المحبة الأزلية بين الآب والابن، وليست هذه المحبة الإلهية عاطفة كالمحبة البشرية إنما هي شخص كامل لديه جوهر الألوهية وصفاتها السامية جمعاء)) [6].

ويسمى في بعض الأحيان روح يسوع المسيح[7]، وروح الابن[8]، وروح الإيمان[9].

ويختلف المسيحيون حول الجهة التي يصدر منها الروح القدس، فيرى القديس توما الاكويني[10] بان الروح القدس صادر عن الابن ويعلل ذلك بالقول: ((لو لم يكن صادراً عنه لامتنع ان يمتاز عنه بوجه من الوجوه)) ويرى ((أن الابن يصدر بطريق العقل كالكلمة، والروح القدس يصدر بطريق الإرادة كالمحبة، ومن الضرورة أن تكون المحبة صادرة عن الكلمة إذ لا نحب شيئاً إلا ما نعقله بتصور الذهن، فأذن يتضح من هذا أيضاً أن الروح القدس يصدر عن الابن))[11].

---

[1] كورنثوس 12: 11.

[2] يوحنا 14: 26.

[3] الرسالة إلى أهل رومية 8: 26-27.

[4] افسس 4: 30.

[5] ينظر، فالتر كاسبر، المسيحية في عقائدها، ص93.

[6] الأب ميشيل يتيم الحايك، شرح التعليم المسيحي، ص165.

[7] رومية 8: 9.

[8] غلاطية 4: 6.

[9] كورنثوس 4: 13.

[10] الخلاصة اللاهوتية، ترجمة الخوري بولس عواد، (م1)، المطبعة الأدبية، بيروت، لبنان، 1887م، ص435.

[11] توما الاكويني، الخلاصة اللاهوتية، ص436.

بينما يرى فالتر كاسبر[1] ان الروح القدس يصدر عن الآب والابن معاً فيقول: ((فكما أن الآب هو مصدر الابن وينبوعه، ويهب الابن كل ما هو عليه، كذلك يهب الآب والابن.. ملءَ الحياة الإلهية والكيان الإلهي منذ الأزل فينبثق منها الروح القدس)).

إن تخبطهم الفكري هذا كان نتيجة إصرارهم على القول بألوهية الروح القدس وعدوه مكملاً للثالوث المقدس، وقالوا ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس الله شيئاً غير حياته فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن الله مخلوق[2]، والذي يبدو أن سبب جعل المسيحيين الروح القدس هو روح الله (حياته) وذلك خوفاً من أن يجر القول بخلق الروح القدس إلى القول بخلق المسيح، وهذا يفسر إصرارهم في مجمع القسطنطينية على إلوهية الروح القدس ومخالفة (مقدونيوس الموحد) الاريوسي الذي كان يرى ببشرية السيد المسيح وخلق الروح القدس.

ويرى النصارى أن الروح القدس هو المهيمن الحقيقي على الرسالة المسيحية[3]. ويظهر هذا جلياً من خلال ما ينسب إليه من أعمال فعند مطالعه الأناجيل يبرز دور الروح القدس جلياً فيها، ومن هذه الأعمال: أن مريم العذراء وجدت حبلى من الروح القدس[4]، وانه ظهر ليوسف (زوج مريم العذراء) في حلم لكي يقبل الزواج منها[5]. وان يوحنا المعمدان عليه السلام كان يخبرهم بان المسيح يعمدهم بالروح القدس[6]، وان الياصابات وزوجها زكريا عليه السلام كانا ممتلئين بالروح القدس[7]، وان يوحنا المعمدان كان يتقوى من الروح[8]، وكذلك سمعان [9]، وان الروح القدس هو الذي جلب المسيح إلى الهيكل عندما كان صبياً[10]، وكان المسيح

---

(1) المسيحية في عقائدها، ص94.

(2) ينظر د. منقذ السقار، الله واحد أم ثلاثة، ص75.

(3) آني جويير، المسيحيون الأولون، ص14.

(4) متى 1: 18.

(5) م. ن، 1: 20.

(6) لوقا 1: 8.

(7) م. ن، 1: 41، 1: 67.

(8) م. ن، 1: 80.

(9) م. ن، 2: 25-26.

(10) م. ن، 2: 27.

منذ صباه يتقوى بالروح ممتلئاً حكمه[1]. ولا يعلم كيف يتقوى ويمتلئ من الروح القدس وعند النصارى انه هو الذي أرسله ؟.

وعند تعميد المسيح نزل عليه الروح القدس مثل حمامه بيضاء[2]، وبعدها عاد من نهر الأردن ممتلئاً بهذا الروح[3]، ثم انه كان يتصرف بقوة الروح[4]، وكأنه محتاج إليه وليس هو الذي أوجده !، وعند اضطهاد التلاميذ فانه يعلمهم ما سيقولونه[5]، مع أن هناك الكثير من التناقض داخل النصوص حيث تدل على أن المسيح لم يرسل الروح القدس إلا في اليوم الخمسين لقيامته من الموت، وصعوده إلى السماء[6]، وأورد على لسان السيد المسيح أن الذي يتكلم عن ابن الإنسان يغفر له أما الذي يتكلم على الروح القدس فلن يغفر له[7].

ويرى الدكتور جورج رشيد خوري[8]: ((إن من أعمال الروح القدس، انه المرشد الأمين لمعرفة الآب[9]، ومساعد الابن في الخليقة[10]، وهو مع الآب مرسل الابن في العهد القديم[11]، وموحي الأنبياء[12]، وهو رئيس العمل في ورشة الخلاص، يقيم من يشاء ويعزل من يشاء)) [13].

ويرى الأب ميشيل يتم الحايك[14] أن للروح القدس عملاً خفياً في الكنيسة ((فانه يحفظ الكنيسة من الضلال فَيُلّهِم رؤساءها، ويقوي شهداءها، ويحافظ

---

(1) م. ن 2،: 40.

(2) م. ن، 3: 22.

(3) م. ن، 4: 1.

(4) م. ن، 4: 14.

(5) مرقس 13: 11.

(6) ينظر أعمال الرسل إصحاح 2.

(7) متّى 12: 32، 3: 29، مرقس 3: 29.

(8) شخصية يسوع المسيح ووحدانية الله الجامعة، ص22.

(9) يوحنا 6: 25.

(10) تكوين 1: 2.

(11) اشعيا 48: 16.

(12) رسالة بطرس الثانية 1: 21.

(13) أعمال الرسل 13: 4.

(14) شرح التعليم المسيحي، ص167.

على كيانها ثم انه يسكن في النفوس البارة ويتخذها هيكلاً له، ومقراً، ويمنحها النعمة الإلهية، والحياة الفائقة الطبيعية، ويدفعها إلى الخير، وتجنب الشر)).

ويقسم المسيحيون الموجودات إلى قسمين (جوهر وعرض) ويعرف القس بولس سباط[1] الجوهر على انه ((كل موجود قائم بذاته غير مفتقر في قيامه إلى غيره، ولكنه مع ذلك قابل للعرض بما يلحقه منه كالإنسان مثلاً... والله ﷻ داخل في هذا التعريف من وجه انه موجود قائم بذاته لا من وجه انه جوهر كالجواهر المخلوقة لانه لا يقبل العرض، ولو قبله لكان كسائر الموجودات)).

والعرض على انه ((مالا يقوم بذاته بل يفتقر في قيامه إلى غيره كالعلم في الإنسان فانه لا يوجد إلا بوجوده))[2] وليخلص القس في النهاية إلى القول: ((بان الله يتعالى عن أن يفتقر إلى غيره كالأعراض وهو موجد الموجودات، وعلة الجواهر والأعراض، فهو إذن جوهر لأن الموجودات بأسرها إما جوهر وإما عرض ولا ثالث لهما))[3].

ويرفض المسلمون تسمية الله تعالى جوهراً لان الجوهر في التعريف الإسلامي هو ما قبل عرضاً وما شغل الحيز وان الذين منعوا هذه التسمية من أهل علم الكلام قالوا أن الجوهر ما شغل الحيز وحمل الأعراض والله ﷻ ليس كذلك، أما الفلاسفة كابن سينا وغيره فيرون: أن الجوهر إذا وجد كان وجوده لا في موضوع، وهذا إنما يكون فيما وجوده زائد على ذاته، وواجب الوجود وجوده عين ذاته، فلا يكون جوهراً، وان أرسطو وغيره من قدماء الفلاسفة كانوا يسمون الله جوهراً وأخذت النصارى عنهم هذه التسمية[4].

ويذهب القس بولس سباط[5] إلى: ((أن عقلاء المسلمين ينزهون الله عنها (الجواهر والأعراض) كما ننزهه نحن، وإنما الخلاف بيننا وبينهم في حد الجوهر فهو عندهم ما قبل العرض ودخل في حيز، فلا يصح في اعتقادهم القول بان الله

---

[1] المشرع، ص16.

[2] المشرع، ص16.

[3] م. ن، ص16

[4] ينظر، ابن تيمية، الجواب الصحيح، (ج5)، ص9.

[5] المشرع، ص18-19.

جوهر لانه لا يقبل عرضاً ولا يشمله ظرف، وعندنا إن كل موجود قائم بذاته يقبل العرض والحيز فالله تعالى داخل في هذا التعريف من حيث انه موجود قائم بذاته لا من حيث انه قابل للعرض والحيز)).

الخاتمة

لم يكن لعلم اللاهوت المسيحي ان يخرج إلى النور بصيغته هذه لولا تَأثُره بثلاثة عوامل رئيسية وهي:

1- المنطلق الديني: فقد نشأ علم اللاهوت المسيحي تحت تأثير ديني كبير استقاه من البيئة التي أوجِد فيها في فلسطين وخارجها، حيث كان الدين في تلك الحقبة العامل الأبرز المؤثر في حياة الشعوب الشرقية، وهذا ما نلمسه واضحاً في وجود العديد من الأديان والأفكار التي حاولت أن تجد لها حلولاً في فهم سر خلق الإنسان، والكون، وما ينطوي تحت هذين المفهومين من عقائد وأفكار، لذلك كان الفكر اللاهوتي المسيحي محاولة واحدة من محاولات عدة برزت في الشرق آنذاك إلا انه كان الأبرز بينها في ازدياد عدد أتباعه ومريديه، وبقائه وعدم إضمحلاله، على عكس الأفكار والأديان الأخرى، مع إمتِنانه الكامل للعقائد والأفكار الدينية التي سبقته، التي استقى منها جل تعاليمه.

2- الخلفية اليهودية: يبرز تأثير هذا العامل المهم في بداية تشكيل العقائد المسيحية حيث ان السيد المسيح عليه السلام وتلاميذه من بعده لم يكونو ليخرجوا من نطاق الدين اليهودي وتعاليمه، وهذا ما نلمسه في العديد من الفقرات الإنجيلية داخل الكتاب المقدس وفي تعاليم السيد المسيح عليه السلام التي كانت تنطلق من هذه الخلفية اليهودية، بل إن هذا التأثير (اليهودي) لم يكن بعيداً حتى عن اليهود الهيلينيين الذين كانوا يعيشون خارج فلسطين، فمع تأثير نمط الحياة والأفكار الهيلينية عليهم إلا ان ذلك لم يكن يخرجهم من أساس تفكيرهم اليهودي، وما حمله التراث الديني الذي تجمع لديهم طوال مئات السنين وأدل شيء على ذلك تلميذهم بولس ونجاحه الكبير في إنشاء هذا الفكر اللاهوتي، ومن قبله الفيلسوف فيلون السكندري الذي كان رائد التوفيق بين الديانة اليهودية، والفلسفات الهيلينية اليونانية، الذي استمد من تعاليمه العديد من آباء الكنيسة، وتحديداً في فهمه لمصطلح (الكلمة) وإخراجهم هذا المصطلح إلى الوجود بثوب جديد.

3- الأساس الفلسفي: ويبرز تأثير هذا العامل في كثرة المصطلحات الفلسفية المستخدمة في علم اللاهوت مثل (جوهر، اقانيم، عرض، تعينات) وغيرها،

مستخدمين هذه المصطلحات للدفاع عن مفهوم الفكر اللاهوتي وما ينطوي عليه من عقائد مختلفة مثل (التجسد، التبرير، الصلب، القيام) وغيرها.

وهذا ما لا نلمسه ولا نجده في تعاليم السيد المسيح عليه السلام في الكتاب المقدس والتي في مجملها تخالف ما يذهب إليه أهل التثليث، ولا في تعاليم تلاميذه من بعده الذين كانوا يسيرون على خطاه، بل إنها من إنشاء الأجيال اللاحقة للسيد المسيح عليه السلام وتلاميذه، وتحت تأثير عقائد وفلسفات الأمم المجاورة لهم، وهذا ما يعترف به علماء المسيحية في كتاباتهم الا انهم يجعلونه من أصل الإيمان الذي كشفه لهم آباء الكنيسة نتيجة تأثير الروح القدس الاقنوم الإلهي الثالث المرسل من قبل الآب والابن.

ومن المفيد إجمال أهم النتائج التي توصل إليها المؤلف وهي:

1- إن ولادة السيد المسيح المعجزة من أنثى بدون رجل وطفولته ومرحلة شبابه كل هذه مجتمعه تدل على بشريته عليه السلام ولا تحمل أي معنى لإلوهيته.

2- تعميده عليه السلام من قبل نبي الله يحيى عليه السلام يدل على انه بشر وليس إلهاً وإلا لماذا يرضى أن يعمده بشر إن كان إلهاً.

3- أوردت المزامير والأناجيل العديد من الفقرات التي تدل على إنقاذ الله تعالى للسيد المسيح عليه السلام وتخليصه من الموت على أيدي اليهود، وهذا يخالف عقيدتهم القائلة بصلبه ومن ثم قيامته عليه السلام.

4- التناقضات العديدة في رواية الصلب والقيام، والأخطاء الكثيرة، يسرب الشك إليها ويجعلها روايات غير موثوق بها.

5- إن جُلَّ العقائد المسيحية يوجد لها نظير في الديانات الوثنية القديمة، فعقيدة الخطيئة الأولى، والفداء، والصلب، وموت الإله على الصليب، وقيامته، هي من أهم عقائد الأمم الوثنية السابقة للمسيحية.

6- لم يكن الحواريون ليخرجوا عن وصايا معلمهم المسيح عليه السلام ويغيروا من تعاليمه، وأن أول تغيير في المسيحية جاء عن طريق التلاميذ الهيلينيين الذين كانوا يعيشون خارج فلسطين وبعيداً عن سلطان الهيكل وتعاليم المسيح عليه السلام الحقيقية.

7- رفض الحواريين لتعاليم الهيلينيين جاء في العديد من فقرات العهد الجديد، وأدل شيء على ذلك ما يرويه سفر أعمال الرسل حول مجمع أورشليم سنة (49م).

8- إن بولس الرسول هو صاحب التأثير الأكبر في تغيير المسيحية إلى عقيدة إلوهية السيد المسيح، وبالتالي انفصالها عن اليهودية، إلا ان الفضل في ذلك يعود إلى اليهود الهيلينيين الذين وضعوا قدميه على هذا الطريق، مع انتشار العديد من الأفكار حول السيد المسيح، لعل أهمها ما كان يردده سيمون الساحر.

9- لم ينشأ اللاهوت المسيحي دفعة واحدة بل نشأ بالتدرج نتيجة لبروز العديد من الأفكار، والعقائد، والتساؤلات التي كانت تجابه الكنيسة.

10- إن اللاهوت المسيحي اعتمد على مصادر أعطت له الحياة واستمد منها بقائه وهي: الفكر اليهودي، وما يحويه من تراث سابق، وتعاليم السيد المسيح عليه السلام، والأفكار الفلسفية التي كانت منتشرة آنذاك.

11- كما اعتمد اللاهوت المسيحي على مصادر اعتمد أيضاً على عوامل ساعدت على إنتشاره وصياغته وهي: دخول بولس الرسول إلى المسيحية، والاضطهاد الديني الكبير للمسيحيين، وظهور الكنيسة المسيحية كراعية لهذا اللاهوت، مع تبني آباء الكنيسة للأسفار المقدسة ورفض ما سواها من كتب.

12- بروز دور الموحدين في مجابهة الأفكار اللاهوتية المخالفة للتوحيد ومحاربة هذه الأفكار.

13- عقد الموحدين المجامع العديدة التي خالفت في مضمونها أهل التثليث وأبرزت التوحيد كعقيدة أساسية من عقائد المسيحيين.

14- انعقاد مجمع نيقية سنة 325م كان الفيصل الكبير بين الموحدين وبين المؤلهين للسيد المسيح، ففيه أقرت عقيدة إلوهية المسيح، وانتخبت الأناجيل الأربعة، وأحرقت ما سواها من أناجيل.

15- لم تأخذ الأسفار المسيحية المقدسة قانونيتها إلا بعد مجمع نيقية سنة 325م فعلى مدار ثلاثة قرون لم يكن للكنيسة كتب معترف بها.

16- كان لمجمع القسطنطينية المسكوني الأول سنة 381 م دور بارز في استكمال الثالوث المسيحي بعد إقراره لإلوهية الروح القدس والتي كان مختلفاً حولها.

17 - التأثير الواسع للسلطة السياسية في اتخاذ القررات المصيرية حول العقائد المسيحية كان له التأثير الأبرز في إقرار عقيدة إلوهية الابن والروح القدس وفرضها كعقيدة مقدسة.

18- إن تدخل الأباطرة الرومان السياسي في المسيحية لم يكن مقتصراً على إضافة العقائد فقط، بل كان له الأثر الأكبر في اضطهاد الموحدين وقمعهم مما أدى إلى انحسار التوحيد إذا ما قيس بأهل التثليث.

وفي ختام هذا الكتاب أرجو أن أكون قد وفقت في إظهار كيفية نشأة الفكر اللاهوتي المسيحي واقراره بوصفه عقيدة رسميه للكنيسة المسيحية على حساب توحيد الله الخالص الذي كان سابقاً له في الوجود، وأسأل الله تعالى أن يغفر لي كُلَّ سهوٍ وتقصير، والتمس العذر لكل من يطلع على الكتاب إذا كان فيه الكثير من جوانب النقص ولا أدَّعي فيه الكمال فان الكمال لله وحده، ويسعد المؤلف أن كان هناك من ملاحظات أو ردود أن ترسل إلى البريد الالكتروني.

وأسال الله سبحانه أن يغفر لنا، ويجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وان يجعله في ميزان حسناته، إنه سميعٌ مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدكتور انمار احمد محمد

dr_aam71@yahoo.com

قائمة المصادر

أولاً: الكتب المقدسة

1- القرآن الكريم.

2- الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، Arabic Bibl ، 1990.

ثانياً: المصادر والمراجع

❖ إبراهيم: محمد حمدي (الدكتور).

1- الأدب السكندري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1985م.

❖ ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت630هـ-1232م).

2- الكامل في التأريخ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، (ج1)، دار الكتاب العربي، (ط2)، بيروت، لبنان، 1387هـ-1967م.

❖ الأحمد: سامي سعيد (الدكتور).

3- تاريخ الرومان، مطبعة التعليم العالي، بغداد، 1988م.

❖ إسطفانوس: عبد المسيح (القس الدكتور).

4- تقديم الكتاب المقدس للقارئ العربي، دور الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1994م.

❖ الأكويني: توما (القديس).

5- الخلاصة اللاهوتية، ترجمة الخوري بولس عواد، (م1)، المطبعة الأدبية، بيروت، 1887م.

❖ أوليري: لاسي (الدكتور).

6- علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة الدكتور وهيب كامل، راجعه زكي علي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1962م.

❖ أمين: عثمان.

7- الفلسفة الرواقية، مكتبة الأنجلو المصرية، (ط3)، القاهرة، 1985م.

❖ أوتوموير: (المونسنيور).

8- الحوار اللاهوتي، المداولة المسكونية غير الرسمية بين لاهوتيين من الكنائس الارثوذوكسية الشرقية والكنيسة الكاثوليكية الرومانية، فيينا، لينز، في 1971/12/7م، ترجمة مارسيل خوري طراقجي، مراجعة وإعداد غريغوريوس يوحنا إبراهيم، دار ماردين، (ط1)، حلب، سورية، 1997م.

❖ أوث: لودفنغ

9- مختصر علم اللاهوت العقائدي، نقله إلى العربية، الأب جرجيس، المارديني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1965م.

❖ أورس: هانس و فون بلتسار.

10- نؤمن، تأملات في قانون الرسل، نقله إلى العربية، الأب كميل حشيمة اليسوعي، دار المشرق، (ط1)، بيروت، لبنان، 1994م.

❖ إيفلي: لويس.

11- طريق الفرح، تعريب الأب الدكتور يوسف حبي، مطبعة الجمهور، الموصل، 1972م.

❖ بارتون: بروس (الدكتور) وآخرون.

12- التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، ترجمة وتحرير، وليم وهبه وآخرون، شركة ماستر ميديا، (ط2)، القاهرة، 1988م.

❖ باسك: دانيال (الأستاذ).

13- أساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم وأثرها في المسيحية، ترجمه إلى العربية وقدم له وعلق عليه، سعد رستم، بدون دار طبع، حلب، سورية، 1413هـ - 1993 م.

❖ باقر: طه.

14- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الوجيز في حضارة وادي الرافدين، دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة والإعلام، (ط2)، 1986م.

❖ بدوي: عبد الرحمن (الدكتور).

15- افلوطين عند العرب، دار النهضة العربية، (ط2)، القاهرة، 1966م.

16- خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، (ط4)، 1970م.

❖ برهيه: إميل.

17- تاريخ الفلسفة الهلنستية والرومانية، ترجمة جورج طرابيشي، دار الطليعة، (ط1)، بيروت، لبنان، 1982م.

❖ برير: جان وآخرون.

18- قراءة في العهد الجديد، الأناجيل الأربعة، (ج1)، تعريب الأب بيوس عفاص، منشورات مركز الدراسات الكتابية، موصل، العراق، 2004م.

❖ البستاني: بطرس.

19- دائرة المعارف قاموس عام لكل فن ومطلب، (ج11)، مطبعة المعارف، بيروت، لبنان، 1887م.

❖ البهي: محمد (الدكتور).

20- الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (ط4) القاهرة، 1967م.

❖ بنتلي: جيمس.
21- اكتشافات الكتاب المقدس، قيامة المسيح في سيناء، ترجمة آسيا محمد الطريحي، دار سيناء للنشر، (ط1)، مصر، القاهرة، 1995م.
❖ البندكتي: جيد (الأب).
22- يسوع الكاهن الأوحد، تعريب الأب ألبير أبونا، المطبعة العصرية، الموصل، 1965م.
❖ بندلي: كوستي.
23- مدخل إلى العقيدة المسيحية، منشورات النور، بيروت، لبنان، 1976م.
❖ بوكاي: موريس.
24- القرآن الكريم والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، دار المعارف الحديثة، (ط4)، 1977م.
❖ البولاقي: يحيى.
25- المعلم سيرة عيسى المسيح، دار الجيل، (ط2)، بيروت، لبنان، 1999م.
❖ بولس: مارسوير و يعقوب توما.
26- نزهة الرائد في الكتاب الخالد، بدون دار طبع، 1952م.
❖ بويانسي: بيار.
27- سلسلة أعلام الفكر العالمي، أبيقورس، تعريب الدكتور بشارة صارجي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (ط1)، بيروت، لبنان، 1400هـ-1980م.
❖ البيطار: محمد (الدكتور).
28- الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973م.
❖ الترجمان: عبد الله.
29- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب، تعليق وتقديم، د. طاهر المعموري، دار أبو سلامه للطباعة والنشر والتوزيع، (ط4)، تونس، 1983م.
❖ التكريتي: ناجي (الدكتور).
30- الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام، دار الشؤون الثقافية، (ط3) بغداد، 1988م.
❖ التنّير: محمد طاهر.
31- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تعليق محمد بن إبراهيم الشيباني، بدون دار طبع، (ط1)، 1408هـ-1987م.
❖ ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحراني، (ت728-1327م).

32- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق د. علي حسين ناصر، د. عبد العزيز ابراهيم عسكر، د. حمدان محمد، (5 أجزاء)، دار العاصمة، (ط1)، الرياض، 1414هـ، 1993م.

❖ الجرجاني: علي بن محمد (الشريف)، (ت816هـ-1413م).

33- التعريفات، دار الكتب العلمية، (ط3)، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م.

❖ جرجياس: يواكيم.

34- أمثال يسوع، ترجمة الأب يوحنا عيسى والأب ألبير أبونا، شركة التايمس للطباعة والنشر المساهمة، بغداد، 1989م.

❖ الجميّل: إلياس (البرديوط).

35- اللاهوت النظري، (ط2)، بدون دار ولا تاريخ طبع.

❖ جنيبر: شارل (الأسقف).

36- المسيحية نشأتها وتطورها، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ب. ت.

❖ جومير: جاك و سامي إلياف.

37- المسيح ابن مريم، دار الكلمة، بيروت، لبنان، 1966م.

❖ جويير: آني.

38- المسيحيون الأولون في القرنين الأولين، تعريب الأب ألبير أبونا، بغداد، 1982م.

❖ الجويني: أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف (إمام الحرمين) (ت478هـ-1085م).

39- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق وتعليق، د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، (ط1)، مصر، رمضان 1398هـ-1978م.

❖ الحايك: ميشيل يتيم (الأب).

40- شرح التعليم المسيحي، العقائد الإلهية، (ج1)، مطبعة الإحسان، حلب، سورية، 1952م.

❖ حبّي: يوسف (الأب الدكتور).

41- مجامع كنيسة المشرق، منشورات كلية اللاهوت، جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، 1999م.

❖ حداد: بطرس (القس).

42- البشرى السارة مقدمة الإنجيل الشريف، مطبعة الأديب البغدادية، ب. ت.

❖ حداد: مهنا يوسف.

43- الرؤية العربية لليهودية، منشورات ذات السلاسل، (ط1)، الكويت، 1989م.

❖ ابن حزم: أبو محمد علي ابن أحمد الظاهري، (ت456هـ-1063م).
44- الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج1-2)، دار الندوة الجديدة، (ط1)، بيروت، لبنان، 1317هـ.
❖ الحمّيني: محمد جابر عبد العال (الدكتور).
45- دراسات إسلامية في العقائد والأديان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م.
❖ حنفي: عصام الدين.
46- المسيح في مفهوم معاصر، دار الطليعة للطباعة والنشر، (ط1)، بيروت، لبنان 1979م.
❖ خان: ظفر الإسلام.
47- التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1400هـ-1980م.
❖ خضر: جورج وآخرون.
48- المسيحيون العرب، دراسات ومناقشات، مؤسسة الأبحاث العربية، (ط1)، بيروت، لبنان، 1981م.
❖ خليفة: لويس (الأستاذ).
49- اللاهوت والتفسير البيبلي الحديث، المركز البيبلي الرعائي، مطبعة عمشيت، لبنان، 1996م.
❖ خوري: جورج رشيد (الدكتور).
50- شخصية يسوع المسيح وجامعية الله الواحدة، بدون دار طبع، (ط5)، 2001م.
❖ دانيلو: جان.
51- ماذا كان في البدء، تعريب الأب ألبير أبونا منشورات الآباء الدومنيكان، الموصل، العراق، 1970م.
❖ داود: عبد الأحد (البرفسور).
52- محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهمي شما، مراجعة وتعليق، أحمد محمد الصديق، دار العلوم للطباعة، (ط3)، قطر، 1990م.
❖ الدباغ: تقي الدين.
53- الفكر الديني، منشورات دار الجاحظ، العراق، شباط 1981
❖ دروزة: محمد عزة.
54- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، الفجالة، 1377هـ-1958م.
❖ الدملوجي: فاروق.

55- تاريخ الإلهة والمعتقدات والأديان، الكتاب الرابع، الألوهية في المعتقدات المسيحية، (ج1)، حياة السيد المسيح، مطبعة الشباب، (ط2)، بغداد، 1956م.

❖ ده فوكو: شارل.

56- كتابات روحية، نقلها إلى العربية، الأب جرجس حوراني، المطبعة الكاثوليكية، ب.ت.

❖ الدومنيكي: سقط.

57- دليل إلى قراءة الأناجيل الأربعة، (ج1)، منشورات مكتبة الفداء، الآباء الدومنيكان، الموصل، 1987م.

❖ ديدات: أحمد.

58- مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والأوهام، ترجمة جمال نادر، دار الأسراء، (ط1)، عمان، الأردن، 1995م.

❖ ديورانت: ول.

59- قصة الحضارة، الحضارة الرومانية، عصر الأيمان، (ج11-12)، ترجمة محمد بدران، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1408هـ-1988م.

❖ الذهبي: يوحنا الفم.

60- ان الله لا يمكن إدراكه، من سلسلة النصوص اللاهوتية، تعريب الأب جورج خوام البولسي، منشورات المكتبة البولسية، (ط1)، بيروت، لبنان، 1992م.

❖ رستم: أسد.

61- آباء الكنيسة، القرون الثلاثة الأولى، منشورات النور، 1983م.

62- كنيسة الله العظمى، انطاكيا، (ج1)، منشورات المكتبة البولسية، لبنان، 1988م.

❖ روبسن: دانيال.

63- ما هو الكتاب المقدس، تعريب ميخائيل الرجي، دار المكشوف، (ط1)، بيروت، لبنان، 1959م.

❖ روهلنج: أوغست (الدكتور).

64- الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف نصر الله، بدون دار طبع، (ط1)، بيروت، 1388هـ- 1968م.

❖ رياض: يوسف.

65- وحي الكتاب المقدس، مركز المحبة، عمان، الأردن، ب. ت.

❖ أبو زهرة: محمد (الشيخ).

66- محاضرات في النصرانية، تبحث في الأدوار التي مرت عليها عقائد النصارى في كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم، دار الكتاب العربي، (ط3)، 1381هـ-1961م.

❖ زيات: حبيب.

67- الصليب في الإسلام، مطبعة القديس بولس، حريصا، لبنان، 1935م.

❖ السائح: يحيى.

68-غريب على الطريق، دار الجيل، (ط1)، بيروت، لبنان، 2001م.

❖ سابا: جورج.

69- على عتبة الكتاب المقدس، منشورات المكتبة البولسية، جونية، لبنان، 1987م.

❖ ساكا: إسحاق (المطران).

70- كنيتي السريانية، (ج1)، مطبعة ألف باء الأديب، (ط1)، دمشق، 1985م.

❖ ساكز: هاري (الأستاذ).

71- عظمة بابل، موجز حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، ترجمة وتعليق أ د. عامر سليمان، بدون دار طبع، (ط2)، لندن، 1966 م، الترجمة العربية 1976م.

❖ ساكو: لويس (الأب الدكتور).

72- الآباء الأوائل، آباء الكنيسة الرسوليون والمدافعون، مطبعة الطيف، بغداد، 1999م.

73- آباؤنا في الأيمان، مطبعة أوفسيت المشرق، بغداد، 1989م.

74- الكنيسة الأولى، مسيرة إيمان وبدايات لاهوت، دراسة نصوص مختارة من الآباء الأولين، شركة التايمس للطباعة والنشر، بغداد، 1990م.

❖ ألساموك: سعدون (الدكتور) و الدكتور رشدي عليان.

75- تاريخ الديانتين المسيحية واليهودية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ب. ت.

❖ سباط: بولس (القس).

76- المشرع، مطبعة الشرق، مصر، 1941م.

❖ سبينوزا.

77- رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة وتقديم د. حسن حنفي، مراجعة د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1971م.

❖ أبو السعد: محمد عبد الحليم مصطفى (الدكتور).

78- دراسة تحليلية نقدية لإنجيل مرقس تأريخياً وموضوعياً، مطبعة الجيلاوي، (ط1)، شبرا، مصر، 1404هـ- 1984م.

❖ السعيدي: محمد

79- دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة، دار الثقافة، (ط1)، قطر، 1985م.

❖ السقا: أحمد حجازي (الدكتور).

80- أقانيم النصارى، دار الأنصار، (ط1)، القاهرة، مطبعة المجد، 1379-1977م.

❖ السقا: أحمد حجازي (الدكتور) و عبد الله المنشاوي.

81- هَرمَجَدّون حقيقة أم خيال، مكتبة جزيرة الورد، (ط1)، القاهرة، مصر، 1423هـ-2002م.

❖ سَلْهَب: نصري.

82- في خطى المسيح، دار الكتاب اللبناني، (ط2)، بيروت، لبنان، 1970م.

❖ سمث: بترسن (الدكتور).

83- سيرة المسيح الشعبية، نقله إلى العربية السيد حبيب سعيد، دار المشرق والمغرب، (ط2)، ب. ت.

❖ سمعان: عوض.

84- قيامة المسيح والأدلة على صدقها، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، (ط2)، القاهرة، 1978م.

❖ سوسة: أحمد (الدكتور).

85- مُفَصّل العرب واليهود في التأريخ، من منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الحرية للطباعة، (ط5)، العراق، 1981م.

❖ سيبولد: ف. شارل.

86- سير الآباء البطاركة، بدون دار ولا سنة طبع.

❖ الشامي: رشاد عبد الله (الدكتور).

87- الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، 1986م.

❖ شتيوي: محمد شلبي (الدكتور).

88- التوراة دراسة وتحليل، مكتبة الفلاح، (ط1)، الكويت، 1404هـ-1984م.

❖ شرف: محمد جلال (الدكتور) و الدكتور عبد الرحمن عيسوي.

89- سيكلوجية الحياة الروحية في المسيحية والإسلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1972م.

❖ شلبي: أحمد (الدكتور).

90- مقارنة الأديان، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، (ط6)، 1978م.

91- مقارنة الأديان، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، (ط5)، 1978م.

❖ الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبدالكريم (ت548هـ-1153م).

92- الملل والنحلل، (م1)، (ج1-2)، دار الندوة الجديدة، (ط1)، بيروت، لبنان، 1317هـ (طبع بهامش الفصل).

❖ الشوملي: زكريا (الأب).

93- من ظلمة الشك إلى نور اليقين، المطبعة المخلصية، صيدا، لبنان، ب. ت.

❖ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ-922م).
94- تاريخ الأمم والملوك، (م1-2)، مكتبة خياط، شارع بليس، بيروت، لبنان، ب. ت.
❖ طربية: مبارك (الأب).
95- دراسات دينية، بدون دار طبع، 1965م.
❖ طه: عزية علي (الدكتورة).
96- منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دراسة مقارنة، دار البحوث العلمية، (ط1)، الكويت، 1407هـ-1987م.
❖ الطهطاوي: محمد عزت (المستشار).
97- مقارنة الأديان، النصرانية والإسلام، مكتبة النافذة، (ط1)، الجيزة، مصر، 2004م.
❖ الطويل: توفيق (الدكتور).
98- قصة النزاع بين الدين والفلسفة، مكتبة مصر، (ط2)، 1958م.
❖ ظاظا: حسن (الدكتور).
99- الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، 1971م.
❖ ظاهر: بولس (الأب).
100- أمضى من كل سيف، منشورات مجلة شربل، لصيف، 1965م.
❖ عبد الله: محمد بن أبي بكر (ت751هـ-1350م).
101- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، دار النشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ب. ت.
❖ عبدالباري: فرج الله.
102- موسوعة العقائد والأديان، نقض دعوى عالمية المسيحية، مطبعة الجمهور، الموصل، 1972م.
❖ عبده: محمد (الشيخ).
103- الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية، دار المنار، (ط3)، مصر، 1373هـ.
❖ عجيبة: أحمد علي.
104- موسوعة العقائد والأديان، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، دار الآفاق العربية، (ط1)، القاهرة، مصر، 2004م.
❖ العربي: نور الدين.
105- رحلة النور، دار الجيل، (ط1)، بيروت، لبنان، 2001م.
❖ عفاص: بيوس.
106- قراءة مجددة للعهد الجديد، منشورات مركز الدراسات الكتابية، الموصل، 1998م.

❖ العقاد: عباس محمود.
107- الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف، (ط2)، مصر، 1949م.
108- حياة المسيح في التأريخ وكشوف العصر الحديث، دارالهلال، (ط2)، ب.ت.
109- عبقرية المسيح، كتاب اليوم، يناير، 1953م.
❖ علي: فؤاد حسنين.
110- اليهودية واليهودية المسيحية، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة النهضة الجديدة، مصر، 1968م.
❖ عودة: فريد (القس) و الأستاذ إبراهيم مطر.
111- التراث الإنجيلي، المطبعة الأميركانية، بيروت، 1955م.
❖ عويط: ميشال.
112- أنت المسيح، بعض تعاليم مرقس، بدون دار ولا تأريخ طبع.
❖ عيواص: إغناطيوس زكا الأول (البطريرك) بطريرك أنطاكيا وسائر المشرق للسريان الأرثوذوكس.
113- بحوث لاهوتية تأريخية روحية، (ج2)، دير مار يعقوب البرادعي للراهبات، (ط1)، العطشانه، بيروت، 1998م.
❖ غارديه: لويس و الأب جورج قنواتي.
114- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية، د. صبحي الصالح والأب فريد جبر، (ج1)، (دار العلم للملايين)، (ط2)، بيروت، لبنان، 1978م.
115- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية، د. صبحي الصالح والأب فريد جبر، (ج2)، دار العلم للملايين، (ط1)، بيروت، لبنان، 1967م.
116- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، نقله إلى العربية الدكتور صبحي الصالح والأب فريد جبر، (ج3)، دار العلم للملايين، (ط1)، بيروت، لبنان، فبراير، 1969م.
❖ الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ-1111م).
117- الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الهداية، (ط2)، مصر، 1406هـ- 1986م.
❖ غوشة: محمد هاشم موسى.
118- القدس الشامخة عبر التأريخ، مطبعة الخط، الكويت، 1988م.
❖ الفاخوري: حنا و الدكتور خليل الجر.
119- تاريخ الفلسفة العربية، مؤسسة بدران للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1966م.
❖ الفرحان: راشد عبد الله.

120- الأديان المعاصرة، بدون دار طبع، (ط1)، 1405هـ- 1985م.

❖ الفغالي: بولس.

121- أقوال الله في شعبه أو الأنبياء الاثني عشر، منشورات المكتبة البولسية، (ط1)، 1993م.

122- بولس ورسائله، الرابطة الكتابية، مؤسسة دكاش للطباعة والنشر، (ط1)، بيروت، لبنان، 2001م.

123- منشورات الرسل، رسالة القديس بولس الأولى إلى أهل كورنثوس، مطابع الكريم الحديثة، (ط1)، 1993م.

❖ القاهراني: عبد الفادي وجماعة من اللاهوتيين المسيحيين.

124- رب المجد، دار منشورات النفير، بيروت، ب. ت.

❖ قب: متوديوس زهيراتي.

125- لوحات من تاريخ الكنيسة، (ج2)، بدون دار طابع، حلب، سورية، 1963م.

❖ قلادة: وليم سليمان (الدكتور).

126- تعاليم الرسل، الدسقولية، مطبعة دار الجيل للطباعة، (ط2)، القاهرة، مصر، ب. ت.

❖ قنواتي: جورج (الأب).

127- المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ب. ت.

❖ القيصري: يوسابيوس.

128- تاريخ الكنيسة، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، القاهرة الحديثة للطباعة، 1979م.

❖ كرمو: كوركيس (المطران).

129- اللاهوت العقائدي، (ج1)، الإنسان والله، طبع في مؤسسة أورينت للطباعة والنشر، مشكن، الولايات المتحدة الأمريكية، 1987م.

130- اللاهوت العقائدي، (ج2)، (الخلاص)، طبع في مؤسس أورينت للطباعة والنشر، مشكن، الولايات المتحدة الأمريكية، 1986م.

❖ كاسبر: فالتر (البرفسور) وآخرون.

131- المسيحية في عقائدها، نقله من الألمانية إلى العربية المطران كيرلس سليم بسترس، منشورات المكتبة البولسية، (ط1)، لبنان، 1988م.

132- يسوع المسيح، نقله إلى العربية، المطران يوحنا منصور، منشورات المكتبة البولسية، (ط1)، بيروت، 2000م.

❖ كليجا: جبرائيل (الأب).
133- فيما بيننا، مطبعة مار إفرام، درعون، حريصا، لبنان، 15 آب 1964م.
❖ كمبي: جان.
134- دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة، دار المشرق، بيروت، 1994م.
❖ كوبر: (الدكتور).
135- الإيمان الحق، تعريب عبد الفادي القاهراني، مطبعة النيل المسيحية، (ط1)، مصر، ب. ت.
❖ لو دفنع: إميل.
136- ابن الإنسان، حياة نبي، ترجمة عادل زعتير، دار إحياء الكتب العربية، 1947م.
❖ لوريمر: جون.
137- تاريخ الكنيسة، دار الثقافة، القاهرة، 1982م.
❖ لومند الفرنسي.
138- خلاصة تاريخ الكنيسة، (ج1)، ترجمة يوسف الخوري، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1911م.
❖ ماكدويل: جوش.
139- كتاب وقرار، بحث دراسي ومنطقي في صحة الكتاب المقدس، ترجمة الدكتور القس، منيس عبد النور، ب. ت.
❖ متى: يوسف (الدكتور) وآخرون.
140- الإنجيل كما أوحيَ إلى القديس لوقا قراءة شرقية، تقديم د. هاشم العلوي القاسمي، دار الجيل، (ط2)، بيروت، لبنان، 1420هـ-1999م.
❖ المتطبب: نصر بن يحيى بن عيسى.
141- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية، تقديم وتحقيق وتعليق د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1406هـ- 1986م.
❖ مجهول المؤلف.
142- التوراة تأريخها وغايتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب، دار النفائس، (ط6)، بيروت، 1986م.
143- المدخل إلى اللاهوت، نقله إلى العربية، الأب حبيب هرمز النوفلي، كنيسة ماركوركيس الكلدانية، بغداد، 2002م.
144- المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني سنة 1965م، الوثائق المجمعية، نقلها إلى العربية، يوسف بشارة، عبدة خليفة، فرنسيس البسيري، دار الكتاب المفضل، مطابع يوسف وفيليب الجميّل، (ط3)، 1989م.

145- موسوعة الكتاب المقدس، دار منهل الحياة، لبنان، 1993م.
146- نماذج من الفلسفة المسيحية في العصر الوسيط، اوغسطين، انسليم، توما الاكويني، ترجمة وتقديم وتعليق د. حسن حنفي حسنين، مكتبة الأنجلو المصرية، (ط2)، القاهرة، 1978م.
❖ المخلّصي: فرنسيس (الأب).
147- المعجزات، مطبعة اليرموك، بغداد، 1989م.
❖ المخلّصي: منصور (الأب).
148- اللاهوت المعاصر، الله في اللاهوت المسيحي المعاصر، الطيف للطباعة، بغداد، 2002م.
❖ مزي: جوزيف و الأستاذ إلياس خليفة.
149- الأناجيل المنحولة، دير سيدة النصر، غوسطا، لبنان، 1999م.
❖ المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ-957م).
150- مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس للطباعة والنشر، (ط1)، بيروت، لبنان، 1385-1965م.
❖ المسكين: متى (الأب).
151- الكنيسة الخالدة، مطبعة دير القديس أنبا مقار، (ط3)، وادي النطرون، القاهرة، 1960م.
❖ المسيري: عبد الوهاب (الدكتور).
152- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (م1-2)، دار الشروق، (ط1)، القاهرة، مصر، 2004م.
❖ مظهر: سليمان.
153- قصة العقائد بين السماء والأرض، دار النهضة العربية، 1381هـ-1962م.
❖ مقار: إلياس (القس).
154- نساء الكتاب المقدس، دار الجيل للطباعة، القاهرة، ب. ت.
❖ المنشاوي: ناصر.
155- الجوانب الخفية من حياة المسيح، بدون دار طبع، يناير، 2003م.
❖ موبال: شمعون يوسف (الدكتور).
156- التلمود أصله وتسلسله وآدابه، مطبعة العرب، مصر، القاهرة، 1909م.
❖ ميخائيل: لبيب (القس).
157- لا إله إلا الله، دراسة تحليلية لأخطر قضية من قضايا الألوهية، بدون دار طبع، 4 يونيو، 1991م.

❖ نخلة: أمين.
158- أمثال الأناجيل، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1967م.
❖ الهاشمي: محمد فؤاد.
159- الأديان في كفة الميزان، دار الكتاب العربي، مصر، ب. ت.
❖ هولزنز: جوزيف.
160- بولس الرسول، ترجمة البطريرك إلياس الرابع، منشورات معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، (ط2)، البلمند، 1986م.
❖ الهندي: رحمة الله.
161- إظهار الحق، تحقيق عمر الدسوقي، مطبعة الرسالة، ب. ت.
❖ هودجكن: ا. م.
162- المسيح في جميع الكتب، دار منشورات النضير، (ط3)، بيروت، لبنان، 1980م.
❖ ولفنسون: إسرائيل.
163- موسى بن ميمون، حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والنشر، (ط1)، مصر، 1355هـ-1936م.
❖ عبد الوهاب: أحمد (اللواء).
164- اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، مكتبة وهبة، (ط1)، مصر، 1407هـ-1987م.
165- المسيح من مصادر العقائد المسيحية، دار غريب للطباعة، (ط1)، مصر، 1978م.
❖ يتيم: ميشيل (الأب).
166- حياة يسوع المسيح، مطبعة الإحسان لميتم الروم الكاثوليك، حلب، سورية، 1955م.
❖ اليسوعي: بولس إلياس.
167- خلاصة الدين المسيحي، المطبعة الكاثوليكية، (ط2)، بيروت، 1962م.
❖ اليسوعي: توماس ميشال (الأب).
168- مدخل إلى العقيدة المسيحية، محاضرات أُلقيت في كلية الشريعة الإسلامية (أنقرة - تركيا)، دار المشرق، بيروت، 1993م.
❖ اليسوعي: خليل أدّة (الأب).
169- الكنيسة أو مملكة المسيح على الأرض، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1935م.
❖ اليسوعي: رتشرد يوسف مكارثي (الأب).
170- من كلام الحياة، بدون دار طبع، بيروت، لبنان، 1964.

ثالثاً: المجلات والدوريات

1- الأثرى: أبو مريم عيسى، الجواب الصحيح لمن قال بألوهية المسيح، مجلة الحكمة، العدد، 18 ب. ت.

2- أسعد: فائز عزيز (الدكتور)، أرثوذكسية الكثلكة وكاثوليكية الأرثوذكسية، مجلة الفكر المسيحي، العدد 385-386، السنة التاسعة والثلاثون، آيار-حزيران 2003م.

3- ساكو: لويس (الأب)، كنيسة المشرق والوحدة، مجلة الفكر المسيحي، العدد 303-305، آذار – آيار، 1995م.

4- عتيشا: يوسف (الأب)، بولس الرسول المربي للجماعات المسيحية، مجلة الفكر المسيحي، العدد 389-390، تشرين الثاني-كانون الأول، 2003م.

رابعاً: الرسائل الجامعية

1- . أنمار أحمد، الصلب والقيام في المسيحية دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، 2001م

2- . البديري: عامر عبد زيد كاظم، أثر ابن سينا في الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الكوفة، 2002م

3- القيسي: حسين علي عبد الله، الألوهية بين العهد الجديد والقرآن الكريم، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية، 2001م.

خامساً: كتب حملت من الشبكة الدولية (الانترنيت).

حنا: ناشد.

1- الله واحد في ثلاثة اقانيم، هذا الكتاب حمل من موقع كلمة الحياة www.kalimatalhayat.com.

❖ الرسولي: إثناسيوس.

2- تجسد الكلمة، ترجمة القمص مرقس داود، هذا الكتاب حمل من موقع (شبكة الحب الإلهي).

❖ زويمر: صموئيل (الدكتور).

3- دروس في الصليب، السر العجيب في فخر الصليب، نقله إلى العربية رزق مرقس، هذا الكتاب حمل من موقع كلمة الحياة www.kalimatalhayat.com

❖ السقار: منقذ بن محمود (الدكتور).

4- الله ﷻ وحد أم ثلاثة، مكة المكرمة، محرم، 1424هـ، هذا الكتاب حمل من موقع هداية الحيارى، www.islam.ms

5- هل افتدانا المسيح على الصليب، مكة المكرمة، صفر، 1424، هذا الكتاب حمل من موقع هداية الحيارى www.islam.ms

6- هل العهد الجديد كلمة الله، شوال مكة المكرمة، 1423هـ، هذا الكتاب حمل من موقع هداية الحيارى www.islam.ms

❖ سمعان: عوض.

7- الله الواحد بين الفلسفة والمسيحية، هذا الكتاب حمل من موقع صفحة الحق في مجاوبة المسلمين. www.akitab.50megs.com

8- الكهنوت الطقسي، هذا الكتاب حمل من موقع صفحة الحق في مجاوبة المسلمين. www.akitab.50megs.com

❖ فورد: جورج (الدكتور).

9- حياة المسيح، هذا الكتاب حمل من موقع كلمة الحياة www.kalimatalhayat.com

❖ المقدسي: أبو محمد.

10 - التحفة المقدسية، ربيع الثاني، 1418هـ، هذا الكتاب حمل من موقع هداية الحيارى. www.islam.ms

قسطه: يوسف.

11- الخطيئة المشكلة والحل، هذا الكتاب حمل من موقع كلمة الحياة.
www.kalimatalhayat.com

❖ ماكدويل: جوش و بوب هوستيتلر.

12- شغل مخك في عصر الخرافات والاكاذيب، هذا الكتاب حمل من موقع، www.ennour.net

سادساً: المصادر الاجنبية

1- Hastings: James, **encyclopedia of religion and ethics,** volum IV, edinburgh, fourth imprission, 1959.

2- Mcnaille: **New testement teching in the light of st.paul** ,(un cambridge at the university, 1923.

3- Mircea Eliade , **the Encyclopedia of Religions** , (NewYourk: macmillan Puplishing company, London, collier Macmillan Publishers, 1987) volume,8.

- شرفنامه: الجزء الأول: في تاريخ الدول والإمارات الكردية، تأليف: الأمير شرف خان البدليسي، ترجمة: محمد علي عوني.
- شرفنامه: الجزء الثاني: في تاريخ سلاطين آل عثمان ومعاصريهم من حكام إيران وتوران، تأليف: شرف خان البدليسي، ترجمة: محمد علي عوني
- تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهايم، تأليف: ناديا خوليديس – لوتس مارتين، ترجمة: د. فاروق إسماعيل.
- حينما في العُلى، قصة الخليقة البابلية، الترجمة الكاملة للنص المسماري للأسطورة، الدكتور نائل حنون.
- مشاهير الكرد وكردستان في العهد الإسلامي 2/1، تأليف: العلامة المرحوم محمد أمين زكي بك، ترجمة: سانحة خانم، راجعه وأضاف إليه محمد علي عوني.
- القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية، مارك سايكس، ترجمة: أ د. خليل علي مراد، تقديم ومراجعة وتعليق: أ د. عبد الفتاح علي البوتاني.
- القاموس المنير (Ferhenga Ronak)، كردي – عربي، إعداد: سيف الدين عبدو.
- أسرة بابان الكردية، شجرتها التاريخية وتسلسل أجيالها، إعداد: إياد بابان.
- حقيقة السومريين، ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، تأليف: د. نائل حنون .
- تاريخ الإصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، تأليف: انكه لهارد، ترجمة: أ. د. محمود عامر.
- بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية (دولة الجراكسة البرجية)، 1381 – 1517، تأليف: د. فيصل الشلّي.
- العراق، دراسة في التطورات السياسية الداخلية، 14 تموز 1958 – 8 شباط 1963، أ. د. عبد الفتاح علي البوتاني.
- سعيد النورسي، حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا 1876-1960 م، د. آزاد سعيد سمو.
- مم و زين، أحمد خاني، شرح وترجمة: جان دوست.
- الإيزيديون، نشأتهم، عقائدهم، كتابهم المقدس، توفيق الحسيني.
- عيد نوروز، الأصل التاريخي والأسطورة، إعداد: عبد الكريم شاهين.
- البخار الذهبي، شيركو بيكه س، المنتخبات الشعرية، ترجمة: مجموعة من الأدباء الكرد.
- تاريخ الأشوريين القديم، إيفا كانجيك – كيرشباوم، ترجمة: د. فاروق إسماعيل.
- تاريخ الإمارة البابانية 1784 – 1851 م، عبد ربه إبراهيم الوائلي.
- مشكلة الاتحاد والتعالي في عقيدة الشيخ محي الدين بن عربي، الأخضر قويدري.

- الكورد والأحداث الوطنية في العراق خلال العهد الملكي 1921-1958 م.
- التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي الحديث، ديندار شفيق الدوسكي.
- االكورد والدولة العثمانية، موقف علماء كوردستان من الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876 – 1909.
- التصوف في العراق ودوره في البناء الفكري للحضارة الإسلامية، د. ياسين حسن الويسي.
- دارمية النص الشعري الحديث، دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح، علي قاسم.
- دراسات في تاريخ الفكر السياسي الاسلامي، أ. د. نزار محمد قادر، أ. د. نهلة أحمد
- النور والظلام في شعر البحتري، دراسة، د. نوزاد شكر الميراني.
- مدن قديمة ومواقع أثرية، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي، خلال العصور الآشورية، د. نائل حنون.
- الكرد وكردستان، أرشاك سافراستيان، ترجمة: د. أحمد محمود الخليل.
- الكورد وبلادهم في أعمال البلدانيين والرحالة المسلمين 846-1229م، د. حكيم أحمد مام بكر.
- التجلّيات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، د. أحمد السليماني.
- في آفاق الكلام وتكلّم النّص، د. عبد الواسع الحميري.
- الفلسفة الإسلامية، دراسات في المجتمع الفاضل والتربية والعقلانية، أ. د. علي حسين الجابري.
- الحركات الدينية المعارضة للإسلام في إيران في القرنين الثاني والثالث الهجريين، د. غلام حسين صديقيّ، ترجمة : د. مازن إسماعيل النعيمي.
- جماليات التلقي في السرد القرآني، يادكار الشهرزوري.
- سياحة في ذاكرة جبل الكُرد، د. احمد محمود الخليل.
- قاموس الأصوات في اللغة الكردية، إعداد: عباس إسماعيل.
- تعلم اللغة الكردية، اعتماداً على خصائصها اللغوية، إعداد: درويش غالب.
- العدالة، مفهومها ومنطلقاتها، دراسة مقارنة على ضوء الفكر السياسي والقانوني الغربي والإسلامي.
- إشكالية الحداثة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة، دراسة وصفية، د. رواء محمود.
- التعجيل في قروض النثر، سليم بركات.

لاهوت المسيح

نشأته طبيعته

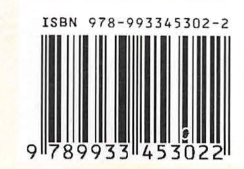
إن نظرة المسلمين حول طبيعة رسالة السيد المسيح (عليه السلام) والعقيدة التي جاء بها تتباين مع وجهة نظر المسيحيين، فيرى المسلمون ومن خلال الآيات التي وردت في القرآن الكريم: إنه نبي ورسول أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل مصدقاً لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وأيده الله تعالى بالعديد من المعجزات الدالة على صدقه، واتسمت رسالته (عليه السلام) بالدعوة إلى منهج التوحيد، وانتهت بتآمر اليهود عليه محاولين قتله، فأنجاه الله تعالى من مكرهم وكيدهم بأن رفعه إليه وخلصه من أيديهم.

أما النصارى فيرون إن الله غضب على الجنس البشري بعد أن أكل أبوهم آدم (عليه السلام) وأمهم حواء من شجرة المعرفة في الجنة فأصبحوا يعلمون كما يعلم الله، فطردهما من الجنة، خوفاً من أن يأكلا من شجرة الخلد فيصبحا من الخالدين، ثم انتقلت هذه الخطيئة بالولادة إلى جميع البشر فأصبحوا من الخطاة، وبما أن الله من أسمائه (الله محبة) فقد أنزل ابنه الوحيد (المسيح) من السماء إلى الأرض، لمحو هذه الخطيئة، فتآمر عليه أعداء الله، وضربوه، وصلبوه حتى مات، وبعد ثلاثة أيام قام من قبره، وصعد إلى السماء، ليفدي الجنس البشري، ويخلصهم من خطيئة أبيهم آدم (عليه السلام).








ISBN 978-993345302-2
9 789933 453022